مُسامرات الظّريف بحسن التعريف

تأليف

الشيخ أبي عبد الله محمّد بن عثمان السنوسي

تحقيق وتعليق

الشيخ محمّد الشاذلي النيفر

عميد الكلية الزيتونية سابقًا

الجزء الثاني

دار الغرب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
1994

دار الغرب الإسلامي
ص.ب: 113-5787
بيروت - لبنان

مُسامرات الظّريف بحسن التعريف

القِسمُ الثَّاني

في التعريف بالمفاتيح الحنفيّة

اعلم أن مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه كان أظهرَ[1] المذاهب بإفريقية إلى أواسط المائة الخامسة فتناقص واستمر على تناقص رجال المذهب الحنفي الزكي إلى دخول الدولة التركية في سنة 981 إحدى وثمانين وتسعمائة وإلى ذلك العهد لم يكن بالديار التونسية مفت حنفي[2].

- 1 -

إلى أن قدم من دار الخلافة (رمضان أفندي[3]) بخطة القضاء على عهد يوسف داي في مبادىء العشرة الثالثة بعد الألف ولما استكمل مدة القضاء

---

(1) لم يكن مذهب أبي حنيفه أظهر المذاهب بإفريقية بل عند ظهور المذاهب بإفريقية كانت هناك الطبقة التي تلقت عن مالك مثل عبد الله بن فروخ (ـ 176)، وعلي بن زياد (ـ 183) والبهلول بن راشد (ـ 183).

(2) في الأصل: مفتى.

(3) قدم لتونس رمضان أفندي بخطة قاض لإجراء الأحكام الشرعية بحسب المذهب الحنفي جرياً على سنن سنان باشا الذي حين غادر البلاد التونسية عين بها قاضياً وهو حسين أفندي، وكان القاضي الموفد من الدولة العثمانية يقضي مدة القضاء في تونس ثم يرجع إلى دار الخلافة، ولما أراد رمضان أفندي الرجوع إلى دار الخلافة، كأسلافه أمسكوه كما قال حسين خوجة في ذيل بشائر أهل الإيمان.

وقد ترجم له المذكور حين كلامه على علماء الحضرة التونسية (ص 169 ـ ط 2).

وذكر أن وفاته كانت بتونس في أيام يوسف داي، وهذا مدته من سنة (1019) إلى سنة (1047)، وكان مشهوراً بالعدل والإنصاف وتستفاد وفاة رمضان أفندي من ولاية أحمد الشريف الحنفي بعد الأربعين والألف (ـ 1040).

وذكر أنه أول مفت للمذهب الحنفي حسين خوجة في ذيل البشائر (ص 169 ـ ط 2). =

المعنية ورام الرجوع أمسكه يوسف داي حيث كان له بعضُ إلمام بفقه أبي حنيفة وأولاه خطة الإفتاء على مذهب أبي حنيفة فهو أول من تقلد هاته في حاضرة تونس.

ثم لما بنى يوسف داي المذكور جامعه الذي برأس سوق الترك[1] وأتم بناءه في شهر رمضان المعظم سنة 1021 إحدى وعشرين وألف قدم رمضان أفندي المذكور خطيبا به وقدم أحمد أفندي إماما لإقامة الخمس، ولما أتم يوسف داي بناء المدرسة المجاورة لجامعه قدم رمضان أفندي لمشيختها فهو أيضاً أول خطيب بالجامع اليوسفي وأول شيخ بالمدرسة اليوسفية وعند ذلك تصدى لإقراء الدرر[2] في الفقه الحنفي بالمدرسة اليوسفية فقرأ عليه الشيخ أحمد الشريف الحنفي أحد أبناء الترك المولودين بتونس نصف الكتاب المذكور، ولما رأى رمضان أفندي حسن ذكاء تلميذه وحسن فهمه ألزمه[3] أن يتممه له وجلس بين يدي تلميذه إلى أن أتمه.

وكان في ذلك العهد الشيخ محمد بن سليمان ممن يتعاطى حل المسائل على مذهب أبي حنيفة وعنه أخذ الشيخ أحمد الشريف الحنفي.

= وفي المونس ذكر لماذا أحدثت خطة المفتي: وفي المائة التاسعة ظهرت رتبة المفتي وصارت أرفع درجة من درجة القاضي، وإذا أشكل على القاضي بعث إلى المفتي يسأله، ولا سيما في هذه الدولة التركية فان القضاة تجيئها من بلاد الترك والغالب عليهم العجمة. المونس (ص 292 ـ ط3).

(1) الجامع اليوسفي كما ذكر المؤلف مؤسسه يوسف داي في التاريخ الذي ذكر، وخطبته هي الحادية عشرة في سلسلة جوامع الخطبة بتونس كما في معالم التوحيد.

قلت واختص هذا الجامع بأن يكون إمامه مفتياً حنفياً، ولعل ذلك مما ذكره حسين خوجة من أنه لما أمسك يوسف داي رمضان أفندي للفتوى جعله إماماً للجامع الذي أسسه وكذلك المدرسة اليوسفية التي أضيفت إلى المستشفى الصادقي والآن مستشفى عزيزة عثمانة.

(2) للحنفية كتابان باسم الدرر الأول (درر البحار) في الفروع لأبي عبدالله محمد بن يوسف القونوي (ـ 788 هـ) وهو متن مشهور مختصر.

والثاني (درر الحكام في شرح غرر الأحكام) للمولى منلا خسرو (ـ 885 هـ) ولعل المقصود هنا هو الأول.

(3) الذي في البشائر أنه أقعده معه في المحراب.

- 2 -

ولما توفي رمضان أفندي قدم يوسف داي **الشيخ أحمد الشريف** الحنفي للفتيا[1] والإمامة والمشيخة عوضه بعد الأربعين والألف وأقرأ الدرر بالمدرسة.

وقد ذكر شيخ الإسلام البيرمي الثاني في شرح نظمه لأسماء المفتين من الحنفية ما استدل به على ضعف بضاعة هذا المفتي في فقه مذهبه. ورب البيت أدرى بما فيه.

- 3 -

وقد استمر على خططه إلى دولة أحمد خوجة بعد الخمسين والألف فوفد على الحاضرة **الشيخ «أحمد الشريف الأندلسي»** الحنفي[2] من بلاد الترك شارح منية المصلي. ولسعة فقهه قدمه أحمد خوجة لمشيخة المدرسة الشماعية[3] لما أعاد بناءها ليقرىء بها الفقه الحنفي فهو أول من وليها من الحنفية ثم تقدم لخطة الفتيا والإمامة والمشيخة بعد عزل من قبله، وبث الفقه الحنفي في صدور كثير من الرجال غير أنه امتحن بحسدة نسبوا إليه الكفر في نازلة أفتى فيها بالمعتمد في مذهبه وهو قول محمد، فعارضوه بمقابله وهو قول الإمام وأبي يوسف وزعموا أن ذلك قول الإمام أبي حنيفة وجميع أصحابه فقال الشيخ أما إنه قول أبي حنيفة فصحيح وأما إنه قول جميع أصحابه فباطل فقالوا إنه حكم ببطلان قول الإمام

---

(1) أحمد الشريف الحنفي ترجم له في ذيل البشائر (ص 170 ـ ط2)، وأفاد هناك أن رمضان أفندي هو الذي رشحه لخطة الإفتاء، وكان له شغف بإقراء الدرر، ومات بتونس بعد رجوعه من الحج. ذيل البشائر (ص 170 ـ ط 2).

(2) ترجم لأحمد الشريف الأندلسي في ذيل بشائر أهل الإيمان ترجمة مطولة وأصله من الأندلس وتوجه إلى بلاد الروم ووصفه بأنه كان من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

وذكر أن له شرحَ منية المصلي في أربعة أجزاء، ذيل البشائر (ص 170 ـ ط 2).

ومنية المصلي قال في كشف الظنون لسديد الدين الكاشغي وهو كتاب معروف متداول.

(3) المدرسة الشماعية أسسها الأمير أبو زكريا الاول يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص وهو المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس وتوفي سنة (ـ 649 هـ) وكان تأسيس المدرسة سنة 633 هـ).

وجاء في ذيل البشائر أن أحمد الشريف الأندلسي أول مدرس حنفي تصدر بها، الذيل (ص 171 ط 2). كما هنا

واتفقوا على ردة من تلفظ بذلك جهلاً وحسداً من عند أنفسهم وقد حكى النازلة في تأليف له في صفة الإيمان[1] ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه ضحى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة1047 سبع وأربعين وألف .وبسبب الواقعة المذكورة تخلى عن جميع وظائفه ولم يبق بيده غير مشيخة المدرسة اليوسفية إلى أن توفي أوائل ربيع الأول سنة1061 إحدى وستين وألف.

- 4 -

وتقدم عوضه للفتيا **الشيخ محمد بن مصطفى الأزهري** ابن زروق[2] أحد أبناء الترك الوافد على تونس من طرابلس بعد أن قرأ بالجامع الأزهر على فحول منهم الشيخ إبراهيم اللقاني المالكي وبلغ إلى درجة التحصيل وكان قدومه على عهد حمودة باشا المرادي فأكرم نزله حتى أنه لَيُقدِّم له نعله وقدمه لخطة الإفتاء بعد تخلي من قبله وخطبة الجامع اليوسفي وتوفي في التاسع عشر من صفر الخير سنة 1067 سبع وستين وألف ودفن بزاوية سيدي أحمد بن عروس وأحصيت تركته فكانت مائة ألف ريال تونسياً.

- 5 -

وولي عوضه الفتيا **الشيخ «مصطفى بن عبد الكريم»** البنزرتي[3] قدِم والده

---

(1) يستفاد من كلام المؤلف أنه اطلع على رسالة الشيخ أحمد الشريف الأندلسي.

(2) ترجم في ذيل البشائر للشيخ محمّد بن مصطفى الأزهري ترجمة مطولة، وكان أصله من طرابلس الغرب، واختص بالشيخ إبراهيم اللقاني صاحب الجوهرة وله نظم في النحو.

وهو الذي يؤثر عنه أنه كان يقول: لو سئلت عن ثلاثة لقلت لا، لو قيل لي: هل رأيت أعلم من الشيخ إبراهيم اللقاني؟ لقلت: لا، ولو قيل لي هل رأيت أكرم من محمد باشا؟ لقلت: لا، ولو قيل لي هل رأيت أنور من جامع الزيتونة؟ لقلت: لا.

الذيل (ص171).

ذكر هنا أن وفاته سنة سبع وستين وألف (1067 هـ)، والذي في المونس أن وفاته سنة ست وستين وألف (ـ 1066 هـ). المونس (296 ـ ط 2).

(3) أطال في ترجمته صاحب الذيل، ووصفه بالعلامة نسيج وحده الشيخ علم الأعلام، وقد برّز في علوم كثيرة.

الذيل (ص 177 ـ ط 2)، وبسط في ترجمته الوزير السرّاج (ج 2 ص 570) ط 2.

الشيخ عبد الكريم من بنزرت وقرأ بتونس وأقرأ وولي خطبة جامع القصبة ودفن بالسلسلة من تونس، وتزايد ابنه مصطفى سنة 1028 ثمان وعشرين وألف وقرأ العلم وتفقه على الشيخ أحمد الشريف وأقرأ كتباً مهمة وتولى عوض شيخه المذكور إمامة الجامع اليوسفي ورواية الحديث به وأقرأ به صحيح البخاري بشرح العيني وكان يترجمه بالتركية، وولي أيضاً مشيخة المدرسة. ولما توفي الأزهري تقدم عوضه للفتيا وخطبة الجامع اليوسفي وكان لا يفتي إلا كتابة وربما أخر المسالة سنة لتحريه وتثبته. ثم في سنة 1075 خمس وسبعين وألف عزل من جميع ذلك وخرج لحج بيت الله الحرام ولما عاد ولي خطبة جامع القصبة، ثم لما توفي الشيخ محمد بن شعبان خامس ربيع الأول سنة 1097 سبع وتسعين وألف صار إماماً وخطيباً ومدرساً بالجامع الباشي. فأقام على ذلك إلى أن كان من جور طاطار داي[1] ما أضجر المسلمين من تهافته على قتل النفس واتفق أن قدم من دار الخلافة منجي باشا فاجتمع الشيخ به ليلاً وذكر له فظائع طاطار، وبعد سفره لم يكن من طاطار إلا أنه أمر بخنقه فقتل وألقاه في بئر وبعد أن أخرج منها وجد على حالته ودفن جوار الزلاج وقد قتل قاتله بعده بنحو ثلاثة أشهر والله لا يضيع عمل العاملين، وكان قتله سنة 1106 ست ومائة وألف.

- 6 -

وأما الذي تقدم عوضه للفتيا فهو الشيخ (يوسف درغوث)[2] ولازمها إلى أن قتل ـ عليه رحمة الله ـ فخلفه ولده الذي أدرك الدولة الحسينية فكان ترتيب المفتين من ذلك العهد على ما يأتي:

---

(1) وذكر نهاية محمد طاطار الوزير السراج (ج 2 ص 577) ط 2.

(2) الفتنة التي أشار اليها المؤلف هي فتنة الخلاف بين الأخوين محمد باي المرادي وأخيه علي باي وسيأتي ذكرها في ترجمة ابنه.

وقد أطال المؤلف ترجمته في ترجمة ابنه، وترجم له الوزير السراج في الحلل (ج 2 ص 466) وترجم له في الذيل (ص 181) ط 2.

- 7 -

الشيخ عبد الكبير درغوث[1]

هو الشيخ عبد الكبير بن يوسف بن درغوث شاوش الوافد على الحاضرة من بلد الترك. ونشأ والده[2] الشيخ يوسف في طلب العلم وكان من علماء الميقات وأخذ الفقه عن الشيخ محمد بن شعبان إمام الجامع اليوسفي وتقدم للنيابة عن القاضي الحنفي حيث إن المُوَلّى من قبل الدولة العثمانية قارة خوجة انتهت مدته ولم يَقْدِمْ غيره فيباشر النيابة إلى أن قدم الشيخ يوسف القفال.

(كما باشر النيابة عن الشيخ أبي المواهب النفاتي في خطة القضاء أيضاً سنة1071 ثم قدمه الـداي قارة كوز إلى خطة الفتوى وقد وقفت على مضمون أمر ولايته من محمد باشا مؤرخ بأواخر المحرم سنة 1076 ست وسبعين وألف. ومثله أمر الآغا وجماعة الديوان. كما وقفت على مضمون أمر ولايته إماماً وخطيباً بجامع يوسف داي مؤرخ بغرة صفر سنة ست وسبعين وألف وفيهما التنصيص على أن ولايته عوض الشيخ مصطفى بن عبد الكريم[3].

وكان بمعيته في فتوى المالكية الشيخ أبو الفضل المسراتي، ولما توفي ولي بعده الشيخ محمد فتاتة ولم يزل الشيخان درغوث وفتاتة على وظيفيهما (وقد وقفت على مضمون أمر من حسن كاهية، وعلى طِبْقِه أمر الآغا وجماعة الديوان مؤرخَيْن بأوائل ربيع الثاني سنة 1088 ثمان وثمانين وألف في تقرير الشيخ يوسف بن درغوث شاوش إماماً وخطيباً بجامع يوسف داي، مذكور فيه «أبطلنا حكم الأمر الذي صدر منا للشيخ مصطفى بن عبد الكريم ورفعنا يده»)[4]. ولما ثارت[5] نار الفتنة بين الأخوين محمد وعلي ابني مراد بن حمودة باشا سنة 1088 ثمان وثمانين وألف، في خبر طويل ليس هذا محل ذكره وجالت يد محمد في

(1) وترجم لعبد الكبير درغوث في الحلل (ج 3 ص 291) ط بيروت.

(2) في المخطوط والمطبوع ولده.

(3) ما بين القوسين أثبتناه في المخطوط مع أنه ساقط في المطبوع.

(4) ما بين القوْسيْن سقط من الأصل المطبوع وأثبتناه من المخطوط.

(5) وأشار إلى هذه الفتنة والقبض على الشيخين الوزير في الحلل بإطناب (ج 2 ص 463) ط بيروت.

المنتمين إلى أخيه فاعتقل الشيخين المذكورين بمحلته التي بالجبل الأخضر، أما المفتي المالكي فخرج مستتراً بظلام الليل وتيسر له أن وصل إلى دار الشيخ سعيد الشريف فاختفى فيها وبقي المفتي الحنفي إلى الصباح فأمر محمد باي بقتلهما فقتل المفتي الحنفي خنقاً وأمر بإخراجه[1] ورَمْي جثته بالرصاص وأعاده إلى البئر وأغلق جامعه ومنع الصلاة فيه، وبقي المفتي المالكي مستتراً إلى أن أمنه محمد باي وأعاده إلى خطته وندم على ما فات منه في صاحبه وعند ذلك أمر بإخراجه من البئر فغسل وكفن وصلي عليه ودفن بالزلاج قرب سيدي أبي مقطع وكان ذلك أواخر حجة عام 1088 ثمانية وثمانين وألف، وأخبرني حفيده أنه قد سقط على قبره سقف تربته بالزلاج فلما رفعوا التراب وجدوا قبر الشيخ قد فتح وإذا به كيوم وضع ولم يبل منه غير كفنه وكان ذلك بعد أكثر من مائتي سنة رحمه الله تعالى.

وبعد دفن الشيخ بأيام أرسل محمد باي إلى والده صاحب الترجمة بتوليته وظائف والده فولي خطة الفتيا وإمامة الجامع اليوسفي بعد الامتناع الكلي لنفوره بما وقع بوالده وتعلل بصغره وقصوره وكانت ولايته خامس صفر الخير سنة 1089 تسع وثمانين وألف، وعند ذلك صاحبه المفتي المالكي الشيخ محمد فتاتة وأعانه على الفتيا فكان يرجع إليه في جميع الفتاوي وبسبب ذلك حصلت له مشاركة في المذهب المالكي مع أنه كان قرأ على والده وعلى غيره وأخذ الفقه عن الشيخ مصطفى بن عبد الكريم والشيخ محمد بن شعبان. وقد ذكر شيخ الإسلام البيرمي في شرح نظم المفتين الاستدلال على قصوره غير ما دلت عليه تحلية معاصره المفسر الشيخ محمد زيتونة في ثنائه على تقريظه لسمط اللآل ولذلك تعين عليّ أن نذكر ذلك التقريظ والثناء عليه إذ يمكن للمطالع أن يهتدي بذلك لتحلية صاحبة الترجمة وذلك أن كتاب سمط اللآل[2] الذي ألّفه مدرس جامع

(1) وقع حذف قبل قوله فأمر بإخراجه، وهو فألقي في البئر وهذا المحذوف أتى به فيما بعد.

(2) سمط اللآل عُرِفَ به المؤلف وذكر في الحلل بأنه أشار عليه بتآليفه محمد بن شعبان وأطال في الكلام عليه، وصاحبه له ترجمة حافلة في الحلل، وكانت وفاة الشيخ قويسم سنة (ـ 1114 هـ) الحلل (ج 2 ص 677).

محمد باي المرادي العالم الصالح الشيخ محمد قويسم في التعريف برجال الشفا وهو كتاب غريب في بابه يحتوي على عشرة أجزاء ضخمة فيه من شوارد المسائل والتحريرات واللطائف والتراجم والأخبار ما يسلي الغريب، ويفيد العالم اللبيب، ولذلك قرظه كثير من علماء ذلك العصر ومنهم صاحب الترجمة كتب عليه ما نصه:

نحمدك اللهم يا من أنطق الألسن بنفائس السحر الحلال، والأقاويل ببدائع يواقيت المقال، فأصبح روض المحاسن بوابلها الهتان في ميادين البَهَا زاهرا، ودجى المعارف لفتوحات أنوارها ناضرا. ونصلي ونسلم على سيدنا محمد نقطة دائرة الوجود، وشفيع العصاة في اليوم الموعود، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. أما بعد فقد نزهت طرفي في مساحة من رياض هذا التأليف البديع، وأجريت طرفي في ميدان ما أبداه المؤلف من حسن هذا الصنيع، فألفيته فائزاً بالتقدم في حلبة التأليف، حائزاً قصب السبق باشتماله على الترصيع والترصيف، مشحوناً باللطائف تمتد إليها أعناق ذوي الهمم من كل جانب، وترى تواليها[1] أحداق أولي المشارق والمغارب، فالحَقُّ أحق أن يتبع أو يقال، لم ينسج في زماننا على هذا المنوال، فلله در مؤلفه حيث جمع فأوعى، وأتى بما تعجز عنه القوى فجاء الغاية القصوى، على جل العلوم قد احتوى، فهو علامة زمانه، ولوذعي أوانه، الجهبذ الفريد، والمحقق المفيد، الشيخ الفاضل والنحرير الكامل أبو عبدالله الشيخ محمد قويسم أدام الله النفع بعلومه، وسقى رياض المعارف من طيب فهومه. إنه على ذلك قدير. وبالإجابة جدير» ا هـ.

ولما اطلع على هذا التقريظ خاتمة المحققين وعمدة الراسخين الشيخ محمد زيتونة كتب في الثناء عليه ما نصه:

هذه بنات أفكار، وعرائس أبكار، ونفائس سجع برزت من وراء الستار، جالسة على منابر العز متنافسة، سائرة بين أغصان الرياض متمايسة، مرتضعة من

(1) في المطبوع ونزوه تواليها وفي المخطوط وترى مغاليها.

ثدي الأدب رحيق الزلال، منبهة على عظيم مقدار سمط اللآل. سالكة منه مسلك الإجازة، فيما زبره التأليف وأجازه:

[الخفيف]

نَمَّقَتْها يدُ المحاسن فضلاً ... من همام موضِّحِ المُشْكَلاتِ
صادعٍ بالدليل في كل خطب ... ناصر الحق قدوة الأثْباتِ
شيخ الاسلام جامعٍ لعلومٍ ... واسع الصدر فاتح المعضلاتِ
كاشف الكرب راحمٍ لفقير ... رافع القدر دافع المذهلاتِ
من أتاه يروم فكَّ عقَال ... من مهم لبَّاه بالإثباتِ
شكر الله سعيه وحباه ... حين يلقاه روضةَ الجَناتِ

عالم أرجاء البسيطة التونسية، ومفتي الديار الإفريقية، المنفرد بين أهل عصره في العلوم العقلية والفقهية، بالرئاستين المالكية والحنفية، سيدنا الهمام، ومولانا العلام، الإمام المتصدي لأجوبة النوازل تصدي الأسد الليّوث، أبي عبدالله محمد المشتهر بالكبير[1]، في طاعة مولانا الكبير، ونصرة شرع السراج المنير، ابن العلم الأكبر، ورئيس الفتيا الأشهر، محرر الدلائل، ومقرب المسائل، وموضح المشكلات لكل سائل، المرحوم بكرم الله سيدي يوسف درغوث، رحم الله السلف، وأدام ذكرهم بالخلف» اهـ.

ولما ولي مراد باي في شهر رمضان سنة 1110 عشر ومائة وألف عزله من الفتيا وخطبة الجامع اليوسفي لسابقية حكمه عليه بالسجن في خبر نقله شيخ الإسلام البيرمي في شرح نَظْم المفْتين وأولى مكانه فيها الشيخ علي الصوفي وبعد مدة اعتذر الشيخ علي الصوفي بالعجز وطلب معونة الشيخ عبد الكبير درغوث فأعيد إلى خطته وتقدم على الشيخ علي الصوفي لسابقيته فصار الشيخ علي الصوفي مفتياً ثانياً وذلك أول عهد تعدد المفتين من الحنفية. ولم يزل الشيخ عبد الكبير، محبباً إلى الصغير والكبير، بما عنده من محاسن الأخلاق

(1) لعله بالكبير درغوث.

وحسن المعاملة ولطف المحاضرة زيادة على علمه إلى أن توفي في المحرم سنة (1133) ثلاث وثلاثين ومائة وألف، عليه رحمة الله ورثاه الشيخ محمد الوزير السراج بقوله:

[مجزوء الرمل]

ذا ضريح ضم كنزاً ... لعلوم الثقلينِ
كان في الدنيا كبيراً ... كاسمه في الخافقَيْنِ
لقّبوه دُرَّ غَوْثٍ ... صدقوا من غير مَيْنَ
مَدَّ[1] من نهر الفتاوي ... للورى نَضَّاخَتَيْنِ
حلّ في جنة عَدْن ... ونعيم خالِدَيْنِ
فاسأل المولى لديه ... بخضوع الرّاحَتَيْن
عَلَلاً من نَهْر عَفْوٍ ... في جنى من جنتين
إنَّ مَنْ قَدْ أرَّخُوه ... (كان يدري المَذْهَبَيْنِ)

- 8 -

الشيخ علي الصوفي[2]

هو الشيخ أبو الحسن علي الصوفي ولد سنة 1058 ثمان وخمسين وألف، وتصدى للأسخذ فقرأ على فحول وهم الشيخ أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا والشيخ مصطفى بن عبد الكريم والشيخ محمد فتاتة والشيخ يوسف درغوث الأكبر والشيخ محمد قويسم والشيخ إبراهيم الأندلسي والشيخ عاشور القسنطيني

---

(1) في الأصل: ودّ

(2) الشيخ علي الصوفي ترجم له في الذيل ترجمة مطولة (ص221/ ط 2)، كان من جملة وفد الصلح الذي ذهب إلى الجزائر، وقد أشار إلى أعضاء الوفد الوزير السراج، (ووجهوا مع الأجوبة التونسية أجلة رسل من أفاضل علماء الحضرة التونسية) الحلل (ج 3 ص 24) ط/ بيروت.

وهم مفتي الحنفية عبد الكبير درغوث، والمفتي الثاني أبو الحسن علي الصوفي، ونائب القاضي أحمد الرصاع، والشيخ الصالح البركة أبو الحسن سيدي علي عزوز.

فعلي الصوفي من أفاضل علماء الحضرة التونسية كما ذكر ذلك الوزير السراج.

والشيخ محمد الغماد وقرأ مختصر الشيخ خليل على الشيخ سعيد الشريف[1] وتضلع بالمعقول والمنقول وتقدم على رجال عصره في العلم والعمل والزهد حتى لقب بالصوفي وكانت دروسه مملوءة رجالاً، يواظب عليها ويقرأ عشية الجمعة تنبيه الأنام بزاوية الشيخ سيدي عياد الزيات وتقدم لمشيخة المدرسة الشماعية وخطبة الجامع الباشي وهو أول مدرس حنفي وإمام بجامع محمد باي الذي تم بناؤه عام 1104 أربعة ومائة وألف، ثم قدمه مراد باي الثاني إلى خطة الفتيا وخطبة الجامع اليوسفي سنة 1110 عشر عند عزل الشيخ يوسف درغوث ثم صار مفتياً ثانياً بإرجاعه. ولما توفي الشيخ يوسف تقدم لمشيخة الإسلام سنة 1133 ثلاث وثلاثين ومائة وألف وبلغ من العمر إلى خمس وثمانين سنة وتوفي سنة 1143 ثلاث وأربعين ومائة وألف، عليه رحمه الله، ودفن بالزلاج بمقربة من قبر الإمام ابن عبد السلام وأرخ وفاته أحد الشعراء بقوله:

[الكامل]

رَمْسٌ تَخُطُّ به يد التصريف ... توقيعَ تحذير بغير حروفِ
وضجيعه تبدي مآثره لنا ... دُرَرَ العُلا من بحره المكفوف
نفدت فتاويه وما نفدت فُتُوَّ ... ته[2] التي بعُلا المعارف تُوفي
إذ حاز في تاريخه كل الكما ... (ل عليٌّ المفتي الإمام الصوفي)

- 9 -

الشيخ يوسف درغوث[3]

هو الشيخ أبو المحاسن يوسف بن عبد الكبير بن يوسف بن درغوث

---

(1) للشيخ سعيد الشريف ترجمة من أحفل التراجم في الحلل (ج 2 ص 650) ط/ بيروت.
(2) جاء البيت في المخطوط:
نفدت فتاويه وما نفدت بته ... ولة التي بعلا المعارف توفي
(3) ترجم للشيخ يوسف درغوث الحفيد الوزير السراج (ج 3 ص 295) وهو بقيد الحياة. وترجم له في الذيل (ص 244) ط 2.

شاوش ثالث آبائه الكرام في مشيخة الإسلام، ولد سنة تسع وثمانين وألف ونشأ في بذاخة عز آبائه الكرام. وأخذ الفقه عن والده الشيخ عبد الكبير درغوث والشيخ علي الصوفي وخطيب جامع القصر وشيخ المدرسة اليوسفية الشيخ محمود مهتار[1] وقرأ مختصر القدوري على الشيخ محمد بن حسين بن بيرام وقرأ أيضاً على الشيخ أحمد برناز والشيخ قاسم الجبالي[2] والشيخ محمود الغماري[3]. ولم يتصدّ للإقراء غير أنه كان عارفاً بالنوازل ولما توفي والده رفعه الأمير حسين باشا باي من جنازة والده إلى باردو وقدمه إلى خطة الفتيا وخطبة الجامع اليوسفي في أواسط المحرم سنة 1133 ثلاث وثلاثين ومائة وألف فصار مفتياً ثانياً وباشر الإفتاء بطريقة غراء. ولما توفي الشيخ الصوفي تقدم لمشيخة الإسلام فزانها بفضله وعلمه وكرم نفسه وهمته ووقاره إلى أن أدركته المنية فتوفي سنة 1156 ست وخمسين ومائة وألف، ورثاه الشيخ أحمد سمية[4] بقوله:

[الكامل]

لله رمسٌ ضم يوسفَ عصره ... فغدا به كالبدر في غَسَق الظلامْ
حاز المحاسن في الحياة وبعدها ... ورقى المنابر في جلال واحتشام
ما جاءه لمحله ذو حاجة ... إلا وشوهد[5] في محياه ابتسام
أجلى صدى الفتيا بحدة ذهنه ... فتبهرجت بجماله بين الأنام
وكَسَا علاه حلةً من بهجة ... محرابَه والمنبرَ العالي المقام
فسل المهيمن يكسُه حلل الرّضى ... ويهبْ له الخيرات في دار السلام
وبحقّه قل إن سُئلت[6] مؤرخاً: ... (هذا الهمام ابن الإمام ابن الإمام)

---

(1) في الأصل: محمد بن رجب ممتار.
(2) في الأصل: قاسم الجبائي.
(3) في الذيل: محمد الغماري.
(4) في الأصل: سميا.
(5) في الأصل: شاهد.
(6) في الأصل: سليت.

- 10 -

الشيخ يوسف برتقيز[1]

هو الشيخ أبو المحاسن يوسف بن محمد بن سليمان بن عبدالله برتقيز، جده عبد الله هو الذي هاجر إلى دين الإسلام، وولد صاحب الترجمة بزغوان سنة اثنتين وتسعين وألف. وقرأ بها القرءان وجوده برواية نافع على الشيخ حسين بالزاوية العزوزية[2]، وقرأ هنالك على الشيخ أحمد الهرميلو[3] الأندلسي نبذة من النحو وشرح السعد على العقائد النسفية وارتحل إلى باجة فأخذ عن الشيخ حميدة بها بهجة السيوطي ومختصر السعد والعروض.

ثم ارتحل إلى مصر فقرأ على الشيخ أحمد العقدي الفقه والأصول، وقرأ على الشيخ خليل تلميذ الحموي قطعة من الهداية، ثم ارتحل لحج بيت الله الحرام وجاور الحرم الشريف وقرأ على الشيخ عبد الله[4] بن سالم البصري الحديث وقطعة من المبسوط للسرخسي ونبذة من الكنز وشرح مُلاَّ مسكين ونصف الملتقى.

ثم رجع إلى تونس على عهد المقدس حسين باشا بن علي تركي فأحضره عنده لإقراء أبنائه، ولما توفي الداي قارة مصطفى عوض منه إمامه الحاج علي داي واختار لإمامته الشيخ يوسف برتقيز وذلك سنة تسع وثلاثين ومائة وألف فاصطفاه لنفسه وأقبل عليه بكليته وأناله من عنايته به الحظ الأوفر لما رأى عليه من النصح في تعليم أبنائه وحسن عنايته بهم حتى بلغوا به إلى مراتب العلماء.

---

(1) ترجم له في الذيل (ص 257).

(2) الزاوية العزوزية نسبة إلى الشيخ علي عزوز (ـ 1122 هـ) وله زوايا متعددة، والمقصودة هنا زاويته بزغوان، وهي مخصصة لتحفيظ القرآن وتجويده، وبها مدرسة لسكنى طلبة القرآن، وورقع إيصادها في أوائل أيام الاستقلال، وهي الآن مفتوحة ولكن للصلاة خاصة.

(3) في الأصل: الهرييلو.

(4) في المخطوط محمد بن سالم، والصواب ما أثبتناه وهو عبدالله بن سالم البصري المكي (ـ 1134 هـ) وهو صاحب الإمداد وترجم له ترجمة حافلة الشيخ الكتاني (ج 1 ص 193 / ط 2).

وكان الأمير حسين باشا يجل منزلته فولاه من الإقبال ما لا كفاء له حتى أنه كل يوم عند خروجه من محل الحكم يدخل إلى بيت الإمام المذكور ويُعْلِمُه بجميع متعلّقات الدولة، وعند ذلك يعرض عليه الشيخ شكايات بعض المظلومين من قِبَل العمال وبعض مطالب لذي حاجة عرضها ويجري فصل جميع ذلك في بيت الإمام حتى كانت تسمى المحكمة الثانية.

ولما توفيت زوجة الشيخ وتكدر من وفاتها ورام التسلي جهزه الأمير حسين أكمل جهاز من مال الغنائم الحلال وأرسله ليحج عنه فخرج خروجاً لا زال حديثه مسطراً في جباه مسطور التواريخ، وأقبل كذلك، وعند وصوله لطرابلس أرسل له الأمير كروسته[1] وعند قربه من الحاضرة أرسل له ابنيه محمد باي وعلي باي فتلقياه[2] في طريقه وعند وصوله تَلَقَّاهُ وعظم قبوله بنفسه غاية التعظيم.

ولما توفي الشيخ علي الصوفي قدمه مفتياً ثانياً سنة 1143 ثلاث وأربعين ومائة وألف، وأولاه إماماً ومدرساً بجامع محمد باي ونزل من باردو لسكنى الحاضرة بعد أن اشترى له الأمير داراً ببئر الحجار من أعظم ديار تونس ثم أضاف إليه خطبة جامع محمد باي وكان ولد الشيخ أحمد قرأ مع أبناء الأمير على والده وعمره يومئذ سبع عشرة سنة فقدمه الأمير لإمامته عوض والده برّاً به فأقبل الشيخ على بث العلم، وشرح متن القدوري شرحاً سماه المنن. وقد وقفت على رسالة في جمع أسماء رجال الطبقات[3] للشيخ عبد الوهاب الشعراني وتلخيص تراجمهم ذكر في أخرها أنه وافق الفراغ من اختصارها ببلد باجة يوم الخميس الثامن من شوال سنة 1118 ثماني عشرة ومائة وألف ورأيت بخط حفيده إمام جامع القصر الشيخ محمد ابن الشيخ حمودة ابن صاحب الترجمة ما نصه:

«إن أول من اتخذ ركاب الحديد المهلب بن أبي صفرة وكانت ركب العرب من خشب قاله جدي في رياض الفنون على رسالة ابن زيدون» ا هـ.

(1) في الأصل غلوسته، ولا شك أن ذلك تحريف من الناسخ.

(2) في الأصل فتلقاه.

(3) طبقات الشعراني هي (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)، والشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ـ 973).

غير أني لم أقف[1] على هذا الشرح وله تأليف سماه «المعالم في ألقاب ملوك العالم» لم أقف عليه أيضاً. وقد رأيت في شرحه على المنن في ترجمة الإمام أبي حنيفة أن له كتاباً سماه تيجان العقيان، في تجريد جامع مسانيد النعمان، وأنه شرحه شرحاً سماه اليواقيت الحسان، غير أني لم أقف على واحد منهما، وقد نظم هداية الصبيان في العبادات على مذهب أبي حنيفة وقد قال في مطلعها:

[الرجز]

الحمد لله الذي كرَّمنا ... على جميع الخلق إذ صورنا
بصورة شريفة خصصنا ... وببنا فكر الحجا شرفنا
أنقذنا من ظلمات الكفر ... عساه أن يحط وقر الوزر
منحنا بفضله الإسلاما ... علمنا العلومَ والأحكاما
شكراً على مزية الإتباع ... لسنة النبيء ذي الأتباع
صلى عليه الله سيد البشر ... وأفضل المخلوق من نبي[2] أبر
والآل والأصحاب أهل الاهتداء ... بهم نجا يوم الجزا من اقتدى
هذا وقال يوسف الزغواني ... المرتجى مغفرة الرحمٰن

وهو نظم لطيف موجز يسهل حفظه للطالب ولم يزل الشيخ وولده بالمكانة العظمى إلى أن دخل الباشا علي وتقيد الشيخ عن الفرار مع أبنائه بكثرة عياله، ورجع إليه ولده إمام المحلة فاراً فقبض عليهما الباشا وسجنهما واستأصل جميع متاعهما، وعند ما اشتد الضجر بالشيخ قتلهما الباشا لما يعلم من قربهما من عمه أواسط صفر الخير سنة 1148 ثمان وأربعين مائة وألف عليه رحمة الله.

---

(1) في الأصل غير أني لم نقف عليه.
(2) في الأصل هكذا «من نبا أبر».

- 11 -

الشيخ عبد الكبير الصوفي[1]

هو الشيخ عبد الكبير بن علي الصوفي ولد سنة 1089 تسع وثمانين وألف، وقرأ على والده الشيخ علي الصوفي وعلى الشيخ عبد الكريم الحنفي وعلى الشيخ محمد الغالبي والشيخ أحمد مجاهد صاحب رواية الحديث بزاوية الشيخ سيدي أحمد بن عروس رضي الله عنه والشيخ محمود مهتار والشيخ حسين والشيخ محمد الكفيف والشيخ هبة الله والشيخ عبد القادر الجبالي[2] والشيخ قاسم الغماري والشيخ محمد الغماد والشيخ سعيد المحجوز[3].

ولمّا بلغ أشده وتضلع في العلوم نزل له والده عن مشيخة المدرسة الشماعية وقدمه إليها سنة سبع عشرة فلازم التدريس بها مع تحقيق وتدقيق وتحرير.

ولما توفي الشيخ أحمد برناز صاحب الشهب المحرقة في الرد على أهل الزندقة[4] قدمه الباشا حسين عوضه لإمامة الجامع اليوسفي وروايته وخطبة جامع محمد باي في ذي القعدة سنة 1138 ثمان وثلاثين ومائة وألف[5] فزان الخطتين بحسن ترتيله وبلاغة خطبه. ثم لما دخل الباشا عليٌّ قدمه مفتياً ثانياً عوض

---

(1) ترجم له في الذيل ونوه به، وهو بقيد الحياة (ص 243 / ط 2).

(2) في الأصل: الجبائي.

(3) الشيخ سعيد المحجوز نوه بشأنه في الذيل فقال: الإمام الخطيب المحدث فريد عصره ووحيد دهره.

توفي في مرسى مطروح من بلاد مصر قرب الإسكندرية ووضعوه في تابوت حين كانوا ذاهبين، ولما رجعوا حملوه معهم إلى تونس، ودفن في مقبرة الشيخ منصور بن جردان وكانت وفاته سنة (ـ 1119 هـ).

الذيل (ص 210 / ط 2).

(4) إنّ هذا الكتاب سمي (بالشهب المحرقة، لأهل البدع والزندقة) كما جاء هنا فما اشتهر عند بعضهم بأنه الشهب المخرقة غير صحيح لأن الشهب إنما توصف بكونها محرقة، وقد طبع هذا الكتاب سنة 1990 بتحقيق الدكتور الطاهر المعموري.

(5) جاء في المخطوط برسم الغبار 1138 وبلسان القلم ثلاث وثلاثين والصواب أن الشيخ برناز توفي سنة 1138 هـ وهي السنة التي تولى فيها المترجم عبد الكبير الصوفي الخطبة.

الشيخ يوسف برتقيز وكان متحملاً أثقالاً من تقدم الشيخ يوسف درغوث عليه ولما أعياه الانتظار لما كان يتوقعه للشيخ المذكور طلب من الباشا أن يسافر صحبة الهدية الموجهة للسلطان وأضمر عدم العود من حيث أن الباشا لم يشعر بما أضمره فأذن له بالسفر ولما رجع السفراء أقام الشيخ في دار الخلافة مدة وجيزة وبلغ خبر وفاته أواسط رجب سنة 1150 خمسين ومائة وألف، وعظموا هنالك جنازته وكتبوا على قبره تاريخاً بالذهب، عليه رحمة الله.

- 12 -

الشيخ محمد الأرناؤوط[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد الأرناؤوط إمام الأمة في المذهب الحنفي ومعرفة الأصول بحيث إنه وحيد عصره فقهاً وأصولاً بعد أن كان حلاقاً في صباه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. أخذ الفقه عن الشيخ عبد الكبير الصوفي، وأخذ العربية عن الشيخ علي سويسي، وملأ الصدور والمحافل بعلومه وكماله فأقرأ كتباً مهمة مثل الكنز والمجمع وصدر الشريعة والدرر والمنار، ولازم التدريس وأخذ عنه الفحول.

ولما توفي الشيخ يوسف برتقيز قدمه الباشا علي بجامع الباي[2] خطيباً وإماماً ومدرساً أواسط صفر الخير سنة 1148 ثمان وأربعين ومائة وألف فزان الجامع المذكور بعلمه وفصاحته.

ولما نعي الشيخ عبد الكبير الصوفي قدمه مفتياً ثانياً عوضه فأقام على الفتيا إلى أن توفي الشيخ يوسف درغوث فتقدم لمشيخة الإسلام سنة 1156 ست وخمسين فزانها بعلمه.

ثم تقدم لمشيخة المدرسة الشماعية سنة سبع وخمسين ومائة وألف بعد وفاة الشيخ حسن البارودي.

---

(1) ترجم له في الذيل (ص 271 ط 2) قبل أن يتصل بعلي باشا، وكان إقراؤه حسبة.

(2) جامع الباي هو جامع باردو.

ولم يزل على مشيخة الإسلام يبث العلم بين الأعلام حتى امتحنه الله بإيداع علي باشا أمانة عنده تبلغ نحو عشرة آلاف بندقي حين أيس من البقاء على الدولة. ولما خرج وعاثت يد الجزيريين بالنهب في البلاد دخلوا إلى دار الشيخ للانتهاب فوجدوا عنده المال المذكور فحملوه لرئيس محلة الجزيريين حسن باي فاتهمه أنه قد استخلص لنفسه أموالاً أُخر وتعمد ضربه بالسياط مع علمه وإشرافه على الثمانين ولم يراقب الله فيه، وكان الأمير محمد الرشيد باي في كرْب عظيم من ذلك مع عجزه عن دفع ذلك عنه حتى أرسل إليه مع باش كاتب الشيخ محمد الدرناوي في السجن يأمره بأن يرسل بالشكاية إلى حاكم الجزائر، وأفضى الأمر إلى إيقاع صلح مع حسن باي باع فيه الشيخ جميع كسبه حتى أمتعة بيته ودفع له الأمير محمد الرشيد لإكمال الصلح ألف محبوب سراً ليعيده من أسر الجزيريين. والله لا يضيع عمل عامل.

وقد لازم الشيخ بيته بعد ذلك ولم يكن للأمير أن يرجعه لمشيخة الإسلام نظراً لما وقع به من الامتهان وإنما أجرى عليه فيوض إحسانه إلى أن توفي، رحمة الله عليه.

- 13 -

الشيخ محمد درغوث[1]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الكبير بن يوسف درغوث رابع الدرغوثيين في الخطة الشرعية، وذلك أنه لما توفي والده سنة ست وخمسين توقف الباشا في تقديمه لخطة الإفتاء حيث إنه لم تسبق له سابقية العلم، وانتظر قدوم الشيخ حسن البادرودي من إسلامبول ليولِّيَه الفتيا وعند ذلك أخذ صاحب الترجمة في القراءة على الشيخ علي بن سلامة وقرأ معين المفتي على الشيخ محمد الأرناؤوط، وما لبث أن جاء خبر نفي الشيخ حسن البارودي

(1) أشار محمد بيرم الثاني في منظومته في المفتين من الحنفية في تونس الخضراء إلى محمد بن يوسف درغوث بقوله:

محمداً أرنوط تلاه محمد ليوسف درغوث غدا ولداً برا

فأعمل صاحب الترجمة الوسائل مع صهره سليمان باي ولد الباشا إلى أن قلده الباشا علي باي الإفتاء وإمامة الجامع اليوسفي وراثة عن والده.

وأقام مفتياً ثانياً إلى أن تبلج صبح الهدى بولاية الباشا محمد الرشيد باي فأخَّره عن الخطة لقصوره، وذلك آخر العهد بالدرغوثيين في الخطة الشرعية وإمامة الجامع اليوسفي بعد أربع وتسعين سنة، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وقد توفي سنة تسع وسبعين ومائة وألف، عليه رحمة الله ورثاه أحد الشعراء بقوله:

[البسيط]

رمسٌ عليه من المولَى جلالاتُ ... لا بَلْ من الجنة الفردوس رَوْضاتُ
مُذْ حَلَّه مَن له بين الورى شرفٌ ... ورتبة دونها الشهب العَلِيَّاتُ
محمدٌ شيخُ الاسلام بن يوسفَ مَنْ ... لذكرهم في العلا والمجد آياتُ
من آل دْرغوث من أمست مناقبهُمْ ... لها على هامة الجوزاء دَوْسَاتُ
توارثتْ منصبَ النعمان كابُرهُمْ ... عن كابرٍ إثْرَه يقفوه ساداتُ
كانت بهم تونسٌ قطَب البلاد وقد ... كانوا إليها بدوراً وهْيَ هالات
مولايَ قَبِّلْهُ بالعفو الجميل فقد ... وافَى لبابك تجدوه الخطيئات
أجابَ دَاعيكَ لمّا أن دعوتَ وما ... سوى الرجا زَادُهُ التقوى وآلاتُ[1]
فَجَازه بالرِّضا إذْ كان تاجَ عُلا ... في حكم شرعك تضنيه الولايات
وقد جزمنا بفألٍ من مؤرخه ... (جزاءُ تاجِ العلا والعلْم جَنّاتُ)

- 14 -

الشيخ حسين البارودي[2]

هو الشيخ أبو محمد حسين بن إبراهيم البارودي بن محمد أصلهم من بلد

(1) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:

سوى الرجا زادوا....لات

(2) أشار إليه الشيخ بيرم الثاني في نظمه للمفتين من الحنفية:

قفاه حسين البارودي وقرينه ... أبو من غدا يَنْظِم الشعرا =

مورة ومنها قدم إبراهيم المذكور وقد حج بيت الله الحرام وكان له أولاد ثلاثة أولهم قارَه مصطفى وقد نشأ في العسكرية وبلغ إلى أن وُلِّي ترجماناً في دريبة الدولاتلي، والثاني حسن وكان عالماً ولي إمامة الجامع اليوسفي ومشيخة المدرسة الشماعية بعد وفاة الشيخ عبد الكبير الصوفي في رجب سنة 1150 خمسين ومائة وألف، وتقدم أيضاً لمشيخة المدرسة العنقية، وكان فصيحاً في اللغة التركية وقد جرى الرسم في الجامع اليوسفي بترجمته الحديث الشريف بها فجرى على ذلك، ومعظّمُ أمْرُهُ عند الترك مدة الباشا لمكان علمه وفصاحته حتى أحسَّ الباشا من إقبال الترك إليه فأرسله برسم شراء كتب من إسلامبول فأدركته الوفاة قرب ساقس فدفن بها.

وأما ثالث أبناء إبراهيم المذكور فهو صاحب الترجمة وقد ولد بتونس سنة 1110 عشرومائة وألف. ونشأ نشأة صالحة وتصدى لقراءة العلم الشريف فقرأ على أعلام جامع الزيتونة حضر على الشيخ علي سويسي عند إقرائه شرح الباشا على التسهيل، وقرأ على الشيخ محمد الحرقافي شرح القطر لابن هشام وملا جامي في النحو، وقرأ الكتاب المذكور على الشيخ حمودة العامري خليفة جامع الزيتونة وتفقه في مذهب أبي حنيفة على الشيخين أحمد الطرودي وإمام الباشا وخطيبه الشيخ ملا باكير، وقرأ على خاتمة المفسرين الشيخ محمد زيتونة، وظهرت براعته وتصدى للتدريس بجامع الزيتونة ثم لازم بث العلم لولا ما عاقه من المحن مدة الدولة الباشية فقد انتهبوا داره وأثاثه وسجنه الباشا مدة ثم نفاه لزغوان ولما ورد خبر وفاة أخيه أرسل بإرجاعه إلى الحاضرة وأولاه إمامة الجامع اليوسفي وروايته سنة 1157 سبع وخمسين، ولم تمض عليه سنة حتى أعاده إلى النفي بزغوان، فبقي هنالك إلى أن انقضت فتنة يونس باي فأرسل إليه وأتى به وأولاه إمامة الجامع الباشي عند عزل الشيخ يوسف القفال وأولاه رواية الجامع المذكور وتدريسَه عند عزل الشيخ محمد الأرناؤوط كل ذلك أواسط رجب سنة سبع وسبعين ومائة وألف.

= وسيأتي لنا نقلاً عن الإتحاف لماذا أولاه محمد الرشيد مفتياً.

ولما وفد على دست الدولة ركاب الرشيد الحسيني وعزل المفتين[1] أولى الشيخ المذكور مشيخة الإسلام وإمامة الجامع اليوسفي وأولاه خطبة جامع باردو المعمور ونقله من إمامة الجامع الباشي إلى إمامة جامع والده الجامع الحسيني والخطبة به وإن بقي له تدريس الجامع الباشي مع تدريس الجامع الحسيني وأعطاه داراً جليلة للسكنى، فساعده الإقبال ببلوغ الآمال وهنأه الشيخ الحاج حمودة بن عبد العزيز في جميع ذلك بقوله:

[الوافر]

تَضَـوَّعَ منبـر[2] تعلوه طيبـا ... غـداة علوتَ ذروتَـه خـطيبَا
وتُـطْربُـه فيهـتزُّ[3] ارتـيـاحـاً ... كمـا قـد كـان أمْلُوداً رَطِيبَا
لِيَهْنَكَ يا إمامَ العصر يـا مَنْ ... بحكم الله مجتهـداً مُصيبـا
فأضحى الدين مَحْمِيّاً مصونـاً ... وقِدْماً كـان قد لاَقَى شُحـوبَا
وأضحى آهـلاً بمـراح أُنْسٍ ... وقبلك كان في الدنيـا غريبـا
ودار قـد حللت بها فَـظَلَّـتْ ... لمـرتـاد العـلا رَبْعـاً خصيبـا
تضم البدر لا يخشى مَحاقـاً ... وتحوي الشمسَ لا تبغي[4] غروبا
قـد ازدحمت بساحتهـا وفـودٌ ... ومـا أحـد تَـوَهَّمَ أن يخيبـا
فَلاقَوْا منـك وَجهاً ذا ابتسـام ... وصـدراً ضُمِّن التقوى رحيبـا
سقاها غيـرَ مُفْسِدهـا سَحابٌ ... يحـاكي جُـودَ رَاحِتِكُمْ صبيبـا
ولا زالت سعـودك في تَـوَالٍ ... وقـد زالت نحوس لن تؤوبـا
تُـبَلِّغ كـل ذي أمـل منـاه ... بعيـداً كـان ذلـك أو قَـرِيبـا

---

(1) جاء هكذا المفتين بدون تفصيل وقد ذكر الشيخ ابن أبي الضياف كيف عزل المفتي أبا عبد الله محمد أرناؤوط الذي طلب بمال كان أودعه عنده الباشا، ونهبه عسكر الجزائر مع ما في داره، ولما ادعى ضياعها لم يصدقه حسن عشي باي فعذبه بالضرب، وقد ناهز الثمانين فافتدى بكل ما عنده ولم يوف ذلك فأعانه محمد الرشيد لكنه عزله عن الإفتاء بسبب ضربه، وقد انتقد الشيخ ابن أبي ضياف عزله بادعاء أنه إهانة مع أن مالكاً لما ضرب زاده ذلك شرفاً.
الإتحاف (ج 2 ص 152).

(2) في الأصل تضوع منبرا.

(3) في الأصل: مهتزا.

(4) في الأصل: لا تبقي غروبها.

وحيث إنه قد اجتمعت بيده ثلاث خطب باشر منها خطبة جامع باردو بنفسه وأناب لخطبة الجامع اليوسفي إمام الخمس به ورواية [الجامع الباشي][1] الشيخ عمر بوشناق، وأناب لوظائف الجامع الحسيني خطيبه الأصلي [خطابة][2] وإمامة ورواية الشيخ محمد قاره بطاق المنقول منها لإمامة الجامع الباشي.

وتصدى الشيخ حسين البارودي للإفتاء وبث العلم وأقرأ بالجامع الباشي الجوهرة على القدوري وعاد للتدريس بالمدرسة الشماعية فأقرأ فيها ملا مسكين على الكنز وتصدى لخدمة العلم الشريف والقيام بخططه أحسن قيام.

وقد كتب رسائل كثيرة في كثير من المسائل الفقهية منها رسالته التي في الردّ على من قال بإبطال حكم القاضي بعد القضاء[3] وقد تنازع في المسألة مع قاضي بارودو إذ ذاك وبعض الشيوخ المالكية، وله رسالة فيمن قال لامرأته أنتِ طالق يا زانية، ورسالة في الشكل المثلث والمربع من الأحواض، ورسالة سماها القسطاس السوي في الصاع النبوي، ورسالة في خُلْع الصبية، وأخرى في أبوة زوج المرضعة، وأخرى في الزايغة[4] وأخرى في حكم الكتابي والصابي والمجوسي، وأخرى في نقل الحاضنة للمحضون، وأخرى في تقدير[5] الشجر المغروس في الأرض المغصوبة، وأخرى في رد الجواري المشتراة بعيب، وقد كتب على قوله تعالى: ﴿والذين تبوّءوا الدار والإيمان﴾، وشرح حديث قتل النملة، وشرح خطبة العيني على الكنز، وكتب في بحث الأمير علي باي في النذور.

وشرح عبارة القدوري فيمن أفسد الركعتين الأخيرتين وكان الشيخ لُطف الله الأعجمي إذ ذاك بتونس سنة ثمان وسبعين فشرحها بغير ما شرحها به الشيخ البارودي، فتعقب شرح الشيخ لطف الله برسالة استدرك من أجلها الشيخ لطف

(1) الجامع الباشي ساقط من الأصل.
(2) خطابة ساقط من الأصل.
(3) في الأصل: الإقضاء.
(4) في الأصل: الزائفة.
(5) في الأصل: تقديم.

الله على رسالته الأولى بما اعتذر به لصحتها، وعند اطلاعه على ذلك الاستدراك رده برسالته الأخرى وأغلظ[1] فيها ما شاء، والمستفاد من جميع ذلك أن اليد لصاحب الترجمة في أصل المسألة الفقهية وإن ارتكب في أثناء ذلك أشياء لا تنهض في الرد لكن على كل حال هي شاهد عدل على فقهه وقد وقفت على تقريظ لهاته الرسالة البارودية من شعر الشيخ محمد الشحمي وذلك قوله:

[الكامل]

غَاصت سوابحُ فكره في أبحرٍ ... من رائق العلم السَّنِي المجْدُودِ
فسعت من الدر الأنيق نفائساً ... مَا رامها إلا بكف الجود
كم حبَّرت أقلامُه بدفاترٍ ... تُهْدِي إليك من العطا الممدود
العالمُ الأسْنَى حسينٌ مَنْ غدا ... في فضله يزهو بغير جُحُود
كَمْ مُشْكِلٍ أَعْيا جَهَابِذَةَ الورى ... أضحى إليه بذلَّةِ المَصْفُودِ
حتى[2] أقر الجاحدون بما رأوْا ... وانْقَادَ للتسليم كلُّ حَسُودِ
لا تعجبوا إن شق مُصْمَتَ صَلْدِها ... شَقَّ الجبال بقوة البَارُودِي

وكتب عليها أحد الشعراء في ذلك العهد بيتين فيهما تعريض بنسبة الشيخ لطف الله للتشيع وحاشاه من ذلك رضي الله عنه وهما:

[الوافر]

إذا نَقَلَ الثقاتُ فُرُوعَ فقهٍ ... مفرَّعَةٍ على أصْل مَتِينِ
فما رَدّ المقلِّد ذاك إلا ... كشيعِيٍّ يرد على الحُسَيْن

ولما تكاثرت عليه الخطط أناب في بعضها من شاء وباشر منها ما شاء[3] وصفا له العيش فيما بقي من عمره وباشر بنفسه إمامة باردو فرتل القرآن بصوته وحسن تلاوته وزان المنبر ببهجته وحسن فصاحته، مع تهذيب العلم وحسن

(1) في الأصل: أغلظ بسقوط الواو.
(2) في الأصل حق.
(3) في الأصل من شاء.

المحاضرة ولطف الفهم وجمال السمت وحسن الإقبال عند الأمير وفاء بما أصابه من الدولة الباشية ترمقه العيون بتعظيم العلم ومزيد الإجلال، ويتوجه إليه العموم في معظم الإقبال. وقد نفع بعلمه وجاهه وقد حج بيت الله الحرام ورجع سالماً، ولم يزل على كماله إلى أن أدركه الأجل فتوفي في ذي القعدة الحرام سنة 1186 ست وثمانين ومائة وألف عليه رحمة الله وقد رثاه الشيخ أبو الفلاح صالح الكواش بقوله:

[الرمل]

ذَا ضَـريـحٌ أمْ ريَـاضٌ لم يَـزَلْ ... من سحاب العفو في وَبْل وطَلّ
خِلْتـه يحـوي الـدراري فَلَكـاً ... حلّه [1] شمس الهدى لكن أفل
ذُو عـلـومٍ وذكـاءٍ وتُـقًـى ... وابـتـهـال وسـخـاء وخَـجَـل
نَسَبُ البـارود[2] فيـه حيـثمـا ... شق في الفتيا مواضيع[3] الحيل
رب لا تقطع شآبيبَ الـرضـا ... عن حسين يـا كـريمٌ لم يـزل
قد مضى يرجو رضا الرحمن أر ... خت: يـا مؤمن[4] بلغـه الأمـل

- 15 -
الشيخ محمد بيرم الأول[5]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرام قدم جده بيرام من القسطنطينية إلى تونس في أثناء الجند العثماني الذي قدم صحبة سنان باشا لفتح قلعة حلق الوادي وافتكاكها من يد الإسبانيوليين سنة

---

(1) في الأصل: حلّة.
(2) في الأصل: البارودي وللوزن تحذف الياء.
(3) في الأصل: مصائب.
(4) في الأصل: يا فوز من.
(5) ترجم له الشيخ ابن أبي الضياف في الإتحاف ترجمة موسّعة اعتمد فيها ما ذكره ابنه محمد بيرم الثاني واستغرقت ترجمته ست صفحات، فهي من التراجم المعتنى بها عند صاحب الإتحاف. (ج 7 ص 30).

981 إحدى وثمانين وتسعمائة، ولما أيدهم الله بالنصر أقام الجد المذكور بتونس وتزوج بها في ثروة واعتبار، ثم إن أبناءه تعاطوا العلم واحداً بعد واحد كل على حسب ما يسر الله له عدا جد صاحب الترجمة فإنه لم يتعاط[1] شيئاً من العلم. أما والده فقد كانت له مشاركة غير أنه دخل في الخدمة العسكرية وكان متقلداً وظيفة أوضه باشي[2] وتولى استخلاص الأعشار على عهد الباشا فصادره في ماله وسجنه إلى أن مات، وكانت زوجته جنات بنت الحاج حسن كحل العيون أمها من آل الشريف الذين مر نشر بعض مناقبهم في آل القسم الأول وهي الشريفة صاحبة الكرامات حُسَيْنة بنت أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم بن محمد بن علي بن الحسن بن أحمد الشريف الهندي المتقدم الذكر ومنهما[3] كان ولده صاحب الترجمة فهو يتصل بآل الشريف من قبل أم أمه.

وقد ولد في شوال سنة 1130 ثلاثين ومائة وألف، ونشأ في طلب العلم فقرأ على الشيخ أحمد اللعلاع المقدمة والمغني والماكودي والأشموني على الألفية وشرح الخزرجية والقلصادي في الحساب والشنشوري على الرحبية، وقرأ على الشيخ علي سويسي المغني والتسهيل، وقرأ على الشيخ أحمد المكُّودي الأشموني على الألفية والتصريح والمحلي ومختصر السعد وعصام على السمرقندية والكبرى وألفية العراقي، وقرأ على الشيخ أحمد الشريف الثاني الفاكهي والعصام على السمرقندية، وقرأ على الشيخ حسين البارودي السابق الذكر الشرنبلالي في العبادات ومختصر القدوري والعيني على الكنز وابن فرشته على المجمع وصدر الشريعة، وروى صحيح البخاري عن غالب شيوخه المذكورين، وقد قرأ على غير هؤلاء.

وطلع شمساً في أفق العلوم، فوضح طريق المنطوق والمفهوم، غير أنه أصابته محن الدولة الباشية وذلك أن الباشا لم يسمح له بإخراج والده من السجن

---

(1) في الأصل: فإنه يتعاطى شيئاً.
(2) أوضة باشي.
(3) في الأصل منها.

بعد وفاته إلا أن يسجن عوضه ولده صاحب الترجمة، فأقام في السجن صابراً يطالع الكتب ويحرر المسائل ثم خرج من السجن وأولاه الباشا تدريس مدرسته الحنفية عند عزل الشيخ محمد المحجوب سنة 67 سبع وستين فختم بها صحيح البخاري وهنأه بذلك الشيخ أبو محمد حمودة بـن عبد العزيز بقوله:

[الكامل]

زَمنَ الـوصال وعَهْـدَ أيام الصِّبـا ... يَسقيك عهدُ الغيث ساقته الصَبَّا
من لي بها أيَّام عهد قد مضت ... ما شِمْت[1] فيها برق وصل خلّبا؟
أيَّـامَ ما ظـلّ[2] المنـامُ محـرمـاً ... عَنِّي ولا أمسَى الحبيب مُحَجَّبـا
فِي حَيثُ زَهْرُ الروض بلَّله الندى ... والشمس تلثم منـه ثغـراً أشْنَبـا
والظَّلُّ مسكٌ بث[3] في ديباج نبـ ... ـت[4] ظلَّ منشوراً على تلك الربى
يُشتَمُّ بالأجفان فاعجب مثل مـا ... قـد شُمّ بالآذان[5] مـسكاً طيبـا
بفِنـاء مـدرسـة المعـظم قـدره ... البـاشـا أمـير المؤمنـين الأغلبـا[6]
ملك الملوك وخير من قاد العسا ... كر في الوغى أُسُداً وزان الموكبا
يـا حُسْنَها عَـزَّتْ وعز نـظيـرهـا ... لمـا غدت بـالعلم ربعاً مخصبـا
قد زانها المـولى الهمام محمـد ... ذاك الأغـر الألمعي الأكتبـا[7]

---

(1) في الأصل وأشمت والصواب ما أثبتناه من الديوان.
(2) في الأصل:

أيام واصل المنام محرّما

وقد صححت بما أثبتنا ويمكن أن يكون التصحيح هكذا.

أيام ما وصـل المنام محرّما

لأنه أقرب إلى الأصل وكذا من حيث المعنى، والذي في الديوان ما صححنا به أولاً.
(3) في الأصل: فت والتصحيح من الديوان.
(4) في الأصل: في ديباج نفت.
(5) في الأصل: بالأجفان والتصحيح من الديوان.
(6) لا وجه لنصب الأغلب لأنه وصف لما هو مجرور.
(7) الصواب الأكتب بالضم ويكون في البيت إيطاء.

العـالم النحـريـرُ والحبْـرُ الـذي ... لبـديع أبكـار المعاني قـد سبى
العِلْمُ في مَغْنَاه ألقى الرَّحْلَ والـ ... مجـد المؤثـل في ذراه طَنَّبَـا
كشَّافُ (أسرار البـلاغة) مـوضح ... (لدلائل الأعجاز) مجلي الغيهبا[1]
يا محرزاً قصب السباق وحائـزاً ... فضل الرئاسة حين شاد المذهبا
يهنيك يا مولاي ذا الختم الذي ... لَيس الـزمان بـه طـرازاً مُـذْهبـا
أوْضحت فيه من الحديث غوامضاً[2] ... دَقَّت فعنهـا كـل عقـل قـد نَبَـا
إن البخـاري لـو رآك مـقـرراً ... لصحيحـه لغـدا بفضلك مُعْجَبـا
ذاك الإمام الحافظ اللذ قد قضى[3] ... من كـل عليـاءٍ وفَخْـر مَـأرَبَـا
قد كان رافـعَ رَايَة العلم الجليـ ... ـل وسنـة الهادي النبيّ المجتبى
خيـرِ الأنامِ محمـد المختار مَنْ ... سجَـد الجماد لـه وكلمه الـظَّبَـا
صـلى عـليـه الله والآل الألـى ... نصروا الشريعـة بالأسنـة والظُّبَى
مـا حن صب أو تـذكـر مغـرم ... زمن الـوصال وعهـد أيام الصبـا

وقد أقرأ الشيخ بالمدرسة المذكورة شرح العيني على الكنز ولما ختمه هنأه بذلك الشيخ أبو الحسن علي الغراب بقصيدة ضمنها التبري مما رماه به وهذا نصها:

[الطويل]

كفى الإثمَ بعضُ الظن كيف[4] التوهمُ ... أيـرضى لَبيبٌ بـالمَـظَنَّـة يـأْثَمُ؟
ومَنْ يرم ضوء النيّرين[5] فَلَمْ يَزَلْ ... بمقت الورَى يُرمَى ولم يك[6] يكرم
إذا مس عِرْضَ الحُرِّ مر[7] مقالة ... فليس لـحـرٍ للمسـاس[8] تـألم

(1) الصواب مجلي الغيهب لأنه مضاف إلى مجلي فيكون في البيت إيطاء.
(2) في الأصل: فحوامض.
(3) في الأصل: الذي قد مضى.
(4) في الأصل: فيك والتصويب من الديوان.
(5) في الأصل هكذا:
ومن يرم البرين فلم يزل.
(6) في الأصل: ولم يكن.
(7) في الأصل: حر مقالة.
(8) في الأصل: فليس بحرب المساس.

فما شرف الياقوت بالنار[1] مؤلمٌ ... ولا الذهب الإبريز بالسبك يهضم

ولا لضياء النيرين إذا بدا ... خُسُوفُهُمَا عيب به الضوء يُوسَمُ

وما نقص حد السيف [بالسَّنِّ][2] مُنقص ... ولكن يُرى في فعله وهو أصرم

ومَنْ شَتَم الدُّرَّ النفيسَ فلا يَرَى ... له شَاتِماً بل شاتم[3] الدر يشتم

لئن يحل قدْحي[4] في لسان فربما ... حلا[5] وهو يحوي ناقع السم مطعم

وإن لسعت عرضي عقارب ألْسُنٍ ... فإن لساني في اللواسع أرقم

وما ثوب عرض الحر لطخ بالخَنَا ... به غير مَطْلِيٍّ به يتحتم[6]

لئن قذفوا رَجْماً فشهب مقاولي ... بهن شياطين[7] القواذف تُرْجَمُ

سيعلم من ألقى مَواقِدَ رِيبةٍ[8] ... عَلَيَّ بمن تلك المواقد تُضْرم

إلى أنْ يظن المحرَقُون بنارها ... عليهم كأنّ البَرْدَ منها جهنم[9]

همُ قصدوني بالإذاية واجْتَرَوا[10] ... على حسدٍ منهم وما كنت أعلم

كفانيَ ضَرَّ الحاسدين عَذَابُهُمْ ... بفضلٍ ولم يُحْظَوْا بما أنا مُنْعم[11]

دعاهُم نسيبُ الشعر منّي لريبةٍ ... (أكل فصيح قال شعراً متيَّم)

لئن كان لي في الشعر فسق وريبةٌ[12] ... فإنّ ضميري بالعفاف مُسَلَّم

---

(1) في الأصل: بأنها.

(2) في الأصل: بياض.

(3) في الأصل: بالشاتم.

(4) في الأصل: مثلي.

(5) في الأصل: حلّ.

(6) جاء هذا البيت في الأصل محرفاً هكذا لا يكاد يقرأ.

وما ثوب عرضي الحر نطح بالخنى ... به غير يطلي به تتحم

(7) في الأصل: بمن شياطين.

(8) في الأصل: سيعلم من أسنى حواقد ديبه.

(9) جاء هذا البيت في الأصل هكذا:

إلى أن يظن المحزنون بنارها ... علم كأن البرد منها جهنم

(10) في الأصل: وأخبروا.

(11) في الأصل: متهم.

(12) في الأصل: وزينة.

نعمْ أنـا أهوى كـل أحْورَ أغيـدٍ ... به ينقض[1] الصبر الجميل ويُبْرِمُ
فما الدر إلا من سناه ولم تمل ... غصـونُ الـرُّبَى إلا عليـه تُسَلِّمُ
يحلُّ عُرى[2] صبري وحلمي بوجهه ... ربيـعُ بَهَـا، لَكِنْ عَلَيَّ مُحـرَّم
يـظن وفي بعض المـظنـة مـأثَمٌ ... تسليت أو بحت الذي كنت أكتم
فـدع ظن سلواني وأيقن بضـدّه ... بَلَى أنـا صبٌّ في الصبابة مغرم
إذا صد عني صُمْت عن مطعم الكرى ... وإن يرض[3] فهو العيد عندي وأعظمُ
فيا عجباً مني أرى الصوم هجره ... وعيديَ منه الوصل والعيد بيرم[4]
عنيت أبا عبد الإلٰـه محمداً [5] ... بـه مذهبُ النعمـان يُبدَا ويُختم
به رمزُ عين (الكنز) في الفقه قد غدا ... يصرّح [6] بالمعنى الخَفِيّ ويُعْلِم
تَحَلّى به (صدر الشريعة) إذ بدا ... بـه منتقى الـدر اليتـيم يـبسّـم
تجمع فيه العلم والفضل فاغتدى ... به (مجمع البحرين) في الناس يعلم
إذا أظلم المعنى (فمصباح) ذهنه ... (لمنهاجه) يهـدى به وهـو مُظلم
سـراج بأفق الفهم (نهـرُ) فـوائدٍ ... (وبَحرٌ) بأمواج المعارف خِضْـرِمُ
لـه فضُّ أبكـار الفتـاوي لأنـه ... أبـو عُذرهـا مـا دام فيهـا تَختُّم
تـراه بتحـقيـق العـلوم كـأنّمـا ... أدِلَّـتُـه شـمسٌ وبدر مُتَمَّمُ
فأما أصولُ الدين تُدْرَى فروعهـا ... به وأصول الفقـه مِنْ فيه تـرسم
وللنحـو أضحى والبيـان تفـاخـرٌ ... به إن بدوا والخصم فيه يُخَصَّم[7]
أمـولايَ هذا الختمُ ختمٌ مبـارك ... عليـك به نشـر الثنا ليس يُكْتَمُ

---

(1) في الأصل: ينقص بالصاد.
(2) في الأصل: يمل عمري.
(3) في الأصل: وإن يرضي.
(4) ما أثبتناه هو ما في الديوان وفي الأصل والوصل يبرم.
(5) في الأصل: محمد.
(6) في الأصل: يفرج.
(7) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:
بـه حيث بـدء الخصم فيمن يخصّم

ختمتَ به (العيني) على الكنز فاغتدى غنياً عن العلم الذي فيه مُعْدم
فلا زلت إكليلاً على هامة العُلا يعز بكم عصر الزمان ويَفخم
ولا زالت العلياء مِلْكَ يمينكم تصرفها فيما تشاء فتخدم
وصل على خير الأنام محمدٌ شفيع الورى في الحشر والخطبُ مظلم

ثم أراد الباشا إعادته للسجن فالتجأ إلى زاوية الشيخ سيدي منصور بن جردان[1] رضي الله عنه، وأقام هنالك ملازماً بث العلم ومطالعة الكتب إلى أن انجلى ذلك الغمام. وساعد الإقبال بدخول الأمير محمد الرشيد الحسيني أوائل ذي الحجة الحرام سنة 1169 تسع وستين ومائة وألف فأمر بإخراجه من الزاوية وقدمه مفتياً ثانياً.

وأقام على الإفتاء وتحرير المسائل والتأليف إلى أن توفي شيخ الإسلام البارودي فقدمه الأمير علي باشا لمشيخة الإسلام في ذي القعدة الحرام سنة 1186 ست وثمانين ومائة وألف.

وكان ملازماً بث العلم فتخرجت عليه فحول كثيرون ولازم المطالعة وشرع في عدة تآليف أتم منها «اختصار أنفع الوسائل» للطَرَسُوسي[2]، ورسالة في السياسة الشرعية، ونظم مسائل كثيرة، وله شعر ونثر جيد. فقضى عمره في تدريس وتأليف وفتوى.

وقد كان مَرض، وعُوفيَ من مرضِه سنة 1184 أربع وثمانين ومائة وألف فهنأه الشيخ أحمد سُمَيَّة بقوله:

---

(1) الشيخ منصور بن جردان من الأولياء وكانت وفاته سنة (904 هـ) وزاويته معروفة إلى الآن قال في الخلاصة النقية هي حول حوانيت الفار من الربض القبلي، وكانت وفاته في مدة السلطان محمد ابن الحسن الحفصي ومدة ولايته (899 ـ 932) وكانت أيامه حين ضعفت الدولة الحفصية.
الخلاصة النقية (ص 84).

(2) أنفع الوسائل إلى تحرير المسائل في الفروع الحنفية للقاضي إبراهيم بن علي الطَرَسوسي (ـ 758 هـ) قال في كشف الظنون وهو مختصر نافع، الكشف (ج 1 ص 183). وقد سمّى الشيخ بيرم الأول مختصره ببغية السائل باختصار أنفع الوسائل لتحرير المسائل وفي خزانة كاتبه نسخة منه.

[الطويل]

علومُ الهدى أضحى كمالُ كمالها ... مُنيراً وأمسى سيفها[1] غيرَ مُغْمَدِ
وقد عادت الفُتْيَا لعادتها على ... مِنصَّتها في ثوبِ حسنٍ مُجَدّدِ
تبسم من بعد التعبس[2] ثغرها ... فلاح لتاريخي: (شفاءُ محمدِ)

وقد امتحن بفقد ولده حسين في مبدإ شبابه فأرخه الشيخ محمد الورغي بقوله:

[الوافر]

ترحَّمْ إن وَقفت هنا وسلّمْ ... وعاين بالتراب فتى مُكَرَّمْ
عزيز عاقه ذا الموت[3] قسراً ... ولو سلم ابن أنثى كان أسلم
نَبِيهُ البيت لم يحتج لعذر ... ولا بالهُجْرِ في الدنيا تكلَّم
تكهّل في الشباب وحين طابت ... به الأيام طلقها وتَمَمْ
وكان أبوه يأمَلُ أن يراه ... وحيداً في الكمال فكان ما لم...
وليس يموت من هذي[4] حلاه ... ولكن نام عن زمن مُجَذَّم
لذلك قال من يَدْريه أرِّخْ: ... (عزيز الناس مات حسين بيرم)

وقد بلغ صاحب الترجمة أربعاً وثمانين سنة قضى منها في الفتوى خمساً وأربعين سنة، وكان وَرِعاً ثَبْتاً عُمْدَةً حاملاً لراية مذهب أبي حنيفة، على طريقة بديعة ومَكْرُمة شريفة، إلى أن توفي يوم الأربعاء آخر شوال سنة أربع عشرة ومائة وألف، ودفن بتربته المجاورة لزاوية الشيخ عبد الرزاق قرب دار الآغة ورثاه العالم الشريف الشيخ عمر المحجوب بقوله:

---

(1) في الأصل: بيعها.
(2) في الأصل: التفسس.
(3) في الأصل: عزيز عامة بالموت، والتصحيح من الديوان.
(4) في الأصل: يهذي.

[الكامل]

جَفْنُ المنية ليس بالوسنان ... يصمي[1] بسيف صارم وسنانِ
ومن المقابر[2] لو علمتَ منابرُ ... للدهر يخْطُبُ فوقها ببيان
(يا أيها الإنسان إنك كادح) ... فانظر بعينك غاية الإنسان
وتناقص الأرضين من أطرافها ... يدعو الورى للزهد في العمران
فانظر جبال العلم وهي شوامخٌ ... قد سُيِّرت للمحشر المتواني
وانظر إلى مفتي الأنام محمدٍ ... أضحى رهينَ الترب والأكفان
لَهْفِي على البحر ابنِ بيرمَ غُيِّضتْ ... منه علوم الدين والأبدان[3]
قد كان للمفتين منه (هدايَةٌ) ... (ونُقَايَةٌ) (وَوِقاية) اللّهفان
قد كان في الفتيا عماداً عمدةً ... (صدرَ الشريعة) غرّة الأعيان
قد كان قطبَ مدارها عجباً له ... وهو (المحيط)(بكنز) هذا[4] الشان
يا مسبلَ العَبرات عند مصابه ... بالله لا تُغنيك[5] في السّلوان
ما دُرّهُ المختار يُسْلِي فقده ... درر الدموع بمحجر الأجفان
فاستنزلِ الرحمات عند ضريحه ... واقْرَأ له شيئا من القرآن[6]
يا رب قدّسْ سرَّه ومقاله ... واخلعْ عليه ملابس الرضوان
أحسنْ عزاء القائلين[7] وأرِّخوا: ... (لهفاً لحامل[8] مذهب النعمان)

---

(1) في الأصل: يصبي، والتصحيح من تعريف بيرم الثاني لبيته.
(2) في الأصل: المغارب.
(3) ورد هذا البيت غير مستقيم المعنى هكذا:

لهفي على التحرير ابن بيرم ... فقه العلوم الدين والأبدان

والتصحيح من تعريف بيرم الثاني لبيته.
(4) في الأصل: ذي.
(5) في الأصل: لا تغتّر.
(6) في الأصل: من العمران.
(7) في الأصل: السائلين.
(8) في الأصل: لهفاً بحامل.

- 16 -

الشيخ محمد المحجوب[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد الملقب بالمحجوب الحنفي. تصدى لقراءة العلم الشريف، فقرأ على الشيخ يوسف برتقيز والشيخ محمد الأناؤوط، وتفقه عليهما في مذهب أبي حنيفة، وقرأ المعقول على الشيخ حمودة العامري والشيخ قاسم بن عبد الملك وغيرهما من علماء ذلك العصر. وكان مشاركاً خيراً كثير الاعتقاد في أرباب الأحوال.

ولما أتم الباشا علي بناء المدرسة الحنفية التي قرب جامع الزيتونة بالقشاشين أولاه مشيختها سنة 1166 ست وستين ومائة وألف، وكان يكشف رأسه كثيراً ويختلط بطلبة المدرسة فيطوف بيوتهم واحداً بعد واحد، وربما ترك عمامته في بيت أحدهم وهو لا يشعر وخرج صاحب البيت بعد أن قفل بيته فيبقي الشيخ كذلك بقية يومه وربما عطش فخرج إلى الاستقاء من السقاء الذي يأتي للحمام أمام المدرسة وهو مكشوف الرأس، وبهاته الأحوال عزله الباشا.

ولما عزل شريف المختار من نقابة الأشراف قدم صاحب الترجمة لنقابة الأشراف.

ثم لما توفي الشيخ أحمد الطرودي ولي خطيباً بالجامع الباشي في رجب سنة 1167 سبع وستين ومائة وألف.

ولما توفي شيخ الإسلام البارودي وتقدم لمشيخة الإسلام البيرمي السابق قدم الأمير علي باي صاحب الترجمة لخطة الفتوى في ذي القعدة الحرام سنة 1186 ست وثمانين ومائة وألف، واستمر على خطته إلى أن أصابه الطاعون الجارف سنة 1189 ثمان وتسعين ومائة وألف عليه رحمة الله.

---

(1) ترجم له في الإتحاف نقلاً عن الشيخ بيرم الثاني في شرح قوله في نظم المفتين:

محمد المحجوب ثم محمد

الإتحاف (ج 7 ص 16) وذكر هناك أنه كان متوسط الملكة، وذكر أنه استقى ترجمته من الشرح البيرمي لنظم المفتين.

- 17 -

الشيخ محمد البارودي[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن حسين بن إبراهيم البارودي تربى في حجر أبيه واعتنى بتربيته وجود عليه القرآن العظيم كما جوده أيضاً على الشيخ حمودة إدريس، وقرأ العلوم على والده مدة حياته، وقرأ على أعلام أُخَرَ منهم الشيخ صالح الكواش والشيخ محمد الدرناوي والشيخ أحمد السوسي وغيرهم وتفقه وحصل.

ودرس بجامع الزيتونة والمدرسة الشماعية فأقرأ الفقه والأصول، ولما توفي والده استقل بمشيخة المدرسة الشماعية وخطبة جامع باردو. ثم قدمه الأمير علي باي مفتياً ثالثاً أواخر سنة 1190 تسعين ومائة وألف فجرى مجرى والده في حسن الصنيع ثم في عام أربعة وتسعين ومائة وألف، ولي إمامة الجامع الباشي وتدريسه، وأولاها لولده أبي عبدالله مَحمد بالفتح، وقد هنأه بذلك العالم الشيخ محمد بيرم الثاني بقوله:

[الطويل]

قد نلتَ في ابنك مثل ما قد ناله ... فيك الإمام أبوك أعظمُ مَاجِدِ
وغدوت تدعى بالخطيب وبابنه ... وأبيه والعليا تنال بواحدِ
والعادة اطَّرَدَتْ وذلك مُنبئٌ ... أنَّ الحفيدَ كذا برغم الحاسد

لكن قد أصيب الشيخ في ولده المذكور فتوفي شاباً سنة 1207 سبع ومائتين وألف ورسم على قبره قصيدة لطيفة وهي:

[الرمل]

قِفْ وَزُرْ مَنْ حَلَّ في هذا المكان ... واقرأ القرآن والسبع المثانْ
واسأل الرحمن من إفضاله ... رحمة تنمو على مر الزمان

(1) ترجم له في الإتحاف ترجمة مستقاة من شرح بيرم الثاني لنظمه في المفتين، الإتحاف (ج 7 ص 40).

ذا ضريح مشرق قد حله ... واعظ حبر خطيب ذو بيان
ذو العُلاَ محمد ذاك الرضا[1] ... والسليمُ الصدر والعذب اللسان
الذي يدعى بباوردي [2] ومن ... في الورى قد حاز شاناً أي شَان
الخطيبُ ابن الخطيب ابن الخطيبْ[3] ... الذي ما إن له في العصر ثان
خاضَ في بحر علوم زاخرٍ ... طالما حرر بحثاً وأبَان
إن رَقَى عن منبر يَسْبي النهى ... بعقود من لآل وجُمَان
عَمَّر الوقت ببر وتقى ... ودروس [4] لعلوم ومعان
جاءه داعي المنايا سرعةً ... فغدا وهو له ثاني العِنان
فأتى جنة فردوس وقد ... فاز بالولدان والحور الحسان
فإذَنْ[5] قد قلت في تاريخه: ... (قمر قد حل فِرْدَوْسَ الجِنان)

ثم في سنة 1198 ثمان وتسعين قدمه الأمير مفتياً ثانياً لوفاة من قبله ولازم الإفتاء والتدريس إلى أن توفي شيخ الإسلام البيرمي فقدمه الأمير حمودة باشا لمشيخة الإسلام صبيحة يوم الجمعة وهو يوم التروية من ذي الحجة الحرام سنة 1214 أربع عشرة ومائتين وألف فنسج على منوال والده بوجاهة ومُروَءةٍ وتحصيل في العلوم وفصاحة لسان، يستلين الصخر بتلاوة القرآن، وحسن صوت لم يسمع مثله في العصر الغابر، تقعد دونه ألباب الألباب إذا قام على المنابر.

وقد ألف رسالة في رؤية الهلال وأخرى في مسائل الحيطان[6]، وله أختام على أبدعِ نظام، فقد ابتهجت ببهجته الليالي والأيام، وصاهر بابنته الأمير حَمُّودة باشا فنال غاية الاحترام، وقد رزق منها بولد سماه محمداً وتوفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم سنة 1215 خمس عشرة.

---

(1) في هذا الصدر اختلال في الوزن.
(2) تحذف الياء من الباروردي لأجل الوزن.
(3) سكن الخطيب الثالث للضرورة.
(4) في الأصل: وبدروس.
(5) في الأصل: فازاذ.
(6) في الأصل: الحيطات.

وقد نال الشيخ من إقبال دنياه غاية المرام، وتقلب في النعم الجسام، إلى أن أدركه الحمام، يوم الثلاثاء سابع عشر ثاني ربيعي سنة 1216 ست عشرة ومائتين وألف، عليه رحمة الله وأرخ وفاته العالم الشريف الشيخ عمر المحجوب بقصيدة قال في تاريخها:

[الطويل]

وقال بشير الحال فيه مؤرخاً: (أُعِدّت[1] لَهُ دارُ السلام ونزلها)

ورثاه أيضاً أخوه العالم الشيخ أحمد البارودي بقوله:

[الطويل]

قفا بضريح ضم نور محمدِ ... شقيقٌ لِبَدْرٍ لا أقول لفرقد[2]
جميلٌ عفيفٌ ذو وقار مقرر[3] ... عزيز كريم ذو فخارٍ وسؤددِ
جليلٌ مهاب في القلوب معظَّمٌ ... إذا ما بدا فرداً على كل مُفْرد
فقف خاشعاً واعلم بأن مصير ذا ... إلى مثلِ هذا المصرع المتوحّدِ
وعِظْ واتَّعظْ وانهض إلى الفوْز بالتُّقى ... كما كان ذا بالبر والمجد يرتدي
هو العَلَمُ العلامةُ الفاضلُ الذي ... علمتُ به علماً به كنتُ أهتدي
محمد البارود (ي)[4] يا طيبَ مَحتِدٍ ... له، ابن حسين سيّدٌ وابنُ سيّدِ
رئيسٌ لعلم الشرع من بعد والدٍ ... فكان بحمد الله أكرمَ مقتد
تصدَّر للإفتاء لما بدت لنا ... عوائصه[5] قد كان أرْشَد مُرْشِدِ
لِمَا كان فيه من صلاحٍ وعفةٍ ... وذهنٍ منير ثاقبٍ متوقِّدِ
فكان بفضل الله فيه مثابراً ... على الحقّ يرويه برأي مسدَّدِ
وقد كان في فنّ التلاوة آيةً ... تحرَّى بها فضلاً على كل مَحتدِ

---

(1) في الأصل: أعددت.
(2) في الأصل: بفرقد.
(3) في الأصل: مغرر.
(4) تحذف الياء للوزن.
(5) في الأصل: عواضه.

بكته المعالي والمنَابر مذ بدا لها ... لهـا نعيـه: وافـرقَتَـاهُ لمُنْشِـدِ
كذاك محاريب المساجد هُدِّمت ... ولم تـر فيهـا بعـده من مُجَـدِّد
فطبتَ أخي حيّـاً وميْتـاً ومُبْعَثـاً ... وجـوزيت بالقـرآن قربـاً لأحمـدِ
كذاك شقيقي قلت فيك مؤرخاً: ... (قُبِلْتَ بِقُـرْآنٍ جـوارَ محمـدِ)

- 18 -

الشيخ محمد بيرم الثاني[1]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرام تقدمت ترجمة والده شيخ الإسلام الأول.

وقد ولد ولدُه هذا في السادس عشر من ذي القعدة الحرام عام 1162 اثنين وستين ومائة وألف[2]، واعتنى والده بتعليمه فقرأ القرآن العظيم وجوَّده على أعيان منهم الشيخ محمد قاره باطاق، وقرأ على الشيخ عبد القادر العريان صغار كتب النحو إلى الشذور وشرح الشيخ في الكلام، وقرأ على الشيخ قاسم بن عاشور أيضاً صغار كتب النحو، وقرأ على الشيخ أحمد سويسي الفاكهي والألفية والتصريح، وقرأ على الشيخ الكواش القطر والفاكهي والعصام ومختصر السعد ونبذة من المطول ومختصر ابن الحاجب[3]، وقرأ على الشيخ أحمد الثعالبي مختصر السعد والكبرى، وقرأ على الشيخ محمد الدرناوي التهذيب والوسطى ونبذة من مختصر السعد، وقرأ على الشيخ محمد الشحمي دروساً من التهذيب والقطب والمطالع والكبرى. وقد تضلع من معقول العلوم ومعقولها، وحصّل ما بلغ به الغاية في فروعها وأصولها، حتى صار مشاراً إليه في سائر العلوم، عمدة المنطوق والمفهوم.

---

(1) ترجم له في الإتحاف ترجمة اعتمد فيها على ما كتبه الشيخ بيرم الثاني بنفسه في ترجمته مع إضافات، (الإتحاف ج 7 ص 158).
وقد أطال المؤلف في ترجمته، فهي واسطة عقد التراجم من المفتين الحنفية.

(2) جاء هنا غلط فاحش وهو أنه ولد عام (1262 هـ) اثنين وستين ومائتين وألف مع أن وفاة الشيخ بيرم الثاني (ـ 1247 هـ) فيكون ولد بعد أن توفي، وجاء هذا التصويب بخط إضافي غير خط المؤلف.

(3) المراد المختصر الأصولي.

وقد أخذ صحيح البخاري عن والده ونظَمَ[1] سنده فيه بقوله:

[الرجز]

سَنَدُ هذا العبد في البُخَاري ... عن وَالِدِي صين من الأكدار
قراءة لبعضه[2] والبعضُ قدْ ... أجازني فيه بوجه معتمدْ
وَهْوَ رَوَى عن شيخه المَكُودي ... عن الحُرَيْشِي العَلَم المَقصودِ
عن شيخه الفاسيّ عَبْدِ القادر ... عن عابد الرحمٰن[3] ذي المفاخر
عمٌّ أب له عن القَصَّار[4] ... عن شيخه خروف[5] النظار
عن شيخه الفخر سقين[6] العاصمي ... عن زكريا[7] الفذّ ذي المكارم
عن حافظ الدنيا الإمام ابن حجر، ... لعسقلانَ الفخرُ إذْ منها ظهر
عن التّنوخيّ[8] عن الحَجّارِ ... عن الزَّبيدي الشائع الأذكار
ذا عن أبي الوقت عن الداوُودي ... عن السَّرَخْسي المنهل المورود
عن الفِرَبْريّ عن البُخاري ... دامت عليه رحمات الباري[9]

وجلس للتدريس وعمره ثماني عشرة سنة، فقَلَّد الرقاب من در علومه

---

(1) في الأصل: نظم سنده بسقوط الواو.

(2) في الأصل: رواية عن بعضه والتصحيح من المؤلف بيرم الثاني في التعريف بنفسه ونسبه.

(3) في تعريف بيرم الثاني لنفسه قوله عن عابد الرحمن هو عبد الرحمن وعبر عنه بعابد لضرورة الوزن وهو عم الشيخ عبد القادر الفاسي.

(4) القصّار هو محمد بن قاسم القيسي الشهير بالقصار المحدث (ـ 1012 هـ) وقد نظم سنده عن خروف التونسي في قوله:

رويت عن محمد خروف ... عن الطويل القادر المعروف

وجاء في الأصل هنا عن الغفار عوضاً عن القصَّار.

(5) هو محمد خروف الأنصاري التونسي نزيل فاس (ـ 966 هـ).

(6) في الأصل: سفيان والصواب سقين.

(7) هو القاضي زكرياء.

(8) في الأصل: بياض، وما أثبتناه هو ما في التعريف.

(9) في نسخ من التعريف زيادة بيت بالهامش وهو:

بيني وبين الشيخ سبعة عشر ... واسطة كل بفضله اشتهر

النفيس ما شئت من تدقيق وتحرير، فاق به[1] الجهابذة النحارير، وما شئت من أدب يملأ المحاضر، ومتانة علم تخلدت آثارها في بطون الدفاتر، تحريراتُه في المذهب النعماني بالديار التونسية هي التي عليها اليوم العمل، وكَمْ له في ذلك ممَّا يبلُغُ به المتحري في دينه غاية الأمل، وقد كتب على شرح الشيخ قاسم لمختصر المنار الأصولي شرحاً بديعاً [2]، وشَرَحَ رسالة الشيخ لطف الله الأرزويلة في الترتيب بين الفوائت، وكتب رسالة في شرح عبارة الدرر في الطير[3] ورسالة نيل المنى في استحقاق المُشْتَرَى بعد البنا، ورسالة القول الأسد في حكم الميت في الوقف من غير ولد، ورسالة تحقيق المقال في حكم المغارسة والاستنزال، ورسالة تحقيق المناط في عدم إعادة الساباط، ورسالة حسن الحط على توهم جواز الاحتجاج عندنا بالخط، ورسالة فيما يلحق من الطلاق المُرْدف، ورسالة فيما يرجع فيه الدافع عن غيره وما لا يرجع، ورسالة [4] الوفا بأحكام بيع الوفا، ورسالة في السفينة التي استؤجر[5] ملاحها على تبليغ متاع لموضع معين فغرقت هل له أجر أم لا وسماها «طلوع الصباح على المتحير[6] في أجر الملاح».

وقد قرظها والده شيخ الإسلام الشيخ محمد بيرم الأول بما نصه: حمداً على نعمه التي لا تحصى، وآلائه التي لا يمكن بالعد أن تستقصى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي الشرف والكمال، وعلى جميع أصحابه والآل. وبعد فقد أجلت فكري في مطاوي[7] هذا الوَرَق، الذي هو باسم الوَرِق أحق، فالفيته أنبأ عن[8] فكرِ ألمعي، وذكاءِ لوذعي، إذ أخذ بجميع أطراف مسألة السفينة،

---

(1) في الأصل: فاز به.
(2) من هذا الشرح نسخة في الخزانة.
(3) في الأصل: في الخيط.
(4) في الأصل: ورسالة بيع الوفا والصواب ما أثبتناه من حذف كلمة بيع قبل الوفا.
(5) في الأصل: استوجي.
(6) في الأصل: على المتخيّر.
(7) في الأصل: معاوي.
(8) في الأصل: عن أنبأ فكري والصواب ما أثبتناه.

وتمكن بمتعلقاتها مُكْنةٍ مكينة، وصدق فيها المثل السائر، «كم ترك الأول للآخِر» أشكر الله تعالى على هذه النعمة الحميدة، شكراً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، أنْ أهَّلَ وَلَدِي ثمرة عمري، وجلاءَ بصري، لهذا الجمع الغريب، والأسلوب العجيب، في التفرقة بين المخطىءِ في هذه المسألة والمصيب، فرفعت أكف الابتهال، إلى الكريم المتعال، في أن يمتع المسلمين بطول وجوده، ويُفيض عليه سحائب كرمه وجوده، ويوفقه لما فيه رضاه، ويتولى حفظه في دنياه وأخراه، انتهى.

وآدابه قد خلدت آثار البلاد، بأبدع طريقة تستجاد، فقد نظم ملوك الدولة التركية بتونس، وشرح نظم المفتين الحنفية خاصة بها وشرحه المذكور هو الذي دعاني إلى تحرير هاته العجالة ولكن أقول:

[البسيط]

وَابْنُ اللَّبُون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع[1] صولَة البُزل القناعيس

أستغفر الله أن أكون محاكيَهُ، وأين الثريا من يد المتناول.

وكتب رسالة في التعريف بنسبهم البيرمي أودعها جميع ما مُدح به هو وما قاله من الشعر الرقيق مما أغناني عن ذكر ذلك هنا.

ونظم سلاطين آل عثمان[2]، وله نثر وشعر رقيق يُزري بكأس الرحيق.

وقد قدمه والده لمشيخة المدرسة العنقية[3] وخطبة الجامع اليوسفي وقد أخذ عنه خلق كثير وانتفعوا بعلمه.

---

(1) في الأصل: لم يستطيع.

(2) أول هذا النظم:

أقدّم قبيل القصد شكرا لمنعم علينا بما أربى على كل أنعم

وهذا النظم ذكره في كتابه التعريف بالبيت البيرمي.

(3) المدرسة العنقية من أقدم المدارس تأسست في العهد الحفصي وقد أقرأ بها الشيخ محمد بن عبد السلام الهواري (ـ 749 هـ) وهو صاحب الكتاب الجليل شرح جامع الأمهات ونرجو الآن أن تعود إلى أنها مكان علميّ.

وفي صبيحة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة 1192 اثنتين وتسعين ومائة وألف قدمه الأمير علي باي لخطة القضاء فأحسن القيام بها وتحرَّى لدينه فكان من قضاة العدل إلا أنه لم يرض البقاء على تحمل أخطارها واستقال منها بمكتوب بديع كاتب به الأمير وهذا نصه:

«أما بعد حمد الله مقيل المستقيل من العثار، وغافر ذنب التائب بعد الإصرار، والصلاةِ والسلامِ على سيدنا محمد نبيه المختار، وحبيبه المصطفى على المرسلين الأخيار، المنتقَى من أطهر عنصر ونِجَار، وأظهر بيت سؤدد وفخار، وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار من المهاجرين والأنصار، والدعاءِ للمقام العَليِّ، والفخر الجلي، الظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار، ذي الدولة التي هي[1] في جبهة جبين الدهر غُرة، وفي قلادة لبّتِه دُرَّة[2]، وفي معصمه سوار، الطالع بدرها في أفق السيادة وفلك السّعَادة[3] أمناً من السِّرار[4] بجعل الملك كلمة باقية[5] في عقبه إلى يوم القَرار، فيا مولانا خلَّد الله تعالى على حضرتكم الشريفة سوابغَ الإنعام، وأدام ظلالها الوريفة على الخاص والعام. ولا زلْت ملجأ القاصدين، ووجهةَ الراغبين، إني قصدت مقامك[6] العلي للإقالة طالبا، وفي رفع يدي عن خطة القضاء راغبا، مقدماً شرح حالي لدى السيادة العلية، مؤملاً من فيض فضلها بلوغ الأمنية، فليكن في شريف علم مولانا حرس الله مجده، وصان سعده، ولا أرانا فقده، أني تقلدت هذه الخطة، ودخلت في هذه العهدة البعيدة الشقة، بعد أن سبق بذلك القضاء الغالب، والقدر الذي لا ينجو من طلبه هارب. وذلك أمر[7] سطر في الكتاب، وإنما العبد

---

(1) في الأصل: ذي الدولة الذي هو، والتصحيح من التعريف.
(2) في الأصل: وفي قلاده درة والتصحيح من التعريف.
(3) في الأصل: الطالع بدرها في أفق السادة، وفلك المقادة، والتصحيح من التعريف.
(4) في الأصل: من الهدار.
(5) في الأصل: يحمل الملك باقيا.
(6) في الأصل: من مقامك.
(7) في التعريف وأين المفر مما سطر في الكتاب.

مجيب للقَدرَ لا مجاب، على علم مني بصعوبة مَدَاركها، وضيق مسالكها، وكثرة عطب سالكها، غير أن الإجمال ليس كالتفصيل، والكثير في نظر البعيد قليل. وما أمكنني إذ ذاك مقابلة أمرك المطاع، بالرد والامتناع، بل إن ذلك عقوق، لما للسيادة علينا من الحقوق، تأنف من أن تتلبس به هنا طباع لها في باب رعاية الحقوق، مع أن طِلبتي الآن للإقالة، أولى من الامتناع في تلك الحالة، فإن اللائق أن أكون للمقام العلي طالباً لا مطلوبا، وراغباً في فضله لا مرغوبا. فقبلتُها والقلب مني راجف، والدمع على الخدين واكف، فلاقيت من وَصَبِهَا [1] ليل السليم، واستقبلت من نَصَبها ما يعلمه السيمع العليم. فما صفا لي منذ تقلدتها يوم، ولا ذاق جفني بعدها حلاوةَ نوم، وكيف لا وهي الفَيْح الذي تتيه فيه القَطَا[2] ويقصر عن سلوكه مديد الخُطَى. هذا مع ضعف جسدي، وقلة جلدي، ونهوك جسمي، وشمول النحول لحمي وعظمي. وأنَّى لمثلي ممن لم[3] يذق لذة شَبابه، لتوالي علله وأوصابه، والقيام بهذا الأمر العظيم، ومعاناة الخطب الجسيم، فمكثت فيها هذه المدة قابضاً يدي على الجمر، مستسلماً لمن له الخلق والأمر، ثم إن الضعف بي لشدتها قد زاد، والنحول لهولها أربى على المعتاد، والفساد تدرج في المِزاج[4] وقد ألهى عن العلاج[5] وحين رأيت الصحة رجعت مني القهقرى، وجندَ صبري ولى مدبرا، وسحابَ المرض عليَّ متراكما، وما كان من عَرَضه مفارقاً عاد لازما، قلت أفيء لمولاي الذي تفضل بإسداء نعمتها، ليتطول علينا رفع كلفتها، حتى يكون[6] أيده الله تعالى جامعاً فيها بين عطيتين، منعماً عليّ فيها بنعمتين، وفضل هذا عندي أعظم، وشكري عليها أوجب وألزم، فإن خلاص العبد من هذه العهدة، وهو لديه حديث الفرج بعد الشدّة وَوَالذي لا يحلف به المسلم كاذبا، ولا ينجو من درك الحنث في

(1) في الأصل: من وصفها.
(2) في الأصل: كيف ولا وهي سافي القطا، والتصويب من التعريف.
(3) لم ساقطة من الأصل.
(4) في الأصل: في الخارج.
(5) في الأصل: عن الملاج.
(6) في الأصل: كان.

القسم به ذاهباً أو آيباً[1]. ليس لي فوق هذا المطلب مرام، سوى مَنِّ الله تعالى علي الموت على الإسلام. على أنه لو لم يكن لي عذر المرض، وما طرأ بالجسم منه وعرض[2]، ففي المنقول عن إمامنا أبي حنيفة، بوأه الله تعالى إلى الرتب المنيفة[3]، أن لا يُترك القاضي على القضاء أكثر من سنة كي لا ينسى العلم، هذا والرجالُ رجالُ وقته أولو التحقيق والفهم، فكيف بنا والحال ما هو معلوم، وهل تقاس الحصباء بالنجوم، مع أني قد بلغت الحد المعدود، بل تجاوزت الأجل المعهود.

فها أنا قد شرحت للمقام العلي باطن أمري، وللحضرة السامية بينت عذري، وتوسلت في تبليغ المرام، وإرواء الأوام، بالسَّادات الأنجال الكرام، بدور الليالي وشموس الأيام، أبقاهم الله بهجة للزمان، متحلياً بهم سريرُ الملك والإيوان.

والمعهود من تلك الحضرة أسماها الله تعالى وأعلاها، وأدام على الأنام غمام نداها، أن لا تُرَدَّ فيها الوسائل، ولا يَخيب لديها سائل. فاجبر أيها المولى الكبير، وفُكَّ المعاني والأسير، وارحم العليل، وبرد له الغليل، وانظر بعين الشفقة لجسم بال ترشقه[4] من كنانة الألم نبال[5]، واغتنم دعاء صاحب هذا الحال، لمقامكم العلي في أطراف الليال.

[الطويل]

أقِلْني فقد ضاقت عليَّ مـذاهبي ... وأُثـقل مني الظَهر ما أنا حامـلُ
وَجَاوَزَ ما قد حل في كلِّ غايـةٍ ... وعنـد التناهي يقصُـر المتـطاول
ودَعْنِيَ أدْعُــو والأنــامُ تجيـبنـي ... بآمين[6] إذ تصغى لما أنا قائـل

(1) في الأصل: أو آيبا محذوف وجاء عوضه، ما عزبيك وهو لا معنى له.
(2) في الأصل: وما صدا فالجسم منه عرض.
(3) في الأصل: الحنيفة.
(4) في الأصل: وشقه.
(5) في الأصل: فنال.
(6) في وصل: ياين.

بقيتَ بقاءَ الدهـر يا كهف أهله وهـذا دعـاءٌ للبـريـة شـامـل

اللهم يا مفرجَ الكروب، وكاشفَ الخطوب، ومقلِّبَ القلوب، قلِّبْ لنا قلب مولانا لإجابة هذا المطلوب، وإنالة[1] هذا المحبوب المرغوب، إنك أكرمُ من أجاب الدعـا، وحقق ظن من توجه إليه وسعى، وأفضل الصلاة والتسليم، (وأكمل التبجيل المحفوف بالعظيم)[2] عـلى سيـدنا المخصوص بعموم الشفاعه، تلك الساعه، وعلى آله وصحبه الغيوث النفاعه، أن تيسر لنا ما نرومه ونرجوه، فأنت أكرم من توجهت إليه الوجوه. ا هـ.

وعند ذلك أقاله الأمير من خطة القضاء يوم الأحد الرابع من رجب الأصب عام 93 ثلاثة وتسعين ولازم بث العلوم في صدور الرجال، غير أنه لم تمض عليه العشرة الأشهر حتى استعاده لخطة القضاء فعاد إليهـا يوم الاثنين السـادس والعشرين من ثاني ربيعي سنة 94 أربع وتسعين واستمر على كرهه للخطة قائماً بأعبائها، وفي شهر ربيع الأول سنة 97 سبع وتسعين أعاد الكرة إلى طلب الإقالة وكتب في ذلك مكتوباً بديعاً أجابه عنه الأمير بما اقتضى إبقاءه بعد المراجعة واستمر على خطته حتى كانت مدة مباشرته نحواً من الاثنين والعشرين سنة.

وقد امتحن في الطاعون الجارف سنة تسع وتسعين ومائة وألف بفقد خمسة أولاده وزوجته وأخته وقد قال في ذلك:

[الوافر]

اذا فكَّـرتُ مـا فعـل الـوبـاء بـأولادي وضـاقَ بيَ الفـضـاءُ
أقـول لئن غـدوتُ الآن فـرداً ففي الله الكفـايـة[3] والـرَّجـاء

وبعد ذلك كاتبه والده في التزوج فأعلمه أنه ترك[4] التزوج حيث أيس من الولد. فكتب إليه والده «لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» (87 يوسف)

---

(1) في الأصل: ما ناله.
(2) ما بين القوسين ليس في التعريف.
(3) في الأصل: الكاية.
(4) في الأصل: تارك التزوّج.

وزوّجه ابنة الفلايح فرزق منها بولده العالم وقد عاش حتى رآه في خطة الفتيا ورأى ولده عالماً.

ولما توفي نقيب الأشراف الشيخ عبد الكبير الشريف قدمه الأمير حمودة باشا لنقابة الأشراف سنة ستٍ ومائتين وألف،وقد علمت مما سبق أن له نسبة في الشرف النسبي زيادةً على الشرف العلمي.

ولما توفي شيخ الإسلام والده قدمه الأمير حمودة باشا (لنقابة الأشراف سنة ست ومائتين وألف وقدمه)[1] لخطة الفتيا يوم السبت سابع المحرم من سنة 1215 خمس عشرة ومائتين وألف فأولاه مفتياً ثانياً وأقام في الفتيا إلى أن توفي شيخ الإسلام البارودي فقدمه الأمير لخطة مشيخة الإسلام ثاني ربيعي سنة عشر[2] ومائتين وألف، فنهض لها نهوض زعيم، وبذل في خدمة العلم الجهد العظيم، ونظم من مسائل الفتاوي كثيراً وحرر كثيراً من الرسائل، في مهمات المسائل، وله رسالة جليلة في صحة الرجوع عن الوصية الملتزم عدم الرجوع عنها نحا فيها منحى الاجتهاد وجمع بين مذهبه ومذهب المالكية ثم عرضها على علماء عصره المالكية فكتب عليها العالم الشريف الشيخ محمد المحجوب مقرظاً بقوله:

[الطويل]

إليك فخذها درةً[3] في نظامها ... فريدة فَذِّ العَصْر[4] بل وأفخمُ
حباك بها فرعُ العلوم محمَّدٌ ... كما أصله فرد الكمالات (بيرمُ)
هما فاضلا عَصْرَيْهِمَا وكلاهما ... به مذهب النعمان جذلانُ يبسم

---

(1) ما بين القوسين مكرر مع ما قدم له ببضعه أسطر من أنه تولى نقابة الأشراف بعد وفاة الشيخ عبد الكبير الشريف لا أنه تولاها بعد وفاة والده، وإنما تولى بعد وفاة والده مفتياً بعد إقالته من القضاء حسب رغباته المكرّرة.

(2) هذا غلط فاحش فقد تقدم له أن البارودي شيخ الإسلام توفي سنة (ـ 1216 هـ) ست عشرة ومائتين وألف لا سنة (ـ 1210 هـ) عشر ومائتين وألف، ولعل هذا الغلط من الناسخ وربما يكون من المؤلف نفسه.

(3) في الأصل: برّة.

(4) في الأصل: قد القصر.

ولما تبدت بَان للحق وَجْهُهُ فأصبح منثوراً وقد كاد[1] يهدم
وَلِمْ لا وقد وافت بجند دلائلٍ تلاه من التحقيق جيشٌ عرمرم
تعاضد فيها المذهبان وحبذَا وفاق بلا خُلْفٍ بدا فهو أسلم
فجوزي بالحُسْنَى وقوبل بالرضا من الله في يومٍ رضا الله أعظم

وقرظها الشيخ أبو محمد حسن الشريف بتقريظ بديع وهذا نصه:

حمداً لمن أقام لتبيان أدلة الشريعة أقواما، ونصب لتوضيح مُشْكِلِها أعلاما، وصلاة وسلاماً على من قررها أكمل تقرير، ثم على من بلغها لمن جاء في الزمن الأخير.

وبعد فقد وقفت على هاته الرسالة التي يُرحل إليها، والفوائدِ التي يُعَوَّلُ في بيان المعاني الغوامض عليها، الفرائد[2] التي لا يلتفت إلى ما خالفَهَا ولا يقبل إلا على[3] ما بين يديها، وتأملتها بعين الإنصاف، ولَحَظت ما اشتملت عليه من بدائع الأوصاف، فوجدت لسان التحقيق قد نطق بفضلها، وحاكم الانقياد قد قضى برفعة محلها، ورأيت نقودا لا سبيل لصرفها عن الصواب، وأسئلة يعسر عنها فتح باب الجواب، وأبحاثا قد شهد ميزان الامتحان برجحانها، وصَدَقَ الاختبار بفضلها عند امتحانها، ومسائلَ قضاياها محفوظة من النقض، وأبكار مزاياها محروسة عن الفتك والفض وتصاريفَ إلّا عن الإجادة مصروفة، وبمنع الموانع معروفة وموصوفة، فدلت على جودة جواد منشيها، وآذنت بصولة أنظار مبدعها ومبديها، وأنه مفرد العصر، وعلامة هذا المصر، فلله دَرُّ ناظم عقودها، وراقم برودها، فقد جلا عليها للأبصار[4] ما شاء من زين، وجلا عن البصائر ما شاء من رين، ما تصدى فيها لبحث إلّا بثته[5] بغاية البيان، ولا وَجّه جياد آرائه

---

(1) في الأصل: وقد كان.
(2) في الأصل: الفوائد.
(3) في الأصل: إلا ساقطة وبسقوطها لا يستقيم المعنى المقصود.
(4) في الأصل: فقد جلا عنها الأبصار.
(5) في الأصل: بحيث الأبنية.

إلى غاية إلا كانت مطلقة العنان، فيا لها من غُرَرٍ مجدٍ في وجه الزمان ساطعة، ودُرَرِ فضلٍ في جيد الزمان لامعة.

[الطويل]

سَرَتْ غُرَرًا تُزري من الحسن أنجما ... وعن دُرِّها ثغرُ العلومِ تَبَسَّمَا
عجبتُ لها في جنْح ليل تطلعتْ ... وما استندت إلا إلى الشمس منتمى
عقيلة فكر قلد الحسنُ جِيدَها ... وصاغ لها حُلّياً وعِقْداً منظما
أبتْ أن تجوبَ الترب إلا ترفُّعا ... فما وطئت إلا بدوراً وأنجما
وضاءت بأذن[1] الدهر شَنْفاً وأشرقت ... محاسنُها في الثغر منه تبسما
وجرَّت ذيولَ التيه عن حامل الربى ... فأزْهرت بأزهار الرياض تنسما
بأيّ حجا صيغت فقد أعجز الحجا ... وأفحم معناها الفحولَ تفهما؟
ترنَّمَ إعجابا بها الدهر ناطقا ... وأعْرَبَ حتى قيل: ما الدهر أعجما
أبان لسانُ الحق فيها رسوخَه ... وأفصح فيها العلمُ عنه مترجما[2]
يراها فيُزري ذو العلوم بنفسه ... ويقسم جهراً أنه ما تعلما
فلو كان للسر المكتَّم سُلَّمٌ ... لكانت لما استخفى من العلم سلما
بَنِي العَصْرِ إذعاناً فمن كان قبلكم ... ومن بعدُ يأتي لو رآها لسلما
قد استخلفتها الكُتْب في العلم كله ... كما استخلف النعمانُ في الفقه (بيرما)
رسالة محمودِ المقام (محمّدٍ) ... لحق[3] على إعجازها أن تسلما
مقدمة إذ قدم الله رَبَّها ... مُحكَّمة إذ كان هوَّ المحكَّما
ولا غَرْوَ أن كان الأخيرَ فإنه ... إذا ذُكِرَ الأعلامُ عُدَّ المقدَّما
فَتىً كرمت آباؤه وجدوده ... فهم مرهم[4] في الفضل منه لآدما

---

(1) في الأصل: بنور.
(2) في الأصل: فترجما، والتصحيح من التعريف.
(3) في الأصل: تحق.
(4) في الأصل: بهم منهم، والتصحيح من التعريف.

إليهم لوى علم الشريعة لائذاً[1] بهم والتقى فيهم أناخَ وخَيَّما
ولا مثلُ مأثور الكمال محمد هُدى أوْ جَداً أوْ عزة وتكرما
إمامٌ به الفتيا أطِيلَ عِمَادُها وأرْسيَ حتى جاوز الأرض والسما
حبا الدينَ إفضالاً به الله منعم به حرم الإسلام قد عز واحتمى[2]
بأسرع من لبّى وأدفع من حمى وأنفعِ من أسدى وأرفع من سما
وأعظم مقداراً وأقدم مفخراً وأفخم آثاراً وأعلى وأعلما
تذكرك[3] النعمان غرُّ علومه وآدابُه تُنْسي (الوليد ومسلما)
تقيٌّ لَوَ القى جملة من عظاته على كافر من حينه عاد مسلما
ولوْ مَيْت جهلٍ أمَّهُ لأعاده حياة وما أمُّ المسيحَ ابنَ مريما
إليك انتهى التحقيق في العلم وانتمى إلى كل فضل من إلى علمك انتمى
أرى كل ما أَلِفْت معتنياً به من الناس من عانى[4] العلوم وعلما
ولو كان مسبوقاً لما افتقروا له وكم زائدٍ علماً على من تقدما
فخلَّدْتَ من غيث من العلم نافع متى خص غيث عم أوضن أنعما[5]
ولا زلت في كل المعاني نهايةً وغايةُ من عاداك حَطٌّ إذا سما

ولا غرو كونه في التحقيق، كعبة يُحج إليها، وللتدقيق، عمدة يعول عليها، إذ قد انتهى في المعارف إلى أقصى أمدها، وكرع في بحرها لإثمدها، وملك أعنتها، وقاد أزمتها، فعلا قدرا، ولاح في سَنَا السَّنَاء بَدْرا، وصار لأولئك الصدور صَدْرا، وبالجملة فلسان القلم في وصف مدحه قصير، ومن أتى بأبدع مقال فإنما آتٍ بيسير. قاله بفمه، وزبره بلسان قلمه، العبد المسربل بسرابيل الخطا والأوزار، الراجي للتنصل منه رحمةَ العزيز الغفار، فقيرُ ربه اللطيف،

---

(1) في الأصل: وأيهم على الشريعة لائذ.
(2) في الأصل:
حبى الدين أفضى لا به الله أوجى به حرم الإسلام فاعتروا حتما
(3) في الأصل: تذكره.
(4) في الأصل: عان.
(5) في الأصل: أو ظن الغما.

حسن بن عبدالكبير الشريف، أصلح الله حاله، ونعَّم بالتقوى باله، آمين. ا هـ.

وقرظها الشيخ إبراهيم الرياحي بقوله:

[الطويل]

كأنَّك تهوى أنَّ عذلَك يَنْفَعُ ... وَهلْ كان عند[1] الصب للقول مسمعُ

إذا كان من ذاتي رجوعي[2] إلى الهوى ... فما نفع قولي: إنني لست أرجع

وهل وقع الملزوم يوماً ولم يكن ... للازمه في ساحة الكون موقع؟

لذاك تراني كلما شِمْت بارقاً ... يسابِقه مِن برْق وجديَ أدمع

فأمَّا إذا تبدو محاسنُ (بَيْرم) ... فكيف ترى الحِرْبَا إذا الشمسُ تطلعُ

سماءُ علوم كلما لاح لامعٌ ... تقفّاه منها ألْمَعٌ ثم ألمعُ

وبحرٌ فُهوم يُزْدَرَى الدرُّ عندها ... على أنه للنقل والعقل مجمع

وفي هذه الحسنا الَّتي برزت هنا ... بألوانِ حسنٍ للمنازع مقنعِ

بدت للمنى روضاً وللعين قرة ... وفيها الذي عن ذا وذلك أنفع

فجَاءتْ تَهَادى لا سوى السحرِ غُنْجُها ... ولا ما سوى ماء الوسامة بُرقُع[3]

ترى بين معناها ورقَّة لفظها ... عناقاً على نَوْلِ الطبيعة تُصنع[4]

إذا اختصم النعمان فيها ومالكٌ ... تقول لكل منهما فِيَّ منزع

وَمَهْما ادّعاها العقل رَدَّ اختصاصَه ... بها نصّ قَوْلٍ[5] بالحقيقة يَقْطَعُ

وإن تَفْخَرِ الفتيا بها فلكمْ بها ... لأهل[6] القضا من تاج عز يرصع

---

(1) في الأصل: عنه.

(2) في الأصل: رجعني.

(3) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:

ولا والسوى ماء الوسامة برقع

(4) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:

عنى ما على قول الطبيعة يصنع

(5) في الأصل: نص فعل.

(6) في الأصل: وأصل.

فسبحـان مختـار الإمــام محمّـد ... لها وهو أدْرى أيُّهمْ هو موضع[1]
وكيف وبيتُ الـدين والعلم بيتُـه ... وللمجد والتقوى مصيفٌ ومَـرْبَع
وهِيَ القـرون المستطابة هـديها ... على سنّة فضلى لها الدين مبدع[2]
عفـافٌ على وجد وعفـو بقـدرة ... وجاهٌ ولكن لم يدنسْـه[3] مطمـع
وخَفْضٌ عَلَى رفْعٍ وتلْيِينُ مَنْطقٍ ... على أنه للصَّلد[4] في الحق يصدع
وفضل ثبات ما الرواسي رواسخاً ... لديه إذا طَـارَتْ نُهىً وهي وقّع
وقَــدْرٌ تَمَنَّى النجم نيــلَ محله ... فكيف ترى من في الثرى فيه يطمع؟
إلى ما يفوت العد[5] من كل حلية ... بها شمل أشتات الكمال مُجَمَّعُ
فَدُمْ واحداً لا من[6] يضاهيك في الورى ... وعزك موصول وأمرك يسمع
ولا تحتقرْ شعري وإن كان دُونَكم[7] ... فقـدركمُ مِنْ أبلغ المـدح أرفـع
ولكنّني حـاولت شـرح[8] مـودةٍ ... وشافع شعري في الوداد مشفـع
وأزكى ســلامٍ من سليم مــودّةٍ ... عليك بريحان[9] الرضا يَتَضَوَّعُ

وأجابه الشيخ محمد بيرم الثاني عن ذلك بقوله:

[الطويل]

بَدتْ وهي أبهى من ذُكاء وأرفع ... عَقيلةُ فكــرٍ للمحـاسن مَجْمَــعُ
تشيـر بطَرْف فـاتِـر اللّحظ فـاتن ... لـه كل أربـاب الصّبابـة خُضَّـعُ

---

(1) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:
لها وهو أدرعايهم هو موضع

(2) الصدر هاهنا غير موزون وهذا البيت ليس في الديوان ثم إن هذا البيت في الأصل جاء على وجه محرّف هكذا:
وهي القــرون المستــطابــة هــديــة ... عـلى خيــر سنيّ النـصــال مبــدع

(3) في الأصل: لم يدنس.

(4) في الأصل: للصدر وما أثبتناه هو ما جاء في التعريف والديوان.

(5) في الأصل: الفذ.

(6) من: ساقطة من الأصل.

(7) دونكم: ساقطة من الأصل.

(8) في الأصل: سرح.

(9) في الأصل: برضوان الرّضى.

لقد جمعت ما بين رقة لفظها ... وقوة معناها وذلك أبدع
ولكنّها حلَّتْ من الفضل عاطلاً ... وليس له في ذلك الروض مرتع
فحاولتُ نفسي أن تقومَ بحقها ... وتَشْرَبَ من كأس أدارت[1] وتَكْرع
فألفيتُها وَافَتْ وعُمْريَ مدبرٌ ... ولم يَبْقَ مِنِّي للصبابة موضع
وحال جَرِيضي عن قَرِيظي فلم أُطق ... أجاوب عنها بالذي فيه مقنع
فحسبي دعاءٌ للذي صاغ تاجها ... بما هو في الدنيا وفي الدين ينفع

وقرظ الرسالة المذكورة الشيخ أحمد البارودي بقوله:

[الرمل]

لُؤْلُؤٌ نُظِّمَ أمْ درّ نُثِر ... أمْ سنا الفَجْر جَلا وَجْهَ السَّحَرْ؟
أم وَميض البرق جُنْح الدُّجى ... جاءه الغيثُ بماء منهمرْ؟
أم شعَاعُ الشمس يتلوه ضيا ... في رياضٍ؟ إنها نورُ الشجر
لا ولكن نورُ علمٍ ساطع ... سافرٍ عن وجه شَرْعٍ منتشر[2]
بمقولات الهمام المُرتضى ... وتعاليلٍ بقولٍ مختصر
مِن فنونٍ تقصرُ الأفهام عن ... دَرْك ما استُخْرج عنها بالفِكَر
فوجوه الحق منها تنجلي ... أنَّ وجه الحق يُجلَى بالنظر
قل لمن رام المعالي يقتفي ... إثْرَ من قُدّم من سِنِّ الصِّغر
ذاك ركن الشرع فينا (بَيْرَمٌ) ... وابنُ ركنٍ للفتاوي مشتهر
عمدةُ الفتوى عماد للهدى ... وإمامٌ كالإمام المنتظر
أفريدَ العصر حاوي السبقَ في ... مذهب النعمان موصولَ الأثر
كنت من بيت شريف وله ... من شريف الشرع ركنٌ معتبر
يا وُلاةَ الأمر شرعاً أذْعِنُوا ... مَحَضَ الحقُّ فهل من مدَّكِر
هكذا المختارُ للفتوى فمن ... شاءَ فليؤمن ومن شاء كفر
من يقل في الناس خُلْفاً يأتنا ... بكتاب مثل هذا مستَطَر

(1) هكذا في الأصل والتعريف أدارت والصواب أديرت.
(2) جاء هذا العجز هكذا: سافر عن أوجه سرع انتشر، والأولى ما أثبتناه.

واتـل قـول الله فـي تـنـزيـله ... مـا جـزاء المتقي فيمـا ذكـر
عَـانَـك الله ولا زلت المَـدَى ... نـاصـراً للحق مـأمـون الغِيَـر
هـاكهـا عَـذْرَا عـروسـاً تُجتلى ... مهـرهـا منكم قـبـولٌ مُغتفِـر
فـاقبلوهـا واقبلوا عُـذْراً لـهـا ... إن مـن عـذري لكـم بشـر[1]
إن أكن قَصَّـرْتُ في قولي فمـا ... فضلكم يقـصـر عمـن يعـتـذر

وقد ألف رسالة في عدم فسخ الإجارة بموت المؤجر له وقرظها أيضاً الشيخ أحمد البارودي بقوله:

[الخفيف]

أقبـلَ الفجر صـادقـاً مستنيـرا ... ودُجَى اللَّيْـل عنـه ولَّى حسيـرا
فبشمس الهـدَى أتـانـا بشيـراً ... ولمحق الـظلام جـاء نـذيـرا
فـظلام الضـلال أعمى تـولى ... وضيـاءُ الهـدى تـراه بـصيـرا
مثـل ذاك الهـدى فتاوى همـامٍ ... في سمـاء العلوم يبـدو مُنِيـرَا
حـلّ من مشكـلاتهـا معضِـلاتٍ ... بعد ما الطَّرْفُ بَاءَ عَنْهـا حسيرا
كـل من أمّـه ليـروي عـلومـاً ... عـنـه يُلقي عليـه دُرّاً نـثيـرا
عـالـمٌ عـامـل تقيٌّ عـفـيف ... صـائب الـراي يـافعـاً وكبيـرا
ذلِكُـمْ (بيْـرَمٌ) محـمـدُ ابـنٌ ... لِسَميّ لـه الكبيـرُ شهـيـرا
مثلكم من يكـون نجـل همـام ... أيّ ذاك الهمـام فـاسأل خبيرا
ما على النجل من جُناح إذا ما ... شَـابَهَ الأصـل فاضـلاً أو حقيـرا
فَـنِتَـاجُ المَـهَـا يـلدن مـهـاة[2] ... وحـوايـا الحميـر يلفى حميـرا
وَحُبـوب الحصيـد قُـوتٌ وذخـرٌ ... وحصيد السِّباخ[3] يُلْفَى حصيرا
كـل من كان من كِـرامِ أصـول ... فكـريمـاً تجـدْه طَلْقـاً بشيـرا
ومتى كـان من وضيـع أصـول ... فعبـوسـاً تـراه أو قَـمْـطرِيـرا
يا كريمَ الأصولِ يا خيـر نَجْلٍ ... طـاب أصلاك فـانتشـرت عبيـرا

(1) في الأصل: دابي بشر.
(2) في الأصل: مهاء.
(3) في الأصل: السباح بالحاء.

فـرَّج الله عنك مـا كان مُحْصى ... ووقـاكم بمـا صبـرتم سعيـرا
وجـزاكم بجنـة الخـلد عَمّـا ... جئت بـالحق نـاصحـاً ونصيـرا
لا عَـدمنَـاك للمفـاخـر فـخـراً ... أو عـمـاداً ودمت[1] فينـا أميـرا
وبحسن الختـام نـدعـوه ربّـاً ... نـرتجي عفـوه عَفْـواً قـديـرا
وصـلاتي عـلى الـنـبيء وآل ... كلمـا سَـامَـرَ السميـرُ سميـرا
وسـلامي عليـه مـا أنشـدونـا ... أقـبـل الفجر صـادقـاً مستنيـرا

وأجابه الشيخ محمد بيرم الثاني بقوله:

[الخفيف]

جَلَبَت إذ بدتْ إلى العين نورا ... وإلى القلب بَهْجَـةٍ وسـرورَا
بِنْتُ فكر تَسبي العقول بِفكرٍ ... فاترٍ في الفؤاد يُلْفَى قديرا[2]
شَنَّفت مسمعي بصوت رخيمٍ ... زاد عقلي سَمَـاعُـهُ تحـريـرا
وأتت من بـديعهـا بـمعـان ... وبيـان أنستْ بذاك (جـريرا)
وكستني من نسجها ثوب مَدْحٍ ... جـوهـري ولا أقـول حـريـرا
لست أهـلاً لـه ولكنـه الحـ ... ـب يَغَضُّ عن الحبيب ستورا
ربها البارودِيُّ أحمـد من قد ... أدرك السبق للمعـالي صغيـرا
طرفاه إن أرسـل الطرف ولّى ... عنهمـا خاسئـاً وولّى حسيـرا
فـأبـوه وعـمـه وأخـوه ... وكـذا خالـه حـوَوْا تصـديـرا
فُـقَهـاءُ أجـلّةٌ وهـو أيـضـا ... مثلهم هل ترى لـذاك نظيـرا
ولقد رمت أن أجيب[3] وهيها ... ت وقد أصبح اللسان قَصيرَا
فتوالي السَّقام أَخْـمَـدَ فكري ... وأعـاد الصحيـح مني كَسِيـرا
والذي هكذا بعيـدٌ عن النظـ ... ـم وإن كان بالقريض بَصِيرا
فـاقبلن عـذره وعُـدَّ قصـوراً ... منـه فيمـا أتـاك لا تقصيـرا

(1) في الأصـل: لو عمادا أو دمت.
(2) في الأصل: نديرا.
(3) في الأصل: أن أجبت والتصحيح من التعريف.

وَجَـزاه رب البـريـة عنهـا فَـوق ما تـرتجون منـه كثيـرا
بنبيء الهـدى عليه صـلاة اللّـ ـه مـا عـانق الغَمـام ثَبِيـرا
وعلى الآل كلمـا قـال صب جلبت إذ بدت إلى العين نورا

وقد عُمّر الشيخ في خدمة العلم الشريف إلى أن بلغ الاثنتين والثمانين سنة، وختم له بالسعادة فأحب الله لقاءه، فتوفي أواخر ليلة السبت السادس عشر من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين ومائتين وألف، وتَبرَّك الأمير والمأمور بحمل جنازته، عليه رحمة الله. وقد رثاه الأديب الفاضل الشيخ عبد الرحمن الكامل بقصيدة قال في مطلعها:

[الكامل]

فِيمَ امتناعكُ للتراب بدارا[1]؟ ولقد عدمت من السـرور قرارَا

وأرخ وفاته الفاضل أبو الثناء محمود بن باكير بقوله:

[الطويل]

ألا قف بـرمسٍ داعيـاً بتـوسّـلٍ وكن تـالياً أمّ الكتـاب المُنَـزَّلِ
تيقَّنْ ولا تغفلْ عن الموت لَحْظةً فمـاذَا بـأوْلَى مِنْـك فيـه وأمثـلِ
ومـا أنت في دنياك إلّا مسـافـرٌ فكـل أوانٍ مُشْعـرٌ بـالتَّـرَحُّـلِ
سَقـامٌ وعسرٌ بعـد يسـر وصحـة دليلُ الفنا يغني الفتى عن تَأمُّلِ
تزوَّد لما بعد الممـات من التُّقى كما جاء في نص العزيز المرتَّل
وخصّ برزء المـوت أنْ عَزَّ أهْلَه وَعَمَّ البـرايا رزْءُ هـذا المفضَّـل
إمـام سما فـوق الثـريـا مقـامـه وأضحى ضجيعاً بين ترب وجندل[2]
وقادَتْ له فخـراً ومجداً عنـاصرُ لهم نسبٌ يُنهْى إلى خير مرسل
هدايةُ أهْلِ العلمِ وهو كمـالهُم بتحـريـرِ تقـريـرٍ وتَبْيين مُشْكِـل

(1) جاء هذا الصدر هكذا.
فيم امتناصك للتراب بوارا.
(2) في الأصل: بعد ترب وجندل.

وبحرٌ محيطُ لكنِ الدُّرُّ لفظُه ضِيَا إن بدا في غَيْهَب الجهل يَنْجَلِي
تآليفه جمَّتْ وعمَّتْ بنفعها كما عمَّنا نفعُ السراج بألْيَلِ
عُيُون أصول الشّرع منه تفجَّرتْ ففاقت بعذب سائغ كلَّ مَنْهَل
لقد كان في المفتين صدرَ شريعةٍ كوالده السامي على كل مُعتَلي[1]
هما مجمع البحرين في العلم والتقى فَسَادَا وحَازَا كلَّ فَضْلٍ بأكمل
فأمطرهما ربّي شئابيب رحمة وأنزلهما الجنات يا خيرَ مُنْزِل
بخير الورى حقق دعاء مؤرخ: (لبيرم في الجنات أرفع مَنْزِل)

ورثاه أيضاً العالم الفاضل الشيخ محمد الخضار بقوله:

[الوافر]

يروعُ الدهرُ بالهِمَمِ الأبيَّهْ ويُكْدي بعدَ أن يهب العطيهْ
وينزل من أعنتها الدّراري إلى تُرْب مبلقعةٍ خَليَّه
وأيَّةُ نَسْمَةٍ تبقى بحال إذا انتشبت[2] بأظفار المنيه
وهل يَبْقى على الحدثان باقٍ سوى الذات المقدَّسة العليَّه
هوى الدهر الخؤونُ برأس طود من الأطواد ليس له ثَنيَّه
وَزَلْزَلَ من قواعدِه أصولاً لها في الدين مرتبةٌ سَنيَّه
نعى الناعي لنا العلمَ المكنّى (بيرمَ) فانطوى الإسلام طَيَّه
نعانا نجمَه[3] الأسمى ولكن نَعَى نَفْس العلومِ الألمعيَّه
إمامٌ كان في العرفان بحراً وما[4] لِلبَحْرِ أن يحوي حُليَّه
فكم نَظم الجواهرَ في طروس تُترجم عن مداركه الخَفيّه
وكم أجْلَى العَمايَة عن سؤال يطول البحث فيه بلا رَويّه

---

(1) جاء في هامش الأصل هنا بيت سقيم المعنى وهو هذا:

محمد المدعو بيرم سميه فلَقْبُه بالثاني وثان فأول

(2) في الأصل: إذا أنشبت.

(3) في الأصل: نعا نجمه.

(4) في الأصل: عوض ما/ من.

ولا طاشت لفكرته سِهَامٌ ولا كذبت لحجته قَضِيَّه
فضاقتْ بعده الدنيا وكانت رزيّتُنا به فوقَ الرَّزيَّه
ألا يا زائراً جوزيت خيراً فلا تَنسْ[1] الدعاء ولا التَحيه
جزاه الله في الفردوس داراً من الدار المكدرة الدنيَّه
وهنَّأه السُرورَ بما حَبَاهُ من النعماء محتسباً هنيّه
ولما فارق الدنيا وكانت سجايا المتقين له سجيه[2]

- 19 -

الشيخ مصطفى البارودي[3]

هو أبو النُّخبة الشيخ مُصطفى بن محمد بن حسين بن إبراهيم البارودي، فرع شيخي الإسلام. قرأ على والده وعلى شيخ الإسلام البيرمي الثالث والشيخ صالح الكواش وغيرهم من علماء ذلك العصر، وتقدم على صغره إماماً ومدرساً بالجامع الباشي سنة 1207 سبع ومائتين وألف، وكان ضعيف البدن متمارضاً. ولما توفي والده قدَّمه الأمير حمّودة باشا إلى جميع وظائف والده من مشيخة المدرسة الشَّمَّاعية وخطبة جامع باردو وإمامة الجامع الباشي والفتيا يوم الجمعة الموفي عشرين من ربيع الثاني عام ستة عشر ومائتين وألف والمرض يومئذ يصاحبه فأقام على تلك الوظائف. وكان ذكياً عالماً فقيهاً فصيحاً حسن الصورة خيّراً إلى أن عاجله الحِمام غضاً رطباً فتوفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شعبان الأكرم عام 1219 تسعة عشر ومائتين وألف، وقد رثاه شاعر عصره العالم الشريف الشيخ أحمد زرّوق الكافي قاضي المحلة بقوله:

[الطويل]

عَلَى النيِّرِ المكنُونِ في طَيِّ أكْفَانِ بدورُ العُلا تبكي دَمَاملَ أجفْانِ

(1) في الأصل: فلا تنسى.
(2) هذا ما جاء في الأصل والظاهر أن هناك أبياتاً محذوفة.
(3) ترجم له في الإتحاف (ج 7 ص 47) ط 2 نقلاً عن ترجمة الشيخ بيرم الثاني في تراجم المفتين.

بها ما دَهَا العلياءَ من فقد مصطفى ... وأسمى[1] بينها من هموم وأحزان
سَقَى جدثاً[2] وَارَاهُ واكفُ رحمةٍ ... وَرَوَّاهُ من سحب الرضا صوبَ هَتَّان
على مِثْل ذا المفتي الجليل تأسُّفي ... يجدّد مهما قد تَوَلَّى الجديدان
فتى كان كالنعمان فقهاً وإنما ... بلاغته أبدته في شكل (سَحْبَان)
وكان خبيراً بالنوازل عالماً ... بمبدإ كل من حديثٍ وقُرْآنِ
فلو شاء أفتى في العلوم بِرَأيْه ... ولكن أبى الإفتاء إلا ببرهان
فمنْ للعُلَا من بعد فقدان بدَرها ... أصيبتْ إذاً في العين منها بِفقْدَان؟
ومَنْ لعلوم الدين بَعْدَ أفوله؟ ... وما كان إلا شمس رشد وتِبْيان؟
وأنْ يبكي المحرابُ والمنبرُ الذي ... علاه فمن شجو بكاه الجديدان
مضى مصطفى البارود (ي)[3] والمجدُ مصطفى
وحيداً من الأشباه ليس له ثَانِ
وكان الغنى للعادم المال والمُنى ... [تجود له][4] يمناه والقصد للعاني
وما عاد من نشر الفخار لطيّه ... فإن غاب والآثار منه لإعلان
ولكن إلى المولى أنَابَ فَخَصَّهُ ... بطيبِ رضا أوفى وعفو وغفران
لذلك لما مات قلت مؤرخا: ... (لمفتٍ منيفٍ مصطفى طِيبُ رضوان)

- 20 -

الشيخ أحمد البارودي[5]

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن حسين بن إبراهيم البارودي تربى في حجر العز والترف، وحُمِل على كواهل العلوم إلى أعلى الغرف، فقرأ العلم الشريف على والده ورافق أخاه شيخ الإسلام في القراءة على شيوخه، وانفرد بالقراءة

---

(1) في الأصل: سماها.
(2) في الأصل: جدما.
(3) تحذف الياء للوزن.
(4) في الأصل: بياض.
(5) ترجم الشيخ ابن أبي الضياف لأحمد البارودي ترجمة حافلة وعرف الكثير من أحواله لأنه صديق والده (ج 7 ص 36) ط 2.

على الشيخ محمد بيرم الأول فقرأ عليه قطعة من الأشموني وقطعة من الملتقى وقرأ على الشيخ محمد الشحمي شرح التهذيب للخبيصي.

ثم جلس للتدريس فأجاد بتقرير عذب، ولسان غضب، ولي الإمامة والخطبة بالجامع الجديد بعد وفاة والده في ذي القعدة الحرام سنة ست[1] وثمانين ومائة وألف، ثم ولى تدريس المدرسة الجديدة والمدرسة العنقية. ما شئت من فصاحة لسان، وحسن بيان، وترتيل في تلاوة القرآن، وحسن رواية لأحاديث سيد ولد عدنان، يسحر الألباب بثاقب فهمه، ويرمي الأغراض فلا يخطىء صائبُ سهمه، وله قريحة في نظم الشعر، مع الثروة التي تنعم بها وتجمل[2] منها بفضل العطاء والإهداء الذي استرق به الأحرار من ذوي النهي.

وله همة عالية، ومفاخر غالية، يركب الخيل بالسروج المحلاة ويلبس أفخر لباس. خرج للتداوي بحمام الأنف[3] فأرسل إليه الوزير يوسف صاحب الطابع ألف محبوب فرد بها الرسول وقال له قل لسيدك لو أرسلت لنا مركوباً أو مملوكاً لقبلناه منك هدية أما المال فإنَّا والحمد لله عندنا ما يكفينا فيمكنكم أن تتفضلوا به على من هو محتاج إليه. وقد راوده الأمير حمودة باشا على خطة الفتيا عدة مرات وهو يمتنع ويقسم أن لا يقبلها ويقول له إنه عنده ولله الحمد ما يغنيه عن تحمل أخطارها.

ولما توفي ابن أخيه المتقدم حلف عليه الأمير فأولاه الفتيا يوم الأحد موفى شعبان الأكرم عام 1219 تسعة عشر ومائتين وألف، فأضاف له عند ذلك خطبة باردو ودروس التجويد ودرس الجامع الباشي، فقام بإمامة باردو قياماً كلياً وباشرها بنفسه فزان المنبر والمحراب، وأتى في تلاوته وروايته ودرايته بالعجب العجاب، وقد هناه بتلك الولاية يومئذ شاعر البلاد وصديقه العالم الشريف الشيخ أحمد زروق بقوله:

---

(1) ست ساقط من المخطوط.

(2) في الأصل: وتحمل بالحاء.

(3) الذي في الإتحاف بحمام قربص، وترجمة السنوسي مستقاة من الإتحاف، والشيخ ابن أبي الضياف له صلة به كما قدمنا.

[مجزوء الكامل]

حُـقّ الـثـنـاء لأحـمـدَا ... ولـمـثـله أنْ يُـحْـمَـدَا
بَـدْر العـلا البَـارُودِيُّ مَـنْ ... لـه في العـلا أقصى مـدى

[الكامل]

لك في العلا شرفٌ علا وفخارُ ... ومـآثـر شـهـدت بـهـا آثـارُ
لَبِسَتْ بها وبك الليالي بهجةً ... حتى استـوى ليلٌ بهـا ونهـار
ومَـلأْتهَا عـدلاً ومعـرفـة بَـدا ... للدين منها وبينك[1] استبشـار
وهدى أنرت به الشرائع فاهتدت ... فينـا بصـائـرُ واجتلتْ أبْصـار
حتى لقد سعدت بك الأقطار وازْ ... دَهَـرَتْ[2] الأعصـار والأمصـار
وحبتـك أبكـارَ الثناءِ وعـونَـه ... فـيمـا تـطرز وشيَـه الأفكـارُ
ورأتْـك منفردَ الكمـال فـأقسمت ... أن لا تـرى أنـظارَكَ الأنـظار
تَأْبَى المعالي ثانياً لك في العلا ... وَتَجِـلُّ عن ذا قـدرك الأقـدار
ما ثاب من زمن الأعادي معشر[3] ... ممـا أتيت من العُـلَا المعشـار
عَجَزَ الأفاضل عن علاك فسلّموا ... لـك مـا أتـاه لغيـرك المقـدار
علموا بأنـك خيرُهم كـرماً فـإن ... جارَوْك في قَصَبَات سَبْقٍ جَـارُوا
قَصُرَتْ على عَلْيَاك ألسْنـةُ الثَّنـا ... وطوالـهـا عمـا تنيـل قـصـار
لَعَـظُمْتَ حتى لا يوافي فضَلكم ... مـا كَرَّرَتْ من مـدحـه الأعصـار
وسمت لعزّك في المعالي هِمَّـةٌ ... شمَّـاءُ[4] دُون سُمُـوِّهـا الأقمْـارُ
شمساً طلعتَ فما انجلتْ لك بهجة ... حتى عـلاهـا من عُـلاك نَهَـار
أخذتْ حظوظُ المجدِ فيك حقوقَها ... وازْدَانَ مِنْك على الفخار شَعَـار

---

(1) في الأصل: بينهما منك.
(2) في الأصل: واتزرت.
(3) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا:

ما تاب من الزمن إلا عاد معاشراً

(4) في الأصل: سماء بالسين.

ما لُحْتَ في أفق المعالي نيِّراً ... إلّا لـيُـعْـلَم لـلـعـلوم مـنـار
يـا فخرَ تـونس واكتمالَ بـدورها ... لـولاك ما اجتنب البـدور سِرَار
أنتَ الكفيـل بعـزّهـا ولعـزهـا ... حيث اعتزالُك في الخلود قـرار
لم يُدْرَكنهُ الفخر حتى لحت في ... كبـرائها[1]، والفخـر منـك يُعـار
فـأعـرتهـا شـرفـاً لهـا بمُعِيـرِه ... تِيـه على الأكْفَاءِ واستكبـار[2]
ها أنت تاج في سما أفلاكها [3] ... شَـرَفٌ بـه لا لـؤلـؤ ونـضـار
ونَظَمْت[4] للمجد الخطير فـريدةً ... عـقـداً وإنـك درُّه المـختـار
وجمعت شمْل المعلومات فأصبحت ... جـاراً يعـز كمـا يعـز الجـار
ورَعَى اهتمامُك بالمكارم سرحَها ... فنـظمتهـا كـالـدر وهي نثـار
رُتَب علوت العـالمين بجمعهـا ... وبـجمـعهـا تـتـفـاوت الأقـدار
بعـلاك أوصاف الفخـار تشـرفت ... حتى كـأنـك للفخـار فـخـار
قد تفضل الأوصاف من موصوفها ... وبـحـسـن لابسـه يـزيـن إزار
كصفات أحمدَ فهي طيب ثنائه ... وشـذاه وهي ثنـاؤه الـمعـطار
بدرالعلاالبارود(ي)[5]صدربدورها ... من (قـد علته) [6] هيبـةٌ ووقـارُ
العـالم الـعلم الـشهـيـر النيـر ... الفـرد الـذي عَـنَّتْ لـه الأنـظار
ذو السيرة الغراءِ والحُكم الـذي ... نـصـرتـه من آرائـه الأنـصـار
ما زال أحمدُ في شريعة أحمدٍ ... مـحـمـودةً مـن سيـره الآثـار
حتى استنار بـه الهدى [7] وأنار في ... أفق الشـرائـع من هُـداه منـار

---

(1) في المخطوط: كبريائها.

(2) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:

تيها على الأكفاء واستكبار

(3) جاء هذا الصدر في الأصل:

هل أنت تاج في فعوان فلكها

(4) الواو ساقطة من الأصل.

(5) الياء زائدة على الوزن.

(6) ما بين القوسين بياض في المخطوط.

(7) في المخطوط: الجدى.

وثقت يد النعمان منه بغاية ... في الفقه دون بُلوغها الأنظار
رأي له في الإعتقاد رشاده ... يَهْدِي به كلَّ الورى استبصار[1]
من كان[2] مثلَ أبي حنيفة ماله ... إلّا اعتقاد الأشعريّ شعارُ
بحرٌ وأين النهر من تياره ... في بحر علمه تغرق الأنهار
هو (مُلْتَقَى البَحْرَيْنِ) مِنْ عِلْم ومنْ ... أدبٍ طما له فيهما تيار
كل يقول لعلمه ولشعره ... هو (أحمدٌ) في شعره (بشار) [3]
(كابْن الحُسَيْن) ابنُ الحسين وقلما ... تتماثل الشعراء والأشعار
أو ما تَرى الدُّرر التي قَذَفتْ بها ... أفكاره سُحرَتْ بها الأفكار
تغدو المنابر تحته بسماعها ... مهتزَّةً ولَوَ انها أحْجَار
ويُراع في يده اليَرَاع وكيف لا ... وهْيَ البحارُ ومن ذكائه نَار
الماجد الأعلى الجليل المجتبى الْـ ... معطاء والمتفضل المكثار
مفتي الأنام وشيخُها ورئيسها ... نهر العلوم وروضها المعطار
مجلي غوامض ما يخوض عبابها ... للفكر إدراك ولا إشعار
مستحضر أغناه عن تكريرها ... نظرُ الطروس لكلها استحضار
وكأنَّ فكرَه في الذكاء موقَّد ... وكأنَّ كَفَّهُ للعطاء بحار
تروي أناملُه الأنامَ بجودها ... فكأنّما هي ديمةٌ مدرار
لابن الحُسَين محاسنٌ ومحمدٌ ... شُغفَتْ بها الأسماع والأبصار
ذا المجدُ فيه وفي أبيه وراثةٌ ... إذْ[4] هو منه ومن أبيه شعار
يا ابن الألى ملأ البسيطة مجدُهم ... وتعطرت بنسيمه[5] الأقطار

---

(1) جاء هذا العجز في المخطوط هكذا:

الأهدى به للورى استبصار

(2) في الأصل: من كل، والمعنى لا يستقيم معه.

(3) في المخطوط جاء هذا العجز هكذا: يولاك أحمد هوام بشار وهو كلام غير مفهوم.

(4) في الأصل: ثم.

(5) في الأصل: بشأنهم.

مثل البدور أو البحور تدفقاً ... وتألقوا كالشمس ثم أناروا[1]
رَكِبُوا العزائمَ للمكارم والعلا ... فلهم على صَهَوَاتها استقرار
نفحتْ بهم وبذكرهم حلل الثنا ... فلها بِهِمْ ولَهُمْ بها أعطار
هم خير من لاقوا وأحمد خيرهم[2] ... وأبوه فَهوَ من الخيار خيار
حزتم بني البارودي[3] كل فضيلة ... فُزْتُمْ فَخَصَّكُمُ[4] بها المقدار
وأرى العُلَا داراً لها أبناؤكم ... وبنوهم تأوي لتلك الدار
رُفِعت بكمْ رتبُ الكمال فأصبحتْ ... أمماً وفيها أنتمُ الأقمار
في القرب منكمْ كيمياءُ سعادة ... في ضمنها تَتَيسَّرُ الأوطار
لم يعتصم بكمُ فقير بائس ... إلا وسار له غنى ويسار
أو يَنْتَسبْ لكمُ وضيعٌ خامل ... إلا سمتْ لسموه الأبصار
فخْراً أبا العباس إنك سيد ... شهد الأنام بها ولا إنكار
ولئن أقرّ بها العداة ففضلكم ... يأبى لكم أن تكفر الكفار
أضْمَرْتُ فيك مودة أولى بها ... وأحقُّ من إضمارها الإضمار
أخفيتُها حذر الوشاة فمذ طما ... تيارها ظهرت وغاب جِذَار
حباً أكون من الشهود وصدقه ... بشهود حبك ما لهم أعذار
وجعلت يُمنَك في يمين توجِّهي ... ورجوت أن يرقى بها السيار[5]
أربٌ يبيت سواك يملكني به ... فالحر تملك رقَّه الأحْرار
أنت الذي أحييتَ آثار الجَدَا ... والفضل منك بدا له إيثار
وعلمْتُ ما لم يدر ما طرق العلا ... فغدا ودرهم فضله دينار
وجرى على آثار سبقك كم جرى ... بطل فعاقه عن مداك عثار

---

(1) في الأصل جاء هذا العجز هكذا:
وتألقوا ثم كالشموس أناروا

(2) في الأصل: أحمد بدون واو قبله.

(3) لا ينطق بالياء للوزن.

(4) في الأصل: فحصكم بالحاء.

(5) جاء هذا العجز في الأصل غير مستقيم الوزن هكذا:
ورجوت أن تصل إليها سيار.

هيهات لو ركب الرياح سَوابقٌ[1] ... ما شق إثرك للحاق غبار
بك خُصِّصَ التمييزُ لما مَيَّزَتْ ... أقدارَ أرْبَابِ العلا الأقدار
فغدوت أنت كبيرَ أهل الفضل الـ ... كبراء [2] إن نسبوا إليك صِغار
ما كل من نال الولاية مُحْرزا ... شرفاً ولا كلٌّ إليه يشار
بعلاك يختتم الكمال وإنَّما[3] ... بمديحكم تتنقل الأخبار

وقد أقام صاحب الترجمة على وجاهته ووظائفه واحترام، يباشر الوظائف على أحسن الوجوه ثم استأذن الأمير حمودة باشا في التوجه إلى حج بيت الله الحرام سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين وألف بقصيدة وهي قوله:

[الطويل]

إليك رسولَ الله شوقي يسنِّدُ ... وفَرْطُ غرامي فيك ما خِلْتُ يَنْفَذُ
وإن فؤادي[4] في هواك متيم ... وجفني قريح ليس يرقى فيرقد
فسل عن غرامي فيك مرقاة منبري ... يصدّقها المحراب والدمعُ يشهد
وسل مربعي من بعد ذاك ومضجعي ... وما كنت ألقى[5] في هواك وأسْهد
فقربك مطلوبي ووصلك بغيتي ... وإن زاد شوقي فيك لا شك أُفْقَدُ
فعد لي بوصل إنّ بعدِي مضت به ... سنونُ وإني في غرامي مُبْعَدُ
فيا ليتني إذ كنت فيها مواصلاً[6] ... حبيبي وفي محرابه كنت أسجد
يُجيب مناجاتي ويرحم عبرتي ... ويؤنسني قرباً لأنِّي مفرد
وَأُسْمِعُه القرآن ذلك وحيه ... وأتلو عليه ما تلا وأردد
وأنشده مدحاً لِحسّانَ مسنداً ... [فذو العرش محمود وهذا محمد]
وبت أناجي الله ربي وإنني ... لأشكره وصْلي وإني لأحمد

(1) في الأصل: سابق.
(2) في الأصل: والكبرياء.
(3) في الأصل: والمنى ولا يستقيم بها الوزن ولا المعنى.
(4) في الأصل: وإني نسيم، هكذا.
(5) في الأصل: وما كنت ألمى.
(6) في الأصل: مفاضلاً.

وفزتِ بقربي منه بالأمن والمنى ... وساعدني دهري وما كاد يسعد
فشط مَزاري بعد ذاك وليتني ... بلحد بذاك الترب فيه مُوَسَّدُ
فلله ما ألقى من الوجد[1] كلما ... ركاب له زفت وإني لمقعد
وإن فصلت عير بقصد ديارهم[2] ... وجدت له ريحاً وقالوا مُفَنَّد
سلام على تلك الديار ومن بها ... ففيها ديار للحبيب ومعبد[3]
سلام على محراب مسجد وحيه ... ومن قام فيه ليله يتهجّد[4]
سلام على تلك البطاح من الربى ... وإن لها نوراً يرى يتوقد
سلام على تلك الليالي وليتها ... تعود وما ظني بها الآن تبعد
يقول لي العذال فُزْتَ بوصله ... وأدركت ما تبغي[5] وما كنت تقصد
فقلت بعادي بعد وصليَ زادني ... غراماً وشوقي اليوم فيه مُجدّد
فخلوا سبيلي إنني أطلب الدوا ... لعل دوائي فيه تحظى به اليد
فوجهت آمالي إلى باب سيّدٍ ... يَرِقُّ لحالي[6] رحمةً ثم يسعد
هو المِلك المولى الحميدُ مآثراً ... فحمودة الباشا السعيد المؤيد[7]
فأشكوك يا مولاي شوقي لبعد من ... غرامي به لا زال في الناس يُنْشَد
قصدتُك فضلا منك ترحمُ عبرتي ... رضاك الذي أبغي به أتزود
لوصل رسول بعد حج وعمرة ... فأُبْلغه منك السلام فتسعد
وأسأله عند اللقاء شفاعة ... إليكم وملكاً دائماً ليس ينفد
فحقق رجائي فيك يا خيرَ سيد ... وأنْجِد ولا تمنع فإنك مُنجد
وإني ختمت المدح فيه مصلياً ... على من به خَتْمُ المديح يُنَضَّدُ

---

(1) في الأصل: من الوجه.
(2) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا:
وإن فصلت عبر بر ديارهم
(3) جاء هذا العجز في الأصل:
وإن بها دار الحبيب ومعبد
(4) في الأصل: يتجهد.
(5) في الأصل: ما ترو.
(6) في الأصل: يرقي لحال.
(7) في الأصل: حمودة بدون فاء قبله، وحمودة مبتدأ والسعيد خبره.

سلامي عليه كلما هبت الصبا وما قام في أيكٍ هزارٌ يغرّد

فلم يأذن له فاستعطفه ثانياً بالقصيدة الطويلة وهي قوله:

[الرمل]

أرْكُبُ الصَّعْب ولا يستصعبُ ومُقامي بمَقامي أصعبُ
وعتادي باعتنائي لكم راحتي الكبرى وذاك المطلب
وهو أني بهوائي شرف وانتظاري بلقائي يعزب
ولذيذُ العيشِ بالبعد له من مذاق الصبر طعمٌ مكرِبُ
كريه منه بقرب لكُمُ[1] نعمة عظمى ورزق طيب
يعذب العذب ولكن إن تكن علة بالذوق لا يستعذب
فزلال الماء في ذوق الذي هام فيكم علقم لا يشرب
جرعةٌ من مائكم تكفي وإنْ لم يكن زادٌ كفاني العُشُبُ
أوَ لاَ أعْزُب من ذِكري لَكُمْ بمديح، وهو مما يعجب؟
لا وَعَمْر الله ما يفضله من مذاق الشهد عندي مشرب
تنجلي بالمدح فيكمْ فكرتي لمعَانٍ ليْس عنها يُرغب
لم تكنْ عندي ولا في طاقتي بل ولا عنها مديح يُعْرِب[2]
خَالَطَ الشوقُ غرامي فبدا لِيَ مِمّا لم أكنْ أحتسب
كلَّما يُذكرني ذكركمُ هزَّني من جانِبَيَّ الطَّرَبُ
يا بناتَ الحيِّ مِن ذَات النقا يا غصونَ البانِ لا تحتجبوا
حَمِّلوا البدر سناءً منكمُ إنّني أرجوه إذْ مَا يقرب
يا بدوراً أشرقت في ناظري دونكم هذا فؤادي فاغربوا
وهو وقف عَلَيْكُم حبس أفتَرْضون به إذ يخرب؟
من حقوق الحب[3] ما عنه احتوى جفن عيني حب[4] قوم أغربوا

(1) في الأصل: وكريه منه بالكرب لكم.
(2) في الأصل: يعزب.
(3) في المخطوط: من حقوق العنف.
(4) في المخطوط: شر قوم.

واقبلوا في الـــرق أيضـا هبَّـةً ... فـارحمـوا إن شئتمُ أو عَـذِّبُـوا
كـل فعـل منكم عـدل متى ... إن[1] يكن رقـي إليكم ينسب
اقبـلوا رقـي فـفـيـكـمْ كـرمٌ ... وارحـمـوا ذلي فـأنتم عـرب
أدركـوني يـا عـريب المنحنى ... أدركـوا صَبّـاً إليكمْ يَـرْغَـبُ
أسـرعـوا لي إنني مضنى بكم ... قبـل أن أقضي ودوني الحجُبُ
لا تقـولـوا إنني أسلو الهـوى ... مـا لقلبي في هـواكـمْ تَعَب
ليس مـا أرجـو ولا بي مـطلب ... غيـر مـا أني لـه مـرتـقب
مِـنْ رضـاً عني وعفْـوٍ، إنـه ... من جميل العفو أن لا تغضبوا
مَـتِّـعُوني وصلكـم أو شـرّفـوا ... مَنْ هَـوَاكم بَـذَلُـوا مـا كسبـوا
لـكنِ الـحكـمُ الإلَهِـيُّ اقتـضَى ... قـرب أقْـوَام وقـومٍ تُـحْجِـب
فـقـلوبٌ قَـاسِـيَـاتٌ أُبـعـدت ... وعـقـول راسـخـات تُـجْـذَب
وعـيـونٌ سـاهـرات أُمِّـنَـتْ ... وجـفـونٌ نـائـمـات تَـرهـب
ومـطايـا صـافـنات [2] أتعبت ... لـخطـايـا مـثـقـلات تـنهـب[3]
في سـطور بخـطايـا سـطِّرتْ ... بـمـدادٍ من دمـوعـي تـكـتـب
فلسـانُ الـحـال فيهـا كَتبت: ... يَمِّمُـوا نَجـداً فنعم الـمـذهب
هـذه الكثبـان منهـا قَـرُبَتْ[4] ... وإلى طَيْـبَـةَ يسعـى الـطيب
أطـيب الأيـام يـومَ قيـل لي ... فيـه هَـذِي طيبـةٌ والكُثُب[5]
هَـذِهِ طَـيبـةُ دارُ الـمصـطفى ... عينها الزرقـا[6] لديكم فـاشْرَبُـوا
هـذه حضـرة من قيـل لـه ... لـيلة الإسـراء: أنـت الأقـرب
هـذه الـرحمـة حامت حـولكم ... مـزنهـا الهـامي عليكم صَيِّب
هـذه جـنـة عـدن فُـتِّـحَت ... لكمُ الأبـواب منهـا فـاقـربـوا

---

(1) في المخطوط: من.
(2) في المخطوط: صاقبات.
(3) في المخطوط: شهب.
(4) في المخطوط: قرنت.
(5) في المخطوط: والكتب بالتاء والصواب والكثب بالثاء المثلثة.
(6) في المخطوط: الرقى.

وحِسَانُ الحور منها أقبلت ... لتحيّيكم وفيكم تخطب
برزت غلمانها [1] يدعوننا؛ ... يا حَجِيجًا أكرموا من يركب[2]
فترجلنا وأركبناهُمُ ... للمطايا عَزَّما قد رَغبوا[3]
إنهم مِنْ حي من تَهْوَاهُمُ ... ولعينٍ ألْفُ عَيْن ترغَب[4]
فتسابقنا لآبارِ عَلى ... نستقي منها ومنها [5] المشرب
ودخلنا الباب نبكي خشيةً ... من ذنوب كثرت لا تُحسب
فتنادينا: ظفِرنا بالمُنَى ... وإلى باب السلام اقْتَرِبُوا
فَوَلَجْناه وما منّا فتى ... قابل الحُجْرة إلا يرهب
فترى القوم سكارى ما هُمُ ... بسكارى إنما هم أُرْهِبُوا
من خطايا معضلاتٍ عظمت ... حسبوا أنَّ بها تنقلب
علموا الذنب ولكن جهلوا ... عفو خير الخلق عمن يُذْنِب
وتوجهنا لوجه المصطفَى ... بدموع من عيون تُسْكب
فوجدنا قومَه حفُّوا به ... فهو في حجرته محتجب
بستورٍ وشِّحت من نوره ... حجب الشمسَ علينا الكوكبُ
من وراء السِّتر فيها نائم[6] ... لا تقولوا ميتاً لا تكذبوا
إنما الميّت من عاش ولم ... تكن الحسنى إليه تنسب
إنما من مات لا يشفع في ... من جنى وهو شفيع مرغب
لكن الرسل الكرام انتقلوا ... للعلا مَا هُمْ إليه رَغبوا

---

(1) في المخطوط: لعانها.

(2) في الأصل:

يا حجيجاً أكرمونا نركب

هكذا جاء هذا العجز في الأصل وفيه تحريف عربية حيث رفع الفعل الذي حقه الجزم في جواب الطلب بعد سقوط الفاء ويمكن إصلاحه بما ذكرت.

(3) في الأصل: جاء هذا العجز هكذا:

للمطايا عزماً كي يلعبوا

(4) في الأصل: تركب.

(5) في الأصل: وقع المشرب.

(6) هكذا في الأصل، والأولى قائم.

ورسول الله فينا طيّبٌ ... وهو منا ناظر لا يُحْجَب
يا رسولَ الله جد بالعفو وَلْـ ... ـيَبْقَ مني[1] في حماكم مقرب
بعد علمي أنَّ ظهري مُثْقَلٌ ... بخطيئاتٍ وأني مذنب
وذمام الحب لولا أنني ... واثق بالحلم ما أقترب
إنَّ تُرْباً خُصَّ من بين الثرى ... لِخُطَى أقدامكم منتخب
لا أراه لخطى أقدامنا ... كُلَّما تَخْطُو جَفَانَا الأدَبُ
إنما حُقَّ لذاك الترب أن ... تشتفي منه عيون تسكب
بدموعٍ تخمد النار التي ... في فؤادي حرها يَلْتَهِب
لِبعَادي من ديار أشرفت ... ورسول الله فيها يُصحَب
كان لي فيها مقام سَبَقَتْ ... لي بها الحسنى ومن قبلي أبُ [2]
لم يكن إذ ذاك من يمنعني ... من حبيب بل ولا لي مآرب
غير ما أصبو إلى روضته ... أجتني من خير ما يُنتخب
فمن القَبْر إلى منبره ... روضةٌ تقصر عنها الرُّتب
بِتُّ فيها ليلة ما مثلُها ... من شهور الدهر ألفُ تحسب
وتوجهت إلى محرابه ... قمت أقضي بعض [ما قد][3] يجب
وانقضى ليلي به[4] منفرداً ... وصفَا وقتيَ ممن يرقب
صبحوني[5] عندما الفجر بدا ... نوره [6] فيها ونعم المصحب
لم يكنْ لي شغفٌ إلا بهم ... منهمُ قومي ومنهم عَرب
لا سوى حبهمُ عنديَ بل ... أكرم القوم لديَّ العرب[7]
إنهم لي سادة فيهم بَدَا ... سيدُ الخلق ومنهم ينسب

---

(1) في الأصل: وليبقى لي.
(2) في الأصل: قلبي بتقديم اللام على الباء وصححتها قبلي لأن ذلك إشارة إلى حج أبيه قبله.
(3) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(4) به ساقطة من المخطوط.
(5) في الأصل: صحبوني.
(6) في الأصل: قوله.
(7) ها هنا إبطاء بين هذا البيت والذي قبله ويمكن دفعه بالاختلاف بالتنكير والتعريف.

هو خير الأنبياء والرسل مَنْ ... جاءت الدنيا له تختطب
فتولّى معرضاً عنها وما ... ناله منها نصيبٌ يُحسب
يا رسولَ الله أشكو فُرقتي ... فدوائي عنكم لا يصعب
يا رسول الله غوثاً إنما ... مطلبي من غيركم لا يطلب
وكذا شوقي وأيمِ الله لا ... ينقضي حتى تماطَ الحُجُب
فإذا لم تستقم لي عودةٌ ... عظم الكرب وبان العطب
يا بدوراً طال بُعْدِي عَنْهمُ ... ورجائي فيهم لا يعزب[1]
قمتُ فيهم طول ليلي ساهراً ... أرصُد النجم متى ينقلب
يا لصحب بديار بعدت ... وإلى خير رسولٍ قربوا
جاههم أرجوه عند المصطفى ... لخلاصي جاهُهُمْ لا يُغْلَب
واسألوا الرضاءَ مَنْ طاعتُهُ ... بكتاب الله شرعاً[2] تجب
ذلكم حمودة باشا الذي ... ساد فينا منه جد وأب
فَخْرُ فَحْلٍ لعلي المرتضى ... لحسينِ بن علي ينسب
طيبٌ من طيبٍ من طيب ... وإذا ما طاب فهو الطيب[3]
سيدٌ من سيدٍ من سيد ... فانتهى فخراً إليه الحسب
ذهب خلص من تبر وهل ... خالصات التبر إلا ذهب
هكذا المجد وإلّا لا تقل ... مثل ذاك المجد مجد يحسب
دونكم مولاي قولاً جامعاً ... لمعالي المدح مما يعجب
باختصارِ اللفظ سَهْلُ نشرِه ... كلما حاولته لا يحجب
فخره في كَلِمٍ حررتها ... بمقول صادق يستعذب
ذاك فخر القول لا ما أطنبوا ... بالذي يُغْري إليه الكذب
لا تقل مولاي إني موجزٌ ... مدحَكُمْ رُبَّ مجيزٍ مطنب

---

(1) جاء هذا العجز هكذا:

ورجائي فيهم أن لا يعزبوا

(2) في الأصل: شرحاً.

(3) في الأصل: ابن الطيب عوض فهو الطيب.

كنت مولاي رفعت[1] لكمُ ... بمديحي منه قصدي يُعْرِب
لا أعيد القولَ في ذا إنما ... أثقلُ القولِ معادٌ يُكرب
أبتغي منكم جواباً بالرضا ... تنجلي منه لديّ الكُرَب
فإذا[2] لم تسمحوا واحسرتي ... آزِفات آزِفات ترعب[3]
إنني قدمت مدح المصطفى ... بين أيدي مدحكم أسْتَوْهِب
لك ما يرضيك منه عاجلاً ... وكذا في آجل لا ترهبوا
إن باب المصطفى يفتح[4] في ... وجهِ مَنْ أمّ إليه يَرْغب
صل يا رب على من بُعِثَت ... فيه بعث الأنبياء والكتب
وعلى آلٍ وصحب والرضا ... عن جميعهم ومن هم صحبوا
واسق يا ربّ ثرى تربتهمْ ... كلما بالغيثِ تهمي السحب
وارض يا رب على ناظمها ... أحمد البارود باليا ينسب
وارحم اللهم شيخي والدي ... وكذا والدتي لا عزبوا
وأدِمْ حلمك في مذنبنا[5] ... كلنا ذاك، ومن لا يذنب[6]؟
واختمِ العمر جوارَ المصطفى ... ليكون الحشر فيمن يصحب

وأذن له فحج بيت الله الحرام، ورجع مغفور الآثام، وصار الحاج أحمدَ ابن الحاج حسين ابن الحاج إبراهيم فثلاثتهم قد حجوا وزاروا، وإلى دار النعيم صاروا، فتوفي عليه رحمة الله ليلة الجمعة الثاني والعشرين من شوال سنة 1229 تسع وعشرين ومائتين وألف ودفن بالمرسى جوار ضريح الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي رحمه الله ورثاه العالم الشيخ إبراهيم الرياحي بقوله:

---

(1) في الأصل: قدمت.
(2) في الأصل: فإن.
(3) في الأصل: آزفات في آزفات ترعب.
(4) في الأصل: يمدح.
(5) في الأصل: وأدم حماك في مدفنا.
(6) في الأصل: وكلنا ذاك ومن يذنب.

[الكامل]

عش مـا تشـاء لـذاذة وحبـورَا ... إن القصـور ستستحيـل[1] قبـورَا
يـا غـافـلاً لم ينتبـه لمـذكِّرٍ ... أفمـا كفى داعي المنـون نـذيرا
كم من رفـيـع فـي أسرّةِ عزّه[2] ... خفضـوه في ذل التـراب أسيـرا
وبمـوت أهـل العلم أبلغ واعظ ... يهدي إلى كون الحيـاة مرورا[3]
وهنا اعتبر بضريح أحمد كم طوى ... بـمغـيّب[4] فـي طيـه مَـنْـثُـورا
غـربت لبارودي[5] بهن محـاسن ... يـا طـالمـا أشرقن فيـه بـدورا
قد كان في وجه المحافـل غرةً ... وعلى المنـابـر قسهـا المشهـورا
ولـطالمـا قـرعت زواجـر وعـظه ... صُمًّـا وكم ذا قد شرحن صدورا
أمّـا إذا يتلو الـكتـاب فـإنّـه ... يُهـدي لأمـوات القلوب نشـورا
عظم المصاب به[6] وأحرى مذهب النـ ... ـعمـان إذ لهداه[7] كـان نصيـرا
ركـدت ريـاحُ زئيـره فكـأنـه ... ما كان ليثاً في الرجال هصورا[8]
إن يمض فهو سبيلنا ومَنِ الذي ... كَتَبَتْ له يُمنَى[9] الخلـود ظهيرا
لبّى المنـادي واستجـاب لـربـه ... يـرجـو رضـاه فضلَه المـوفـورا
يـا رب حقق فيه قـولـه مؤرخ: ... (ألقـاه وجهـك نـضرة وسـرورا)

---

(1) في الأصل: تستحيل.
(2) في الأصل: كم من رفيع في المبرة عذره، والتصحيح من الديوان.
(3) جاء هذا البيت في الأصل هكذا:

ولـجـدت أهـل الـعـلم أبـلغ وأعظ ... يـهـدي إلى كـون الـحـيـاة قـدورا

(4) في الأصل: لمعينه.
(5) في الأصل: بارود.
(6) به ساقطة من الأصل.
(7) في الأصل: لعلاه.
(8) في الأصل: ما كان ينشا في الرجال مصوراً، والتصحيح من الديوان.
(9) في الأصل: يمن.

- 21 -

الشيخ حسين برناز[1]

هو الشيخ أبو محمد حسين بن مصطفى برناز، ولد سنة أربعين ومائة وألف، ونشأ في طلب العلم، فقرأ على أعلام عصره كالشيخ صالح الكواش ومن عاصره، وختم الدر المختار على الشيخ مراد بوسيكة[2]، وقرأ صدر الشريعة على الشيخ حمودة باكير والشيخ حمودة البرادعي.

وتقدم للفتيا ببلد منستير وخطبة جامعها الحنفي.

ثم لما طال به المقام طلب رفع يده من خطط المنستير ورجع إلى تونس وجلس للإشهاد فَعُدَّ من ثقات العدول ودرس الفقه ومبادىء النحو بجامع الزيتونة وولي الإمامة والرواية بالجامع اليوسفي وخطبة جامع القصر.

ثم لما ولي الفتيا الشيخ محمد بيرم الثاني تقدم عوضه لخطة القضاء يوم الجمعة الثالث عشر من المحرم 1215 خمس عشرة وقضى نحو خمس سنين في الخطة المذكورة، غير أنه كان غِرّاً كريماً فقدمه الأمير حمودة باشا لخطة الفتوى يوم[3] وهو يوم عيد النحر عاشر ذي الحجة الحرام عام 1219 تسعة عشر ومائتين وألف، وتولى خطيباً في جامع القصر عام 1224 أربعة وعشرين ومائتين وألف. وكان فقيهاً فاضلاً تقياً خطيباً فصيحاً حسن الاعتقاد كثير الزيارة للصالحين محسن الظن بالناس لا يتكلف شيئاً وقد بلغ الهرم حيث بلغ من العمر إلى ثمانية وثمانين عاماً وتوفي عند الفجر من يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شوال سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين وألف، ودفن من الغد بالسلسلة وقد رثاه العالم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحي بقوله:

---

(1) ترجمته في الإتحاف نقلاً عن تراجم المفتين للشيخ بيرم الثاني (ج 7، ص 84).
(2) ترجمته في الإتحاف موسيكة.
(3) هنا بياض في الأصل.

[الكامل]

كـل الورى هـدف لسهم حِمامِ ... حكمٌ جـرى حتى على الحكامِ
كيف الـدوام وكل شيء هـالـك ... لـنـزيـل دار غـيـر ذات دوام
فاعمل لنفسك صالحاً تلقاه[1] إذ ... يصحو الورى من سكرهم بمنام
وانفض يداً من هاته الدار التي ... سحرت[2] بأحـلام ذوي الأحلام
وهي التي وعظت، وحسبك واعظاً ... مـوت[3] العلوم ونقـلة الأعـلام
انظر إلى هذا الضريح وما حوى ... من عـالمٍ عَلَمٍ وبحرٍ طـامي
بـحـر من الـتحـقيـق قـلَّد درَّه ... نحرَ الـطروس أنـاملُ الأقـلام
كنـز من التدقيق كم حلى بـه[4] ... درراً مـن الإفـتـاء والأحـكـام
هـذا الإمام حسين العلم الـذي ... نـظم التقى والعلم أيّ نـظام
يا (مجمعَ البحرين) يا (برناز) من ... أبقيت نـوراً في دجى الإظلام
قد كنت مصباحَ الهدى وصباحَه ... وجمالَ وجهِ محـافلِ الأيّـام
إن غبت عن نظر العيون[5] فلم تزل ... بين الجـوانـح في أعـزّ مقـام
يهنيـك ما خلفت من شكـر وما ... قـدمت من ذكـر لنيـل مـرام[6]
لا غرو أن يحوي المنى فضلاً وفي[7] ... تـاريخه: (حصل الهنا[8] بختام)

---

(1) حكم هذا الفعل الجزم لكن هكذا جاء في ديوان الشيخ.
(2) في الأصل: سخرت.
(3) في الأصل: لوت، والتصحيح من الديوان.
(4) في الأصل: كنز من التدقيق حل حفيده، والتصحيح من التراجم وجاء عجز هذا البيت في التراجم:

من دمية الإفتاء والأحكام

وكذلك جاء في الديوان.
(5) في الأصل: العلوم.
(6) في التراجم والديوان:

قدمته ذخرا لنيل مرام.

(7) في الأصل: ولي.
(8) في الأصل: المنى.

- 22 -

الشيخ أحمد بن الخوجة[1]

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن حمودة بن مَحمد بن علي خوجة، جده علي من بلاد الترك بوظيفة خوجة حج بيت الله الحرام وامتحن بفقد ولده مَحمد بفتح أوله غير أنه تسلّى عنه بحفيده حمودة المذكور، فتبناه واجتهد في التعليم، فقرأ العلم الشريف وكانت له في العسكرية وظيفة أولـظاش على عهد الباشا علي وسافر بالأمحال مع ولده الأمير يونس باي، وكان في المحـلة لا يتخلى عن إقراء الفقه لعوام العساكر الحنفية بعد صلاة العصر حتى اتفق أن يونس في بعض الأيام افتقد كثـرة دوران من العسكر فسأل عن سبب انزوائهم فقيل إنهم يقرؤون الدرس المذكور، فتعجب من أمر الأولظاش وطلبه للحضور ليختبره بمحضر إمام المحلة ولما حضر ورام اختباره أذنه بالمحاورة مع إمامه بمحضره ليتبين حاله وكان اليوم يوم جمعة فبادر الشيخ لسؤال الإمام وقال له إن هذا اليوم يوم صلاة جمعة فهل هي رخصة أو عزيمة، فلم يجد الإمام جواباً وإنما قال للأمير إنه عالم يستحق أن لا يبقى على الخدمة العسكرية فأرسل الأمير لوالده بخبره وطلب سراحه فقبل غيرَه عوضاً عنه وأخرجه من العسكرية فلازم خدمة العلم الشريف إلى أن تقلد خطة التدريس بجامع يوسف داي، وفي أمر ولايته أنه يقري ما شاء.

وهذا دليل واضح على سعة علمه وذلك على عهد الأمير علي باي في أوائل رجب من عام ثلاثة وثمانين ومائة وألف وخطب بالنيابة وكان كثير الخشوع عند الخطبة يغلبه البكاء وله في الدرس تحقيقات عقلية ونقلية، وصِفَةٌ بذلك رضية، وقد كانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف، ورثاه الشيخ محمد بن سعيد النجم بقوله:

---

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 7 ص 142) ، وهي ترجمة تنم عن تعلّق، وقد كان أحد شيوخ مؤلف الإتحاف.

[الكامل]

كل امرىء نحو[1] الممات سبيلُه ... سيان فيه عزيزه وذليلُه
يفني الذي حرم القضاء ومن له ... تاج يعض[2] جبينه إكليله
لم يبق إلا ما قضت كل النهى ... ببقائه وأتى به تنزيله
فليحذر الإنسان أن يغترَّه ... من زخرف الدهر الخئون جميله[3]
وليتعظ بمصاب كل مسجّدٍ[4] ... قد كان للصنع الجميل يطيله
لا سيّما حمودة بن الخوجة الأ ... سمى الذي ما ريء قط مثيله
قمر الدروس ومن إذا وقف الورى ... في مشكل لم يُعْيِه تأويله
يبدي المسائلَ مثل غصن ناضر[5] ... والبحثُ في مثل النسيم يميله
كم لاح فوق ذُرى المنابرِ وعظُه ... وانهلَّ في محرابه ترتيلُه
وجرى على ثوب الدجى من جفنه ... دمع لخوف الله كان يزيله
حتى أجاب إلى ضيافة ربه ... جمَّ الرجاءِ أمَامَه[6] تهليله
فاغفر له ربّي[7] وزده وأعطه ... ما لا يجول بفكره تأميله
وأجب دعاه إذ يقول مؤرخاً: ... (هب لي قِرى من لا يخيب نزيله)

ونشأ ولده صاحب الترجمة بين يديه، وقرأ المبادىء عليه، ثم على أعلام عصره كالشيخ أبي الفلاح صالح الكواش قرأ عليه المطول وصدر الشريعة والمغني وغيرها، وقرأ على الشيخ حسونة بن خليل الحنفي والشيخ محمد بن سعيد النجم ومن لطائف أستاذه معه أنه عند وفاة والده استدعاه ليلة الأربعين وكانت ليلة مطر فكتب إليه معتذراً بقوله:

---

(1) في الأصل: إلى.
(2) في الأصل: يفضّ.
(3) في الأصل: خميله.
(4) هكذا جاء هذا الصدر في الأصل وفي الفلك، ومُسَجّد غير معروف المعنى.
(5) جاء في الأصل ناظر بالظاء المشالة.
(6) في الأصل: إماماً.
(7) في الأصل: يا ربّ.
(8) في الأصل: دعاء.

[الوافر]

أبـا العبـاس لا تعتبْ فـإني بَـعِـيدٌ عن مَـزلاَّتِ العتـابِ
أنا نجم وهل أبصـرت نجماً تبـدى نوره ليـل السحـابِ[1]

وتفقه عن شيخي الإسلام البيرمي الثاني والشيخ قاسم المحجوب وغيرهما من علماء جامع الزيتونة وتصدّى للتدريس بعد التحصيل، فبنى تعليمه على أصل أصيل، ونهض للتحقيق والتحرير، وسلك مسلك النحارير، فكان لدرسه فخر يذكر، وتدقيق على بساط المعارف ينشر.

وتقدم لإمامة جامع مَحمد باي المرادي خطيباً وإماماً ومدرساً بعد وفاة الشيخ محمد الترجمان فولّي يوم الثلاثاء تاسع ربيع الثاني سنة 1211 إحدى عشرة ومائتين وألف ولازم به التدريس، وقلّد لبة الألباء در علومه النفيس، وولي مشيخة المدرسة الشماعية عوضاً عن الشيخ محمد البارودي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة 1219 تسع عشرة ومائتين وألف، وأقرأ بها علومه الشرعية.

وقدمه الباشا حمودة لخطة القضاء صبيحة الاثنين يوم عيد النحر من عام 1219 تسعة عشر ومائتين وألف فأحيا رسومها، وداوى كلومها، وأقام لها بتثبت ودين وفضل، وحكم فصل، ولازمها نحو العشر سنين.

ولما توفي الشيخ أحمد البارودي تقدم للفتيا عوضه في ثاني ذي القعدة الحرام عام 1229 تسع وعشرين ومائتين وألف وأفاد السائل، بتحقيق المسائل، وتصدى لبث العلم بالتدريس والتأليف، وقد شرح منظومة المحبي في المذهب الحنفي شرحاً[2] بديعاً.

وهو أول من سن الاجتماع على ختم البخاري بالجامع في شهر رمضان[3]

---

(1) في الأصل: قال السحاب.
(2) في الأصل: شريعاً.
(3) في الإتحاف: وهو أول ما سنّ الأختام في رمضان على الكيفية الموجودة الآن من فحول العلماء.

والكتابة على الختم، واستدعى لذلك أمير عصره حمودة باشا، وكان لا يتخلف عن ختمه، وتحضره جميع العلماء وتجري بينهم المباحثة إلى نهاية الدرس وقد وقفت له على ختم بديع ختم به سنة 1225 خمس وعشرين ومائتين وألف كتب فيه على باب مشروعية التهجد بالليل أطال فيه البحث مع شيخ الإسلام أبي السعود في تفسيره وحرر فيه [1] مباحث يعز تحريرها على غيره واستدرك التحارير على نجم الأيمة ابن سعيد ما حرر به مبحثاً مهماً من حواشيه على الأشموني. ولمكان نفاسة هذا الختم قرظه العالم الشيخ محمد بن قاسم المحجوب بتقريظ لم نر له غيره من الشعر وهو قوله:

[البسيط]

لله هذا الذي قد راق وابتهجا ... ومنهجَ الحقّ والتحقيق قد نهجَا
محكّم النسج لا يَخْشى معارضة ... لأنه بيد الإتقان قد نسجا
نزهت فكريَ في أفنان ما غرستْ ... يدُ الذكاء [به][2] مستنشقاً أرجا
لِمْ لا وَوَاضعُه فردُ الزمان ومن ... بعدله منصبُ الأحكام قد لهجا
قاضي القضاة وفخر العصر منصبه ... من التقدم معروف لكل حجا
أوضحت فيه أبا العباس مجتهدا ... وجه التهجد حتى قام مبتهجا
لا أغمد الله سيفاً أنت مصلته ... من العلوم وفي صدر الحسود شجى
ولا برحت كذا في كل قابلةٍ ... تقلد الختم من أنظاركم حججا

وقد أخبر الشيخ أحمد بن حسين باش مفتي المالكية أنه كان يقرأ عليه مختصر السعد فأورد عليه بعض الحاضرين كلام المطول في ذلك البحث وتوقف فيه، فأخذ الشيخ من يده كراس المطول وتأمل المبحث ملياً ثم قرره وقرر كلام السيد وعبد الحكيم عليه هنالك وزاد تقارير أُخَرَ من عنده كأنما كان ذلك هو موضوعَ الدرسِ وذلك من غاية تحصيله. وناهيك به من عالم ما شئت من علم ودين وفضل وإنسانية وقناعة وأناة وكرم نفس وتواضع مع علو همة وعدم تصنع، له

(1) في الأصل: فيها.
(2) به: ساقطة من الأصل.

اليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية، وقد نفع بها كثيراً من علماء الحاضرة. وقد تنوقل خبر شرف أصله عن غير واحد من معاصريه في تلك الأيام حتى تواتر ذلك عند نقيب الأشراف في ذلك العصر وكتب كتابة تتضمن ثبوت شرفه لديه وقفت عليها مؤرخة في التاسع والعشرين من المحرم سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين وألف. ولم أر له من الشعر غير بيتين أجاب بهما[1] أحد أحبته وذلك أنه زار منزل الشيخ محمد المُولاّ[2] فأنشد في ذلك قوله:

[الخفيف]

أيها الحبرُ من سما أوج عز ... مثل بدر التمام حل بروجَهْ
زرتني من مودة ذاتِ صدق ... بدم القلب قد بدت ممزوجه
قلت إذ زرتني: وإنك في تا ... ريخنا: (أنت أحمد بن الخوجة)

فأجاب الشيخ عن ذلك بقوله:

[الوافر]

مقامٌ نشْرُ عنبره عظيمٌ ... ومنه البدر حُسناً مستعيرُ
وأشرق نوره فلذاك قلنا ... وأرّخنا [مقامك مستنير]

ولم يزل صاحب الترجمة بين إمامة وخطابة وتدريس، وفتوى تدير على أسماع رواتها كؤوس الخندريس، إلى أن أتاه محتوم الأجل، ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان الأكرم سنة 1241 إحدى وأربعين ومائتين وألف، ورثاه الشيخ محمد بن سلامة بقوله:

[الطويل]

هو الموت حتم لا محالةَ صائرُ ... ومن ورده كل ابنُ آدم صادِرُ
وهذا سبيل الناس طرًّا فما ترى ... سوى سائر يقفوه بالإثر سائرُ
وما الناس إلا كالركاب إلى الرّدى ... يسير بهم من سابق العمر ضامر

---

(1) في الأصل: بها.

(2) اختلفت كتابة المولا كما هنا بالواو وبعد الميم وفي أماكن أخرى بدون واو وهو الصحيح.

يغر الفتى غض الزمان وما درى ... بأنّ جفون الحادثات سواهر
وتخدعه الأيام حيناً فسلمها ... وأسيافها[1] عند التمام بواتر
تمرُّ به كَفُّ التناول حيثما ... تبسَّم عن روض الحياة أزاهر
فطوبى لمن قد كان فيها مصاحباً ... إلى طرق الخيرات، وهو مبادر
كهذا الإمام الفاضل الحبر من له ... خصالٌ سمت عن عدها ومآثرُ
وذاك أبو العباس من جمع الهدى ... ولكنه بين البرية نادر
عنيت به ابن الخوجة العلَم الذي ... على موته جفْن المكارم هامرُ
تردى بهذا العلم صرح[2] وركنه ... ومات بهذا الفقه والنحو حاسر[3]
تنكرت الدنيا عليه فأصبحت ... يُعَرِّفها عنه الثنا المتكاثر
فلهْفي على علم الأصول معطلاً ... ودرس المعاني بعده اليوم حاشر
ولهفي على كنز العلوم تحولت ... خبايا له الأرماس فهْي ذخائر
فيا قبرُ طِبْ قد حلَّ فيك مكرم ... وزارك [من][4] بحر الحقائق زاخر
غدَوْت لبث[5] العلم فذّاً ومن يكن ... إذا ثار من صعب المسائل ثائر[6]
فمن شاء يبقى بعدك اليوم فليمت ... فأنت الذي كنا عليه نحاذر
حقيق بأن تبكي البرية منبراً ... ودرساً ثوى لما طوتك المقابر
لذاك الورى ناحت عليك وأرخت: ... (لنعيك درس مثل در ومنبر)[7]

ورثاه الشيخ الحاج أحمد الكيلاني بقوله:

[الطويل]

ألاَ حكمُ ربي نافذٌ في العوالم ... به كانت الأقدار ضربة لازِم

---

(1) في الأصل: وأسيافه.
(2) في الأصل: صاح.
(3) في الأصل: كالنحو حاسر.
(4) من: سقطت من الأصل.
(5) في الأصل: لسيف.
(6) ثائر: جاء هكذا بالرفع والصواب أن يكون بالنصب لأنه خبر يكن ولو نصب لكان إيطاءً.
(7) في الأصل جاء هذا هكذا: لنعيك درس كدر أو منبر.

وما مِنَحُ الأيّامِ إلّا زخارفاً ... وطيب جناها زائل غير دائِم
فيا فوز من لم يكترثْ[1] بنعيمها ... كصاحب هذا الرمس فخر المكارم
إمامِ الورى ابنِ الخوجة الفذِّ أحمدٍ ... همامٍ حوى مجداً رفيع الدعائم
فطوبى لقبر ضم أَعْظُمَه التي ... سقاها مدى الأيام فيض الغمائم
وفوزاً لأرماس به قد تأسست ... ويا فوز من فيها بمحو الجرائم[2]
لقد كان في دنياه (صدْرَ شريعة) ... أَبَان رُسوماً مُبْهماتِ المعالِم
وقد كان للدين الحنيفيِّ صارماً ... وفي الحق لم تأْخذْه لومةُ لائم
فما خالف المشهور مُذْ كان حاكماً ... ولا همّ بالمرجوح ميلاً لظالم
وفي مذهب النعمان كان هدايةً ... به يُهتدَى في معضلات المعاظم
أَيَا ابنَ هُمَامٍ قد نعتكم[3] طروسكم ... ويُبْكَى على تحريرها في المآتم
لقد راح من بالفتح يهدي ويهتدي ... محلَّ عويص ضلّ عن عَرْضِ واهم
فمن (لمنار) الدين من بعد سيد ... لإيقاف تيار انتشار المظالم[4]
وأين الذي يلفى (لتوضيح) مشكل ... إذا اصطكتْ الأبحاث في فهم عالم
على فقده تبكي المنابر دَهْرَها ... وتبقى بحزن[5] دائم متراكم
فراح وما راحتْ مناقبُ فضلِه ... وقد زُفَّ للحورِ الحسانِ النواعم
فيا رب قد وافاك يَبْغي رضاكمُ ... فقابِلْه بالرضوان يا خيرَ راحم
وحقِّقْ بفضل منك قولَ مؤرخ: ... (فقد نال الفردوس طيب المكارم)

وأرّخ وفاته الشيخ محمد السقاط بأبْيَات رسمت على قبره وهي قوله:

[الكامل]

لُذْ بالتُّقَى زاداً لربك واجْهَدِ ... في حسنِ أعمالٍ بقلب أَزْهَدِ

---

(1) في الأصل: يكترف.
(2) في الأصل: وانقز من فيها بنحو الجرائم.
(3) في الأصل: تنعى.
(4) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:
لا يلت ... عند انتشار المظالم
(5) في الأصل: ويصفو الحزن.

إذ للمنيـةِ فيـك سهمٌ صـائب ... إن لم يصبْك اليوم فاجَا في غد
ولَئِنْ تَكُنْ أبـداً زكيـاً[1] مـاجـداً ... ما أَنْتَ من هذا الإمـام الأوحد
هُو أحمدُ بنُ الخوجة العلم الذي ... بالرمس أضحى كالحسام المُعمَد
حـبـرٌ ذكيٌّ فـاضـل مـتـورع ... سند الهدى مأوى سباقِ السُّؤْدَدِ
ذُو المذهب الحَنَفِي الـزكيِّ إمَامُـه ... مفتي الورى حاوي علوم محمد[2]
حَكَمُ البرية ذو النهى من عدله ... يُلفى لدى المظلوم أعـظَمَ منجد
أَخَذَ العلوم وبعضها عن معشر[3] ... ورثوا المكارم أمجـداً عن أمْجَدِ
وغـدا وسيـطاً سـاعيـاً في بثهـا ... بحـر نفيس الدر عـذب المـورد
أَكْـرِمْ بـه لمَّـا بـدَا متحلِّيـاً ... خِلَلاً حِسَـانـاً جُمِّعَتْ في مُفـرد
قد نالها وعسى بفضل الرب أن ... يحظى جلالاً في المقام الأسعد
وأفـادَ ذا المأمـولَ قـولُ مؤرخ: ... (راقٍ جَليلاً في النعيم السرمدي)

- 23 -

الشيخ محمد بيرم الثالث[4]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن حسين بيرم، قد تقدم أن والده أصيب في الطاعون الجارف سنة 1199 تسع وتسعين ومائة وألف بفقد أولاده، وعزم على عدم التزوج حتى زوجه والده بابنة الشريف الفلاري[5] فرزق منها بولده صاحب الترجمة ليلة السابع والعشرين من ربيع الأول من عام 1201 وَاحِدٍ ومائتين وألف.

وقرأ على أعلام ذلك العصر مثل والده والشيخ حسن الشريف ومن

---

(1) في الأصل: زاكيا.

(2) في الأصل: حادى علوم محمد.

(3) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا:

أحـد العلوم بعضها عن معشر

(4) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 54).

(5) الذي تقدم في ترجمة محمد بيرم الثاني (ص50-51) من هذا الجزء أنه تزوج بابنة الفلايح، وحقق.

عاصرهما من جِلّة العلماء غير أن أكثر قراءاته كانت على الشيخين المذكورين، وقرأ على الشيخ أحمد بن الخوجة كلّا من المغني والمحلي والمطول والدرر، وحصل على الرتبة العالية في العلوم العقلية والنقلية.

وتصدى للتدريس فأخذ عنه فحول العلماء منهم الشيخ محمد بن سلامة، والشيخ محمد النيفر الناسج على منواله في الإلقاء إذ أن صاحب الترجمة قد اختص برتبة عالية في التدريس بحيث إنه يلقي الدرس على كيفية في التنظيم والاتساق[1] والتحرير لا نظير لها مع حسن الأناة وإعمال النظر السديد في التحقيق، وقد أخذنا عمن أخذوا عليه، فكان شيخَنا بواسطة رضي الله عنه. وكان يقرىء أولاً في جامع الزيتونة والمدرسة الباشية مع مواظبة كلية وتحرٍّ في أوقات الدرس وقد ظهرت مزيتة على أترابه، وتقدم عليهم في شرخ شبابه.

وختم كتباً مهمة بالتدريس ولما ختم المختصر المنطقي للشيخ السنوسي هنأه بذلك الختم أحد تلامذة الدرس معتذراً عن التخلف في يوم ذلك الختم من شعبان سنة 1254 أربع وخمسين ومائتين وألف وهو العالم الخطيب المدرس الشيخ محمد الطيب الرياحي بقوله:

[الكامل]

يـا سيداً سعـد الزمـان بسعـده ... وغدا الكمالُ حليفَ خدمةِ مجدِهِ
وأضـاءتِ الـدنيـا بنـور علومـه ... وتـوضحت سُبُل السـداد برشـده
لك في الفؤاد مكينُ وُدٍّ يقتضي ... لكمُ من التعـظيمِ غـايـة وَجـدِه
وأوُّد لو سمح الزمان فصغت من ... مَدْحِيكَ ما فاقت جـواهرُ عِقـده
وَلَكَمْ يجولُ الفكرُ حول حياضِه ... فيـذودُه صـرفُ الأسَى عن ورده
شغل من الأشغال ينتهبُ الحجا[2] ... نَهبَـاً ويغمد[3] سيفـه في غمـده

---

(1) في الأصل: الانتساق.

(2) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا:

شعب من الأشعال ينتصب الحجا

(3) في الأصل: ويغيّر.

سِيَّمَا وعندي اليوم أكثر شاغل أغنى المقامُ وحالُه عن سرده
والحقُّ أني في القضية مذنب جاوزت في التقصير أقصى حده[1]
وأنا بعفوك من عتابك عائذ مستوهب نيل الرضا من بَعده
ولأنت أكرمُ واهب وأجلّ من ترتاد غايات المنى من عنده
لا زلت موصولَ السعادةِ آوياً[2] لأثيلِ عزٍّ لا زوالَ لسطوده

ولما تمّ جامعُ الوزير صاحب الطابع بالحلفاوين قدمه الأمير خطيباً به فكان أوّل خطيب به فصلّى فيه أوّل جمعة في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 29 تسع وعشرين في يوم مشهود، وحضره الأميرُ والمأمور فاستلان صلد القلوب بمواعظه وخطبه البليغة.

وكان ابتداء بناء الجامع المذكور يوم الأحد غرة المحرم سنة 1223 ثلاث وعشرين وبنى حوله المدرسة الفخيمة والتربة والمكتب، ودفن بالتربة وليّ الله الشيخ عثمان بن كرم يوم الأربعاء الموفي ثلاثين من جمادى الثانية سنة 25.

ثم لما توفي الشيخ أحمد البارودي وولي عوضه الشيخ أحمد بن الخوجة قدمه الأمير عثمان باشا مفتياً في ثاني ذي القعدة الحرام سنة 1229 تسع وعشرين ومائتين وألف، وكان عندما دخل على الأمير هو وشيخه الخوجي السابق الترجمة أراد الأمير أن يقدمه مفتياً ويجعل شيخه المذكور مفتياً ثالثاً فصاح به شيخ الإسلام والده البيرمي الثاني وقال للأمير كيف يتقدم ولدي على رجل طال جلوسه بين يديه للتعليم، وأمر ولده بالتأخر عن شيخه فتأخر وصار يومئذ مفتياً ثالثاً وكان سنه يومئذ دون الثلاثين سنة، فلاقى والده بولايته سروراً كان يظن أنه لا يلاقيه، والله ذو الفضل العظيم، وقد هنأه بذلك الفاضل الشيخ محمد بن نصر بقصيدة طويلة قال في مطلعها:

[الكامل]

يهنيك يا فخر الصدور سروركم بولاية النجل السعيد محمد

(1) في الأصل: جدّه.
(2) هكذا في الأصل والأولى وليّ.

وله يومئذ مشيخة المدرسة العنقية وكانت خاربة جداً بحيث إنها صارت مرمى للأزبال فجمع ما انتشر من أوقافها وبادر إلى رمها شيئاً فشيئاً إلى أن أتم إحْياءها في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وأرخ إتمامها من قال في ذلك:

[الطويل]

ولما انتهى البنيان قلت مؤرخا: (لقد تمّها من حينه الحبر بيرم)

وقد شمر رحمه الله على ساعد الجد، ولقي من مساعدة والده ما ليس له حد، فتجملت الخطة بكماله، وعد من فحول آله.

وله تحاور مع الشيخ إبراهيم الرياحي باش مفتي المالكية رضي الله عنه في نازلة وأرسل له بعد المحاورة فيها النص من مختصر المنار وعندما حمله كتب إليه بقوله:

[الوافر]

أحطتُ بما بعثت إليّ خُبْراً من الصور[1] المدارة كالقلاده
فكان الرأي أنْ لا خُلْفَ فيها لما تحويه من حسن الإجاده
فلا زلتم مناراً في رشاد ولكن غير مختصر الإفاده

ومن ذلك أنه تحاور مع المولى الجد الشيخ مَحمد السنوسي قاضي الحضرة في مسالة أصولية شاع فيها بيت من الشعر ولما رجع إلى داره أرسل له الكمالَ بن الهمام حجة لما اختار، فكتب إليه المولى الجد بقوله:

[الطويل]

كمالُك بدر بل من البدر أعظمُ وقدرك دهرٌ بل من الدهر أفخَمُ
وهمتك استهوته لا بتَكَلُّفٍ وعلمك بحر بالجواهر مُفْعَم
ولو سأل الغمر العموم من الذي به يقتدي علماً أجابوه بيرم

---

(1) في الأصل: الصورة.

أرى مذهب النعمان منك مؤيداً تُحـرّره أصـلاً وفـرعـاً وتُحْكِم
إذا كنت في جمع فأنت فصيحهم وغيـرك في يوم المجـامع ملجم
ألا أيّهـا المفتي الهمـام محمـد ومن هو في فصل العويص المقدم
ظفرتُ بها أرسلتَ لي من كمالكم جواباً به كشف الغوامض محكم
يبـاهي لهارون الـرشيد امتحـانه أبا يوسفٍ في الحسن والله اعلم
فإن ترفقي يا هند فـالرفق أيمنٌ ..... [1]

وقد خطبه الأمير حسين باشا باي في ابنته لأكبر بنيه المشـير الثاني محمد باشا باي فزوجه بها وصاهره، وأظهر له من البذاخة والثروة في تجهيز ابنته المذكورة ما يتلى حديث في الحاضرة. وزفها لبيتها ليلة الخامس عشر من شعبان سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين وألف، واتفق ليلة زفافها أن خسف القمر[2] وأحسن العالم الشيخ إبراهيم الرياحي في تعليل الخسوف المذكور في خطاب الأمير إذ قال من قصيدة تهنئته في وصف سرور الزفاف المذكور:

سمـا فـوق الـسماءِ فـلا عجيبٌ لغيظ البـدر إذ أبـدى سـواده[3]
ومن ظن الخسـوف بَـدَا لشـر فخيـر الخلق قـد رد اعتقـاده

وكتب إليه يهنيه بزفاف ابنته فقال:

[الوافر]

سَلاَمٌ طيبُه كـالمسك صـائك[4] على العَلَم الشهيـرِ ومن هنالـك
ولله الـذي هَـنَّـاكَ حَـمْـدٌ على تيسيره صَعْبَ المسـالـك
فـإنّـك قـد ركبت من المعـالي متـوناً غيـرُ صـاحبهن هـالـك[5]

---

(1) بياض في الأصل.
(2) صاغ بعض المغنين في حادثة الكسوف غناء بالعامي طالعه:
يـا قمـرة أربعـطاش لاش اخسفتـي الـليلة عـرس الـبي وبـنت الـمفـتـي
(3) في الأصل: لقيط الدر إذ بدا سواده.
(4) في الأصل: حائك.
(5) في الأصل: مالك.

فقمت لـهـا قيـام ذوي اهتمـام لهم في نيـل أفضلهـا مَـدَارك
وبـالله استعنت فكـان عـونـاً وأهلُ العلم مثلك أهل ذلك[1]
فجـاءت مثـل مـا يهـوى محب يـنـادي بالـدعـا اللهـم بـارك
فيـالـك من هنـاء نلت منـه سـرورَ الوصـل من حبٍّ متـارك
أدام الله عـزك فـي مـزيـد وحسنـك في الوجود بـلا مشارك

ولما توفي المفتي الثاني قدم الأمير حسين باشا باي صاحب الترجمة مفتياً ثانياً والده، أواخر شعبان الأكرم من سنة 1241 إحدى وأربعين ومائتين وألف، فاعتضد به والده واستعان بشباب[2] ولده على مرامه[3] ومع ذلك فإن احترامه لوالده كان عظيماً وحسبك أنه والد جسده وروحه فكان أصلَ جسده وعلمه.

أتاه في شهر رمضان خبر تجاسر أحد الأعراب على فلاحته بالسرقة فأتى به وسجنه فأرسل الأعرابي من السجن يشكو لوالده شيخ الإسلام الثاني فخرج والده فصادف ولده داخلاً وهو المفتي الثاني، فرام أن يقبل يده فمنعه من ذلك وصاح عليه كيف تظلم مسلماً في شهر رمضان فأخبره ولده بقصة ما صنع معه الأعرابي فلم يتريث الشيخ أن قال له وما تقول بين يدي الله إذا قال لك كيف تقضي لنفسك وهلا أرسلته للقاضي وترافعت[4] معه كسائر آحاد المسلمين وأعرض عنه وقال له إني لا أسامحك حتى يحضر بين يدي الأعرابي ويعلمني بأنه سامحك فيما ظلمته به فخرج الشيخ وأرسل للأعرابي وأتى به واسترضاه ودخل به على والده ليعلمه بمسامحته إيّاه.

ولم يزل باراً بوالده إلى أن أدركت[5] والده المنية فقدمه الأمير حسين باشا إلى خطة مشيخة الإسلام ونقابة الأشراف يوم السابع عشر من جمادى الأولى سنة

---

(1) في الأصل: مثل مالك.
(2) في الأصل: بشاب.
(3) في الأصل: على مرمه.
(4) في الأصل: وتراجعت.
(5) في الأصل: دركت.

1247 سبع وأربعين ومائتين وألف فزان الخطتين بعلمه وعمله، وبلغ به الفضلُ إلى غاية أمله، ما شئت من علم مسبوك بالسياسة الشرعية، وعمل يُرضي الله ورسوله وأهل الشريعة المحمدية، ووقار تخر دونه الشم البواذخ، وكرم نفس وقدم على صراط التثبت راسخ، وحسن أخلاق عذبة المذاق، تجملت به الرئاسة، حين عطر بها أنفاسه، إذا خطب أبدع، وإذا تلا القرآن حن إليه كل من يسمع، وإن روى الحديث الشريف، أيد القلب الوجيف، وإن أملى دروس المعقول من بَعد، خلت نفسك في حضرة السيد والسعد، وإن أملى الفقه والأصول، أبلغ سامعيه غاية المأمول، وإن نظم أو نثر، أراك كيف نثر الزَّهَر وقلائد الدرر، شعره لطيف ونثره جيد.

وكتائبه العلمية محررة غاية التحرير قد كتب حاشية الفواكه البدرية لابن غرس فأبدع فيها ما شاء وقرظها عمه وتلميذه الشيخ مصطفى بيرم بقوله:

[الكامل]

زارت وكانتْ للمتيَّم سُولاَ ... سحر التنجُّزُ وَعْدَها المسئولاَ[1]
وتمنَّعت من أن تنال بلحظة ... وأرى التمنع في الجميل جميلا
حسناءُ بنتُ معارفٍ لاحتْ على ... هامِ الزمان بحسنها إكليلا
فهي النتائج لا نظيرَ لجمعها ... جمعتْ لنا المعقول والمنقولاَ
سحَّت على غَرْس (ابن غرس) فاغتدى ... لا يشتكي طُولَ الزمان محولا
قد أنتجتْها فكرةٌ من حدها ... تنسي لديها الصارم المصقولا
وأبان غرتها بياناً تحتوي[2] ... لبيانها التشبيه والتمثيلا
ذاك الهمامُ محمدٌ من قد غدا ... عقد العويص بلفظه محلولا
العالم النحريرُ والحَبْرُ الذي ... يبدي لنا التحريم والتحليلا
قد بات في كل العلوم رئيسَها ... وخبيرَها بخبيّها المسؤولا
لو لم تكن ببني وبينه لحمة ... تعطي المكابر للعناد سبيلا

(1) في الأصل: السولا.
(2) في الأصل: تحتمي.

لأتيت بالإعراب عن أوصافه وإنِ اقتضى في مدحها التطويلا
والحقّ وضّاحٌ وهل من طالب وسْطَ النهار على الضياء دليلا
لا زال في حرم وعزٍّ شامخ ما ماس غصن بالنسيم أصيلا

وكتب حاشية على شرح والده لمنار الأصول، وشرح رسالة إيساغوجي في المنطق شرحاً بديعاً[1] أقرأناه بجامع الزيتونة مراراً، ولتحريره هممت بالكتابة عليه لإيضاح مقاصده غير أن القدر لم يساعد، وله غير ذلك من الرسائل، التي احتوت على أحسن المسائل.

ولم يزل في خدمة العلم الشريف إلى أن أتاه أجله فتوفي آخر ليلة الأربعاء الثامنة والعشرين من ربيع الأول سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين وألف، ورثاه العالم الشيخ الشريف محمود قابادو بقصيدة بديعة مثبتة في ديوانه قال في مطلعها:

[الكامل]

الدهُر حرب بالرزايا الفجّع وبنوه نهبٌ للمنايا الشرّع

ورثاه العالم الشيخ محمد بن سلامة بقصيدة قال في مطلعها:

[الكامل]

الجوُّ مغبرٌّ اكتسى[2] بظلام لما هوَى بدر العلوم السامي

ورثاه العالم الشيخ الطيب الرياحي بقصيدة قال في مطلعها:

[الكامل]

جَدَثَ البَلَا أعَلِمْتَ أمْ لَمْ تعلما أن قد حويت سنا الشريعة بيرما

(1) وقد طبع هذا الشرح بمطبعة الدولة التونسية سنة1289 هـ وجاء تاريخه.

تأليف بيرام بفضله صدع معتمد الفن حوى ما قد جمع
رأيته مستكمل الطبع بدا فقلت في تاريخه شرح طبع

81 1208

(2) الأولى الجو أغبر مكتسي.

ورثاه العالم الشاعر الشيخ محمد الخضار بقوله:

[الطويل]

ألاَ فُجِعَ الإسلام وارتجَّ جانبُهْ ... ودجّت من الخطب المهول غياهبُهْ
وضاق مجال الدين رحباً فطُرْقُه ... كأنْ لم تكن مَسْلُوكَةً ومذاهبُه
هوى نجم من زال العُلا بكماله ... وما طالع إلا سَيَأفل غاربه
فيالك من طودٍ تضعضع ركنُه ... وخَرَّتْ إلى بطن الوِهاد شناخِبه
قضى الله أن تعفو الرسوم وتطمس الـ ... ـعلوم وأن يسترجع الدر واهبه[1]
وأن يأخذَ الناشي من الترب مصحفاً ... وإن خُلِقَت فوق السماء مراتبه
مَضَى ثالث الأعلام من آل بيرم ... إلى نُزُلٍ رحبٍ كريم يناسبه
فلا كان من يومٍ به كان نعيُه ... فقد هلك (النعمان) فيه (وصاحبه)
إمام كسا الإسلام نوراً فأشرقت ... مشارقه من حسنه ومغاربه
إذا ذكر النقاد نقداً لغيره ... فحليته منشورة ومذاهبه
فمن لمصاب الدين يبكيه فَلْيَجُدْ ... بدمع، وإنْ لم يقض بالدمع واجبه
وقُلْ لبنات المجد قد بان مفخر[2] ... لكم وإذن فليطلب المجد طالبه
محمدُ لا تبعد فديناك سيّداً ... فما عنك إلاّ فاقدُ الظن ذاهبه
فمن للقَضَاءِ الفصل والكلم التي ... إذا انتظمت بالدرِّ يهواه ثاقبه
ومن لبيان المشكلات بصارمٍ ... من الفكر عَضْبٍ ليس تنبو[3] مضاربه
ومن لفضاء الصدر إن عز مجلس ... له احتفلت يوم القضاء مواكبه
ومن لبغاة العرف إن ضاق ذرعهم ... بوجه كصوب القطر تهمي جوانبه
وكُنْتَ لمن قد غص كالماء مسعداً ... فديت فمن للماء إن غصّ شاربه
عَسَى النسخةُ الغراء تجبر صدع ما ... تصدع يكسى[4] حلة الأصل نائبه

---

(1) في الأصل: راهبه.
(2) في الأصل: مفخرا.
(3) في الأصل: ينبو.
(4) في الأصل: صدّع ويكسي.

فيا تربةً وَارَيْتِ أكرمَ من مشى[1] على الأرض هوناً ليس يهضم[2] جانبه
ويـا ساحـةَ العلياء أقفـرتِ بعده كأن لم تحم يوماً حماك مواهبه[3]
سقى رمسك السامي مساءً وغُدوةً نوالٌ من الرضوان تهمي سحائبه
ولقّـاكَ في الفردوس أكـرم منزل تنـاغيـك منـه خـوده وكـواعبـه
ونلت الرضا ما قال يوماً مؤرخ: (ألا فجع الإسلام وارتج جانبه)

- 24 -

الشيخ حسن البارودي [4]

هو الشيخ أبو محمد حسين بن محمد بن حسين البارودي بن إبراهيم وهو المفتي ابن أخي المفتي وأخو المفتي وابن شيخ الإسلام فهو الخامس من آل بيتهم وثالث آبائه في الخطة الشرعية.

ولد سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة وألف ونشأ في عز آل بيته وقرأ على عمّه أبي العباس وعلى العالم الوافد من المغرب في أواخر القرن الفارط الشيخ محمد الفاسي[5] وعلى شيخ الإسلام البيرمي الثاني وعلى غير هؤلاء من علماء جامع الزيتونة إلى أن حصل على ملكة من الفقه الحنفي وولع بالقرآن والتجويد وانتصب لبث ذلك فأخذ عنه كثير من أشياخنا.

ولما توفي والده قدمه الأمير حمودة باشا خطيباً بالجامع الباشي عوض الشيخ مصطفى البارودي أخيه أواسط ربيع الثاني عام 1216 ستة عشر ومائتين وألف، ثم لما توفي أخوه أولاه الأمير المذكور إمامة بجامع باردو المعمور أواخر

---

(1) في الأصل: أكرم من متسلما.
(2) في الأصل: يعض.
(3) في الأصل: مناهبه.
(4) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 79).
(5) الشيخ محمد الفاسي ترجم له ابن أبي الضياف في الإتحاف ترجمة مطولة عرفت به أتم تعريف وذكر أن الشيخ الرياحي والخضار رثياه (ج 7 ص 102) واختصر ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 380).

شعبان الأكرم سنة 19 تسع عشرة، وفي يوم الجمعة منتصف ذي القعدة الحرام ولي إمامة الجامع الباشي وتدريسه وولي أخوه الشيخ أحمد البارودي خطبة الجامع الحسيني فزان المحراب والمنبر بفصاحته وحسن تلاوته وروايته.

ومكث يبث علوم القرآن والفقه إلى أن توفي المفتي الثاني الشيخ أحمد بن الخوجة، فقدمه الأمير حسين باشا مفتياً ثالثاً صبيحة يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة 1241 إحدى وأربعين ومائتين وألف، ثم بعد وفاة شيخ الإسلام البيرمي الثاني تقدم مفتياً ثانياً أواسط جمادى الأولى سنة 47 سبع وأربعين.

ولما توفي شيخ الإسلام البيرمي الثاني قدم الأمير للرئاسة ولده رابع البيارمة وجعل كاهيته الشيخ محمد بن الخوجة ثم تقدم أبو العباس أحمد الأبي مفتياً ثالثاً وابن صاحب الترجمة رابعاً لكنه لكمال تثبته وخبرته لم يؤثر عنه تأثر من ذلك، ولازم طريقته المثلى.

ولم يزل مواظباً على الإقرار والتجويد بجامع الزيتونة مع خيرية ووجاهة وتواضع وحسن خلق وكرم نفس وعلو همة؛ أتاه بعض أعيان البلاد ليلة العيد متشكياً من القلّ فلما أراد الخروج من عنده ولم يكن عنده وقتئذٍ ما يواسيه فانتزع بعض ثيابه وأذنه ببيعه لقضاء حاجته. وهو معروف بالانقياد إلى الحق أن أتاه أجله بمرض الكوليرة العام فتوفي خامس رمضان المعظم سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف وأرخ وفاته ولده العالم الشخ محمد البارودي بقوله:

[الكامل]

مُدّت إليك موائدُ الرضوانِ ... وسعت بها حور مع الولدانِ
يا قبرَ من خدم العلوم دراسةً ... أحرى الفنون تلاوة القرءان
إذ قد أفاد بها وأبدى دقة ... فيها وأتقن غاية الإتقان
أعني حسيناً ذلك البارود (ي)[1] من ... ذو السؤدد الأسنى وذو الإحسان
من قد عنى علم الشريعة والهدى ... فرقى به لمراتب الأعيان

(1) الياء زائدة على الوزن.

قد سرّ تونس ما فشا من علمه[1] إفتاؤه في مذهب النعمان
لكنه لما أتى في سنه لما نفته فسيء[2] بالأحزان
دلّت على حشر له لشعورها بتوقع[3] في قابل الأزمان
قد كنت أعلم نفيها الأحداث لـ ـكن قد نفت في ذا قوى الإنسان
قد حل في شهر الصيام سقامه بالبطن أصلا قامع الغثيان
في خامس من ذاك كان وفاته ليجيب دعوة خازن الريان
لما توارى قلت في تاريخه: (بت يا شهيد مؤنّس القرآن)

- 25 -
الشيخ محمد بيرم الرابع[4]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرام، رابع آبائه في مشيخة الإسلام.

ولد ليلة الأربعاء منسلخ جمادى الأولى من عام عشرين ومائتين وألف ونشأ بين يدي أبيه وجده وقرأ القرآن العظيم، ثم قرأ العلم الشريف، فقرأ على جده كتب مبادىء النحو إلى أن ختم عليه الألفية لابن مالك، وقرأ مختصر المنار وإيساغوجي والفقه والتوحيد ومصطلح الحديث وروى عنه قطعة من صحيح البخاري وأخذه عنه بسنده فيه، وقرأ على والده الشيخ محمد بيرم الثالث كتب مبادىء النحو وختم عليه الألفية وإيساغوجي والسمرقندية وشيئاً من الفقه والتوحيد، وقرأ على الشيخ مصطفى بيرم كتب مبادىء النحو والألفية ومبادىء المنطق والبيان والفقه، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي دروساً من النحو والتوحيد وقرأ عليه السعد والمحلي وصحيح البخاري وتفسير القاضي

(1) في الأصل: قد فشا تونس بدار فشا بها.
(2) في الأصل: فساء.
(3) في الأصل: فتوقع.
(4) ترجم له في الإتحاف ترجمة حافلة (ج 8 ص 124).

البيضاوي، وقرأ على الشيخ عبد الرحمان الكامل الدرة وشرح العقائد النسفية، وقرأ على الشيخ أحمد الأبي الفرائض والنحو والحديث، وقرأ على الشيخ محمد بن ملوكة[1] شيئاً من الحساب والنحو والتوحيد.

ولما استكمل تعاليمه جلس للإقراء بالمدرسة العنقية وعمره ثماني عشرة سنة، وأقرأ بجامع الزيتونة إقراء تحرير.

ثم تقدم مفتياً ثالثاً وعمره سبع وعشرون سنة وذلك منتصف أولى الجمادين سنة 1247 سبع وأربعين ومائتين وألف فتجمل للخطة وتجملت به. ولما توفي والده قدمه المشير الأول أحمد باشا باي لمشيخة الإسلام ونقابة الأشراف ومشيخة المدرسة العنقية وذلك في ربيع الأول سنة1259 تسع وخمسين ومائتين وألف، فوليها وعمره تسع وثلاثون سنة وزانها بحسن التنظيم وحفظ حقوقها وصادف أن كانت ولايته عقب وقوع الترتيب الأحمدي بجامع الزيتونة فضبطه وذب على حقوق العلماء وجمع شملهم وأجرى الأمور بجامع الزيتونة مُجراها.

ثم جرى على يده تنظيم المجلس الشرعي وإقامة دار الشريعة المعمورة، فأنشأ الترتيب المجعول بالمعلقة التي في صدر بيت اجتماع المجلس الشرعي، وبعد أن أنجز ذلك الترتيب من المشير الثاني أنكره بعض الشيوخ وتعقبوه بكتائب، ولما بلغ خبر ذلك لصاحب الترجمة كتب إلى لسان الدولة في ذلك بقوله [2]:

[الوافر]

سلامٌ نشرُه كالمسك فاحَا ... جعلتُ لحمله طِرسي جناحَا
إلى علم البلاغة مَنْ تسامى ... بأعلى أُفْقِها بدراً ولاحا

---

(1) هو الشيخ محمد بن الولي أبي الفلاح صالح بن ملوكة. أخذ عن الشيخ أحمد بوخريص والشيخ حسن الشريف والشيخ إبراهيم الرياحي وغيرهم، وعنه الشيخ محمد النيفر وأخوه صالح والشيخ أحمد بن أبي الضياف والشيخ سالم بوحاجب وغيرهم. وأخذ عنه بالإجازة الشيخ محمد عليش المصري. من تآليفه شرح الدرة البيضاء في الفرائض. ترجم له تلميذه ابن أبي الضياف في الإتحاف ترجمة حافلة ج 8 من ص 109 إلى ص 111 وترجم له الشيخ مخلوف في شجرة النور الزكيّة من طبقات المالكيّة ج 1 ص 390.

(2) لسان الدولة هو أحمد بن أبي الضياف صاحب الإتحاف.

وبعد فإن ما حررت مما ... لدار الشرع أحسبه صلاحا
وأنفذَ كَتْبَه في اللوح جزما ... وخاطبني المشير به صُراحا
تعقبه الشيوخ بأن فيه ... عليهم في تقرره جُناحا
وأبْدَوْا في البيان له وجوها ... لدى الإنصاف لن تُلفى صحاحا
ولكن ما لهم ضبط قديم ... فقد كانت مصالحهم فساحا
ولما ألزموا في الحال ضبطا ... أبى كل تحمله وباحا

ثم وقع العمل على إجراء ما بالمعلقة المذكورة.

وتقدم خطيباً بالجامع اليوسفي فزان المحراب والمنبر، وخطب من إنشائه العذب خطباً بليغة، وختم فيه الأختام العزيزة، وكان صهره المشير الثاني محمد باشا باي له معه مودة أكيدة قربه بها وأشركه في سياسة الدولة.

وجرى على يده انتخاب العدول بالحاضرة وذلك أنه صدر الإذن أولاً لكافة الشيوخ أهل المجلس الشرعي بأن ينتخبَ كل واحد منهم مائتين من العدول الموجودين ثم جمعت الانتخابات المذكورة عند الأمير، ومن يوجد من العدول وقع عليه انتخاب جميع الشيوخ أو أكثرهم يثبت في العدالة إلى استكمال المائتين، ثم يؤخر عن الإشهاد من يبقى، فكتب الشيخ جريدة بها مائتا عدلٍ اختار غالبهم من المنقطعين للعلم الشريف، واعتمد في المشاهير من موثقي عدول الحاضرة على انتخاب بقية الشيوخ، ولما حضرت الجرائد عند الأمير نفذ انتخاب شيخ الإسلام وترك جميع الانتخابات فانجلى الحال على إسقاط كثير من رجال التوثيق من خطة العدالة، منهم الشيخ محمد بن سلامة، والشيخ الحاج محمود الباهي العريان، والشيخ عثمان الحشائشي وغيرهم، وأحس من ذلك جميع الشيوخ أهل المجلس الشرعي ونسب جميع العدول والمتأخرين أمر عزلهم إليه فتعاطته الألسن وباشره بعضهم بما يكرهه من أجل ذلك، وتحمل بثبات صبره جميع ما جرى من ذلك عاذرهم فيما أصابهم من ألم العزل، وأما المنتخبون من العدول فقد ألزمهم التقيد بمروءة العدالة ولبس شعار أرباب الوظائف الشرعية، كما ألزم بذلك أهل العلم والأئمة وتشدد في إجراء ذلك حتى

اتخذ الناس ذلك الأمر شعاراً وصان بذلك فضلهم وأظهر ناموس خططهم الرفيعة.

ولما ولي المشير الثالث محمد الصادق باشا باي أمر بإرجاع أوامر جميع العدول وأطلقت الألسن بشكر فضله في سائر المجامع، فأرجعها لهم شيخ الإسلام المذكور بعد أن كتب فيها انتخابه إياهم وعلى كل حال أَجْرَى عليهم التقييد بمروءة خطة العدالة وحافظ عليه بغاية جهده.

وكان عالماً فاضلاً نزيهاً عاليَ الهمة خبيراً بالسياسات الشرعية وإيقاعها في مواقعها، حكيماً في وضع الأشياء مواضعها، فصيحَ اللسانين كريم السجية، حسنَ الأخلاق جميلَ السمت وقوراً مهاباً جليلاً، غيوراً على العلم والعلماء حامياً لحوزة المعارف، محافظاً على مروءته، شاعراً مفلقاً له نظم ونثر يزريان بتغازل الجفون المراض، في بساط الرياض، إن أطنب أعجب وإن أوجز أعجز، لشعره ديوان يزري بقلائد العقيان، لطافةً وإحكام نسج واتساق معان، إلى أن أدركته المنية فتوفي ثالث جمادى الأولى سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين وألف، ورثاه الشيخ محمود قبادو بقصيدته التي أربت على ما سواها طولاً وبلاغة المثبتة بديوانه ومطلعها:

[الكامل]

القلب يخشع والمدامع تهمعُ والقول ما يُرضي الإلٰه وينفعُ

ورثاه الشيخ سالم بوحاجب بقوله:

[الكامل]

خطبٌ لركن العلم منه تزعزعُ ولطالبيه تفجُّعٌ وتوجّعُ
عَمَّ المصابُ به وعمّم [1] عهدنا إنَّ الهموم تهون حيث توزع
إذ أفزع [2] النادي على أكباد أهـ ـل القُطر قِطراً والمسامع أقمع

(1) في الأصل: وغمّ.
(2) في الأصل: إذ فزّغ.

فـالنـاس بين تلهـف وتـأسّف ... والصّبـر صِبـرٌ لم يكن يُتجـرّع
حتى الحسـودُ أبان من غشيـانِـه ... ولـذا غـدا سِنُّ التنـدم يقـرع
خطبٌ نفوسُ المجـدِ منه كئيبـةٌ ... وبـه لأفئـدة الـعـلوم تـروُّع
وبـه معـاطس همـة قـد أرغمت ... وقَفَـا القـوافي بـالغبـاوة يصفـعُ
يوم استبى رُوح العلا الفذَّ الذي ... كـل لعـزتـه يـذل ويخضـع
واسترجع الـدهر الضنين ذخيـرة ... في الدين والدنيـا إليها المـرجع
هُـو ذلك الفـذُّ الإمـام المـرتقي ... رُتَبـاً بـأدنـاهـا الأحـازم تقنـع
الجِهْبَـذُ الحبر الـوفي المـرتضى ... الـلذوعي الألـمعـي المـصقـع
البيـرمي محمـد بن محمـد بـ ... ـن محمـد بن محمد وَالأَرْبَـعُ
أعلامُ علم، تاجُ تونسَ لم يزل ... منهم بمحمـود الخصال يـرصّـع
يـا أيهـا النحـريـرُ دعـوةُ آسفٍ ... تخـذ التلهفَ ديدنـاً[1] لـو ينفـع
إنْ غاب بَدْرُك من سما الدنيا ففي ... أوج الجنـان لـديـه نـور يسـطع
لكن لحتفـك عبـرة بين الـورى ... ولأهـل ودك عبـرة لا تُقـلع[2]
ولفقد عدلك في القضاء فـظاعة ... وعلى المعارف فقد فهمك أفظع
وأرى لسعر الشعر[3] بعدك حطة ... وأُسَـاءُ إذ سعر الجهـالـة يـرفـع
لَهْفي على الكهف الذي كنا له ... نـأوي فيحنـو مثـلَ أمٍّ تُـرضـع
لا يبخسُ الفضـلاءَ من أقدارهم ... شيئـاً ولا منـه وضيـع يـرفـع[4]
وشعـارُه الإعراض عن أغـراضـه ... ولـديـه إرجـاف الـوشـاة مضيـع
ومُنـاه تنميـة الـعلوم وإنـمـا ... هـامُ المنى بظبـا المنايـا تقـطع
(وإذا المنيـة أنشبت أظفـارهـا ... ألفيت كـل تميمـة لا تـنفـع)
والمـوت يعتام الكـرامَ ويصطفي ... أخيـارهم ولـكل جنب مصـرع

---

(1) في الأصل: تخد المتلهف ديوناً.
(2) في الأصل: لا تملع.
(3) في الأصل: وأرى سعر الشعر.
(4) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:

شيئاً ولا عندهم وضيع يرفع

بكت الدفاتر والمحابر والمزا ... بر والمنابر والمفاخر أجمع
لأفولِ شمس هداية لا يُرتجى ... منها لآفاق المحافل مطلع
نسخت ظلال ظلاله أنوارها ... وبها غدت ظلمات ظلم تقشع
من شاد ديوان الشريعة فاغتدى ... لشتيت شمل الحكم فيه تجمّع
وحبا دروس العلم تنظيماً به ... عمرت لها بعد الدروس الأربع
أمّا ميادينُ الكلام فإنه ... فيها المبرز[1] والبليغ الأبرع
ولنَفْسه حريةٌ وتواضعٌ ... ودماثةٌ وديانةٌ وتورعُ
ورياسةٌ علمية وسياسة ... شرعية وفراسة لا تخدع
قل للذين يشيّعون سريرَه ... إن لم يكونوا قد دَرَوا من شيعوا
هذا إمامكُمُ وعمدة دينكم ... وعلى حقوقكم السياجُ الأمنع
هذا نصيحكُمُ الصدوق، وصدره ... من كل أضغان وحقد بلقع
كم قوبل الإحسان منه بضده ... فعفا وكلٌّ حاصد[2] ما يزرع
واها لذا الطودِ المنيفِ يقله ... بعد[3] العلي والعز ذاك الشرجع
سارَتْ بسير سريره الأسرار والآ ... داب لكنْ أقسمت لا ترجع
لاهُمَّ يا من قد تفرد بالبقا ... ولكل عسر منك يسرٌ يتبع
وافَاكَ ذو القلب السليمِ فوفِّه ... ما يقتضيه الفضل منك الأوسع
وارفع منازله لديك فطالما ... قد كان قدر ذوي المعارف يرفع
وأنله رب جزاء ما قد كان من ... فعل جميل معْ عبيدك يصنع
فعلى المَوَالِي غُرم دَيْنِ عبيدهم ... والكلُّ من أنهار جودك يكرع
وله عليّ دينُ ودٍّ ليس لي ... في أن أكافيَه عليه مطمع
كَمْ كنتُ أسْتشفي به في معضِل ... فيُبِينُه وبغيره يتبرع
كم كنت أبصر في مرايا رأيه ... وذكائه تمثال ما أتوقّع
كم كنت أروي عن بديهة فكره ... غرر القوافي نشرها يتضوع

---

(1) في الأصل: المفرز.
(2) في الأصل: حاسد بالسين.
(3) في الأصل: فوق.

لـكنَّ مـا حـصلت مـن آدابـه أضحى يبدد درّهـا لي مـدمـع
فانظر بهـذا النظم هـل تلفي به معنى بـرقتـه يُشنّـف مسـمَـع
يـا رب صدّق فيـه قولَ مؤرخ: (مثـواه في أعلى الجنان مـرفّع)

- 26 -
الشيخ علي الدرويش[1]

هو الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف بن علي بن يوسف بن أحمد الدرويش أصله من باجة، وقد ظهـرت على جده كـرامة لقب من أجلهـا بالدرويش.

ولد ضحى يوم الاثنين السادس عشر من شعبان 1198 ثمان وتسعين ومائة وألف، ونشأ في طلب[2] العلم فأخذ عن فحول علماء عصره من المعقول على الشيخ أبي محمد حسن الشريف والشيخ أبي الصفاء الطاهر بن مسعود وتفقه على شيخ الإسلام البيرمي الثاني، والشيخ أبي العباس أحمد بن الخوجة، إلى أن حصل على الأمل من العلم والعمل، فلازم بث العلم بين أولي الفهم.

وقدمه الأمير محمود باشا إماماً لمسجد بيت الباشا بباردو المعمور يصلي فيه ويروي صحيح البخاري صبيحة يوم الأحد الثاني عشر من المحرم سنة 1230 ثلاثين ومائتين وألف عند عزل الشيخ محمود بن باكير، وذلك عاق علمه عن عموم البث.

وتقدم لخطة القضاء يوم الأحد الموفي عشرين من ربيع الثاني سنة 32 اثنتين وثلاثين، وعوض عنه في الإمامة الشيخ أحمد البارودي فامتنع من التخلي عن الإمامة، وعلى كل حال ألزم لخطة القضاء فقام بأعبائها نحو التسع عشرة سنة بعلم وتثبت ودين.

---

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 62).
(2) في الأصل: طلم.

ثم إن الأمير مصطفى باشا قدمه للفتيا صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الثانية سنة 1251 إحدى وخمسين ومائتين وألف فأولاه مفتياً رابعاً بمحضر أهل المجلس الشرعي تقدمه البيرمان الأخيران والبارودي الأخير، غير أنه لما توفي شيخ الإسلام وقدم المشير الأول على البارودي المذكور المفتيين على ما ذكرناه آنفاً صار صاحب الترجمة مفتياً خامساً. وعلى كل حال فقد قام بالخطة بتثبت وتحرير ومحافظة على مروءته مع الإقراء بجامع الزيتونة حيث تقدم لخطة التدريس في المرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي.

وكتب حاشية على شرح الشذور لابن هشام.

وقد زان علمه بالعفة والديانة والتواضع مع الصيانة والتبصر، حاول بعض أعوان السوء أن يدس له مراسلة في أثناء ما أذن به فردها وعادت إليه بعد أشهر مرات عديدة فأرسل للعدل الذي كتبها بأن مثل ذلك لا يحسن به وأنه على بصيرة مما يرد عليه ولم يزده على ذلك. يحضر كل يوم بجامع الزيتونة للتدريس إلى أن أتاه أجله فتوفي ضحوة يوم الأحد الخامس من ذي القعدة الحرام سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين وألف، وأرخ وفاته العالم الشيخ محمد بيرم الرابع بقوله:

[الطويل]

هُوَ الدهر يَبري صائبات سهامِهِ ... فيورد نفس المرء حوض حمامِهِ
مصابٌ تساوت في تجرّع كأسه ... نفوسُ الورى من سُفّل[1] وكِرَامِه
عجبت لذي لب تيقن أنّه ... سبيل ويُولي الطرفَ طيبَ مُقامه
وأولى به أن يرسل الدمع نادماً ... على سالفٍ أبداه سوء احترامه
ويَصرف فيما يثمر الأجرَ عمرَه ... ليجنيَ طيب الغرس يوم قيامه
كصاحب هذا الرّمس من لم يفه بما ... يعاب فلا مفض لخدش مقامه
عليٌّ هو الدرويش مفتي الورى ومن ... له سيرة تقضي برعي ذمامه

---

(1) في الأصل: سفله.

هو العالم الأرضى التقي أخو الحجا وذو القصد حتى عن فضول كلامه
إلـهيَ حقِّقْ فيــه قــولَ مؤرخ: (لقد نال في الفردوس نيل مرامه)

- 27 -

الشيخ محمد بن الخوجة[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن حمودة بن محمد بن علي خوجة شيخ الإسلام، وابن مفتي الأنام، وحفيد العالم الرفيع المقام.

كانت ولادته عام 1204 أربعة ومائتين وألف، ونشأ في خدمة العلم الشريف فقرأ على والده وشيخ الإسلام البيرمي الثاني والشيخ أبي محمد حسن الشريف والشيخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي وأبي العباس أحمد الأبي وغيرهم من علماء جامع الزيتونة. وتضلع بمعقول العلوم ومنقولها، وفروعها وأصولها، فجلس للتدريس بجامع الزيتونة، وقدمه والده لمشيخة الشماعية نائباً في الحياة مستقلاً بعد الممات يوم السبت الحادي والعشرين من ثاني الربيعين سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين، وألف فزان المدرسة والجامع بدروسه وأفياء ظلال معارفه في ساحته، درسه بهجة السامع والناظر، ومجلسه من أجمل المحاضر، أناخ التحقيق رحاله بين يديه، وانتهى تحرير السعد والسيد إليه، جلستْ بين يديه أعلامُ العلوم، فاستظلوا بكهف معارفه الشامخ المعلوم، آية الله في الذكاء والتحصيل، وتعضيد النقليات بالمعقول على أصل أصيل، وهو ممن زان الرتبة الأولى في التدريس بجامع الزيتونة عند وقوع الترتيب أول مرة.

ولوع بصحيح البخاري وله عدة أسانيد وبه يتصل سندي المحمدي في الصحيح المذكور، وكان ملازماً لروايته حتى كانت جميع أحاديثه منه على طرف الثمام[2]، فهو حافظ عصره والسلام ، ومن ولوعه بالإجازة استجاز الشيخ أبا

---

(1) ترجم له ترجمة حافلة في الإتحاف (ج 8 ص 127).
(2) في الأصل: اللثمام.

المحاسن يوسف بدر الدين في الشفا للقاضي عياض فأجازه بأبيات نظم فيها سنده في الكتاب المذكور وهي قوله[1]:

[الرجز]

حمداً لمولانا القويِّ السنَدِ ... ثم صلاتنا على محمّدِ
وآله وصحبه من شيّدوا ... أركان ما أتى به وأيّدوا
وبعدُ فالحديث فنٌّ معتبَرْ ... وفضلُه على الفنون مشتهِرْ
وكان ممن خصه مولاهُ ... بضبط هذا العلم واجتباهُ
الفاضلُ العلّامة النحريرُ ... ومَنْ له الإتقان والتحريرُ
محمّدُ الشهير بابن الخوجهْ ... أبقى الإله في العلى عُروجَهْ
سليلُ أحمد الإمام المفتي ... مجلي دجى الإشكال للمستفتي
تواضعاً منه استجاز في الشفا ... جمْعِ عياضٍ في حقوق المصطفى
وإنّه أولى بأن يجيزا ... لأنني أرى له التمييزا
لكنّه وصفَ الكمالِ حازَهْ ... حتى ارتجى من مثليَ الإجازه
وفّقه المولى لما يرضاهُ ... وحفّه باللطف في قضاهُ
وقد أجزته وإنني لفي ... حيا قصوري وبهذا[2] أكتفي
كما بخط يده أجازني ... محدث الشَآم ذو القدر السني
(الكُزْبُرِيُّ) عن الإمام السند ... والدِهِ شمس العلى (محمد)
عن (المَنِينيِّ) عن (البصريّ) ... عبدِ الإله السَّنَدِ المكيّ
عن شيخ بابلٍ (علاءِ الدين) ... عن (سالمٍ) تلميذ نجم الدين
عن (زكرياءَ) عن (القَيَّاتي) ... شمسِ الكمال الباهر الآيات

---

(1) هو يوسف بن بدر الدين الحسني الحنفي القادري يروي عن أكثر من مائة شيخ وزار تونس وروى عنه الكثير من رجالها ويتصل به الشيخ الكتاني صاحب فهرس الفهارس بواسطة الشيخين الطيب النيفر وسالم بوحاجب وكلاهما عن الشمس محمد بن الخوجة شيخ الإسلام عنه ويوجد بمكتبة كاتبه إجازتان للشيخ محمد الستاري والشيخ عثمان البارودي وكلاهما عليها خطّه وتوفي بدمشق سنة 1278 هـ انظر فهرس الفهارس الجزء الثاني ص 454 ط فاس.

(2) في الأصل: برفي.

عن (السّـــراج عُمَـرَ) الملَقّن نجـــل عَلِي الهمـــام المتـقن
عن(يوسفٍ) هو الدِّلاصِيُّ الرّضى عن (اللَّوَاتِي)هُوَّيحيى المرتضى
عن (ابن صائغٍ) عن المؤلفِ مُنْشي الشفاءِ الجامع للشرف
أخـــذتـه عن شيخنـــا دِرَايـــه وجاد لي بالإذن في الـروايهْ
وقـد أذنت الفاضـل المجـازا بـأن يجيـز من لـــه استجـازا
إجـــازة شـــاملة مـحـــقَّـقـــهْ مـــطلقـــة بكـــل فن حـققـــهْ
بشـــرطهـــا المقـــرر المعتبَـــر بـالاتفـاق عنـــد أهـل الأثـــر
وأســـألُ الله لـــه أن ينفـعـــا بعلمـه جميـع من لـــه سعى
والمـــدنيُّ يـوسفُ المنكســـرُ أخو القصور المـذنب المفتقرُ
يرجو من الكريم حسن الخاتمهْ بـدار من لـلأنبيـــاء خـاتمـــهْ
صـلّى عليـــه ربـنـــا وسلمـــا والآلِ والصحبِ ومن له انتمى

وتقدم في جامع محمد باي المرادي إماماً وخطيباً ومدرساً وشيخاً في المدرسة الشماعية بعد وفاة والده، فزان المحراب والمنبر فصاحةً وتلاوةً وخطب من إنشائه واجتمع بين يديه هنالك العلماء للدراية والرواية وأبدع في أختامه غاية الإبداع، على طريقة لا تستطاع.

ثم قدمه الأمير مصطفى باشا لخطة القضاء فزانها نحو الثماني سنين بعلم راسخ، وتيقظ لجميع الشبه ناسخ، مع التضلّع بفقه القضاء والتحري والديانة والتثبت الكلي في حقوق الله وحقوق العباد لا تأخذه في الحق لومة لائم وله أخبار في ذلك تدل على كمال خشيته لربه.

ولما توفي شيخ الإسلام البيرمي الثالث وتقدّم للمشيخة رابع البيارمة تقدم صاحب الترجمة مفتياً ثانياً من أوّل وهلة مع وجود من سبقه في الخطة على ما تقدم آنفاً وذلك في التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين وألف فزان خطة الإفتاء بفتاويه ومراسلاته التي أبان بها ما له في العلوم الشرعية من باهر آياته.

ولما توفّي شيخ الإسلام البيرمي الرابع قدمه الأمير محمد الصادق باشا باي لمشيخة الإسلام فشمر عن ساعد الجِدّ ونهض لها نهوض المجتهد، ما شئت من علم ودين ، وفقه متين، وكرم أخلاق، وتثبت في مزالق الحذاق، يخشى الله سراً وجهراً بعيداً عن التصنع متخلق بأخلاق الصالحين قضى وأفتى وخطب ودرس وألف، وشكر سعيه في جميع ذلك .

كتب حاشة على مختصر السعد استدرك بها على ثلاثة السعد والسيد وعبد الحكيم بما يشهد له برسوخ القدم بين الأمم، وله شرح لطيف في سياسة الملك على الحكم التي تنسب لأرسطو. وأولها: «العالم بستان سياجه الدولة. . .»، وهو شرح بديع الأسلوب[1]، قرظه شيخ الإسلام البيرمي الثالث بما نصه:

«يقول العبد المفتقر إلى رحمة ربه الغني، محمد بن محمد بن محمد بيرم الحنفي، غفر الله ذنبه، وفرج كربه، لما طالعت هذه النقلية الأنيقة، التي هي بالإذعان حقيقة، صنعة البدر الزاهر، الهمام الماهر، أبي عبدالله محمد ابن شيخ الإسلام، عمدة الأنام خاتمة المحققين، كمال العلماء المتأخرين، أبي العباس أحمد بن الخوجة رأيت ما يبهج به الناظر، ويقوم عليه المجادل والمناظر، من نقولٍ[2] تصحبها متانة وجزالة، ونقود تمتزج بها بلاغة وجلالة، وحسن انسجام، ألذ من الوجدان بعد الإعدام[3] إلى غير ذلك مما تدركه الألباب، ولا يحيط به نطاق الاستيعاب، فحمدت الله سبحانه على التيسير، في مثل هذا الزمن العسير، وابتهلت إليه جل جلاله أن يكثر من أمثاله، ويسهل لهم النسج على منواله، إنه الفعال لما يريد، المالك أزمة التيسير والتسديد، وحين رتع الذهن الكليل في ذلك البستان، وتملأ ناظره من بديع هاتيك الحسان، صار اللسان على قدم الشكر يجول، وحملت الوجد الفادح على أن يقول:

---

(1) ومنه نسخة في خزانة كاتبه نسخت عام 1290 هـ وفي أولها ترجمة من الإتحاف وقد طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1290 هـ.

(2) في الأصل: تقول.

(3) في الأصل: الأعوام.

[الكامل]

لا تُنكروا وَلَهِي وطولَ غرامِي ومـزيدَ أشـواقي لهـا وهيَـامِي
هذي التي سمح الزمان بوصلها من بعد تسويفِي وطول مُقامي
نسختْ بطلعتها ونور جمالهـا ليـلَ الشكوك وحيـرةَ الأوهـام
لا تعجبـوا منها فـإن مقيلهـا بيتُ العلوم ومفخـرُ الأعـلام
بيتٌ إذا حلّ العويص بسائل وافـاه ملتمساً لنيـلِ مـرامِ
لا زال محروس الجناب موفقاً متعـطر الأرجاء بحسن ختـام

هذا وفتاويه وأختامُه محفوظة عند المعتنين بالعلوم، ولطائف مراسلاته الأدبية يزري نثرها بكأس الرحيق المختوم، وبالجملة فإنه قد كانت الأبصار والأسماع تبتهج بفصاحة كلمه، ولطافة قلمه. مرض فرأى شيخ الإسلام البيرمي الرابع وقد أهدى إليه أترجة فعبرها بالموت فأتاه الأجل المحتوم وتوفي[1] (يوم) عاشوراء من عام 1279 تسعة وسبعين ومائتين وألف وقد أشار إلى تاريخ وفاته يومئذ شاعر البلاد العالم الشيخ محمود قابادو بقوله:

[الكامل]

يوم الحسينِ وليس فيه عـزاء رَدَّتْـهُ للتـاريـخ: عـاشـوراءُ

ورثاه الشيخ المذكور بمرثيةٍ بديعة مثبتة بديوانه قال في مطلعها:

[الكامل]

خطب عيون الدين منه ثجوجه ومسـامع الـدنيا بـه مرجـوجه

ورثاه الشيخ محمد البارودي بقصيدة قال في مطلعها:

[الكامل]

خـطْبٌ أصاب فؤادنـا بسنـان أجْـرَتْ دماءَ جـراحِه العينـانِ

(1) جاء هنا في الهامش ما نصه:
وصوابه توفي ليلة العاشوراء، ودفن في الغد بعد الزوال بساعة.

ورثاه الشيخ المختار شويخة بقصيدة قال في مطلعها:

[الطويل]

كفـاه لـرُزْءٍ أن يقصّـر سـائلهْ وينهـلَّ من طرف البـرية سـائلهْ

ورثاه الشيخ محمد الـريـاحي بقصيدة قال في مطلعها:

[الطويل]

ألا كـل شيء للبقـاء مثـالُـهُ ولم يبق إلا الله جـل جـلالُـه

ورثاه الباجي المسعودي بقوله:

[الكامل]

نبأٌ عـظيم عنـه قـد أعـرضتمُ أوَليس يـا قـومُ المخـاطب أنتمُ
كلاًّ لقد أسمعت لو كانت تعي[1] ودنـا الرحيـل فأين أين الأحـزمُ
هذي الجبال على المناكب سُيِّرت هـذا ثِـبَـيـرٌ راحـلٌ ويـلملم
هـذا الذي فجـعَ البـريـةَ فقـدُه من قـد عـرفتم فضله[2] وعلمتم
طودٌ أشمّ محمد بن الخوجةِ الـ ـعـلمُ الإمـامُ الألمـعيُّ الأكـرم
(صدرُ الشريعة) شيخ الإسلام الذي قـد كان عن سر الكتاب يتـرجم
وخليفة (النعمان) (والجعفي) ومن تلفيـه في كـل العلوم يقـدم[3]
مـلأ المنـابـرَ والمحـاربَ نـورُه ولفضله كـل [4] الجميـع مسلم
(حلف الـزمـان ليـأتين[5] بمثله) كفِّـر يمينـك مسـرعـاً يـا مقسمُ

---

(1) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا:
كلا لقد قرع الأسماع لوتعي

(2) في الأصل: فصله بالصاد.
(3) في الأصل: مقدّم.
(4) في الأصل: كان.
(5) في الأصل: لا يأتينّ.

مَنْ للجلالةِ والمهابة بعده ... من للصدراة صرحوا أو جمجموا؟
من للبراعة واليراعة راعها ... صَدَأ[1] الردى؟ وأقيم[2] فيها المأتم
من للعويصات الصعب وحلّها؟ ... منْ للقضايا من يشير فيبرم؟
من ثلث قرن دون خمسٍ قد قضى ... بهُدىً وأفتى والدراسةَ يلزمُ
يا راحلاً والصبر يذهب إثره ... والدّمع يكتب كيف شاء ويرسم
والأرض رجت والقلوب تصدعت ... والأفْقُ يُظْلِمُ والجوانح تضرم
أبْشِرْ برضوان الإلٰه بمضجع ... حيّاك فيه السائلون وسلّموا
وأرَوْكَ قصرك في الجنان مشيَّداً ... والروحَ والريحانَ حولك نظّموا
وتركت من أرَجِ الثنا ما سار في الآفاق يُنْجِدُ عاطراً أو يُتْهِمُ
وعظيم فقدك عم حتى أنشد الـ ... ـتاريخ: في فقد الإمام لَاَعْظَمُ

- 28 -

الشيخ أحمد الأبّي[3]

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمود بن كبير الأبي، وهو من بيت فضل كان والده وجيهاً زكياً تالياً للقرآن ذاكراً خمولاً وتوفي سنة 1204 أربع ومائتين وألف فكتب على قبره قصيدة قال صاحبُها في تاريخها:

[الخفيف]

فدعوت وقلت إذ أرّخوه: ... ربي أسكنه في قصور النعيم

وكذلك عمه وهو أبو العباس أحمد بن كبير الأبي[4] له ملكة علمية وقد تصدى للإشهاد، فكان من ثقات العدول حتى تقدم لشهادة أوقاف الحرمين وقد توفي يوم الأربعاء سابع أول الجمادين سنة 1216 ست عشرة ومائتين وألف.

---

(1) في الأصل: صدر.
(2) في الأصل: وأقام.
(3) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 104).
(4) في الأصل: اللبي.

وولد صاحب الترجمة ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب سنة 1180 ثمانين ومائة وألف ونشأ نشاة صالحة وتصدى لقراءة العلم الشريف اقتفاء بآثار والده فأخذ عن أعلام منهم الشيخ صالح الكواش، والشيخ محمد بيرم الثاني، وقرأ المبادىء على والده. ولما اشتد بالعلوم كاهله جلس للتدريس بجامع الزيتونة فأقرأ المعقول والمنقول وأفاد علماء كثيرين بمعارفه التي بثها في صدور الرجال وتقدم لخطة العدالة يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الثانية سنة 17 سبع عشرة ولما أتم الوزير يوسف صاحب الطابع بناء جامعه انتخبه الأمير إماماً به يقيم الخمس وقدمه للتدريس والرواية فقام بأعباء الخطط المذكورة وثابر باجتهاد في المواظبة هنالك وانتفع عليه خلق كثير ومع درسه ذلك فدروسه بالجامع مشهورة، وآيات فخرها بين العلماء منشورة، حتى قل من لم يأخذ عنه ممن أدركه ولما عزل الشيخ علي الستاري من خطبة جامع القصر بسببٍ تولي صاحب الترجمة عوضه يوم الأربعاء الحادي عشر من رجب سنة 1229 تسع وعشرين.

وكان فصيحاً خيراً محافظاً على مروءته ذا دين متين وفقه في الدين، تقدم للتدريس في الرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان المعظم سنة 58 ثمان وخمسين فجرى على طريقته المثلى في بث العلم بجامع الزيتونة.

ثم قدمه المشير أحمد باشا للفتيا يوم الأحد سادس المحرم سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين وألف وكان ذلك بمحضر المجلس الشرعي، ولما لبس زي الخطة وأراد الدخول على الأمير مع الشيوخ وقد كان من قبله تقدم الشيخ محمد ابن الخوجة على الشيخ حسين البارودي وجد صاحب الترجمة فرجة أبقاها الشيخ حسين بينه وبين من فوقه فظن أنها موضع رتبته فدخل فيها وبذلك الترتيب دخلوا على الأمير فصار مفتياً ثالثاً وأبقى وراءه كلا من البارودي والدرويش واستقر على تلك الرتبة يفتي بفقه محكم وتحر مع مواظبته على دروسه وهو في سن الهرم وقد أصيب بفقد أكبر بنيه العالم المدرس خطيب جامع القصر وإمام الخمس بجامع صاحب الطابع خلفاً عن والده الشيخ أبي عبدالله محمد الأبي وذلك سنة

71 إحدى وسبعين وأرخ وفاته العالم الشيخ محمد البارودي بقصيدة قال في تاريخها:

[الكامل]

لمـا تـردى قـال فيـه مؤرخ: (جوزيت بالفردوس وهو المصعد)

فصبر الشيخ لفقد ولده، ولازم بث العلم على هرم جسده، ولازم رتبة [الإفتاء][1] إلى أن بلغ من العمر أربعاً وتسعين سنة فهو أكبر من عاش من المفتين الحنفية وكانت وفاته يوم السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة 74 أربع وسبعين ومائتين وألف ورثاه العالم الشيخ أبو عبدالله محمد بيرم الرابع بقوله:

[الكامل]

قمر العلوم بذَا[2] الضريح أقُولُهُ ... فَحَرٍ لجَفْنِك أنْ تسح سيولُهُ

(أسفاً لفقدان العلوم فإنه)[3] ... أصماك من فقد الإمام مهوله

هذا أبُو العباس أحمد أوحد الـ ... فضلاء عالم دهره وجليله

الجِهْبَذُ الأبّيّ مَنْ في عصره ... قد كان وهو لرأسه إكليلُه

مفتي الورى الأرضى الذي ألْعِلْمُ قد ... جمعت لديه فروعه وأصوله

أفنى نفيسَ العمر في تحريره ... علماً يفيدُ يَناله وينيله

لله ما أبداه في تدريسه ... من در تحقيق يروق صقيله

ويبيت يقضي نصحه في همه[4] ... فيما من الحق المبين يقوله

وأمانة في العلم أمّا نصحُه ... لمريد أخذٍ عنه فهو سبيله

تبكيه حافلةُ الدروس وأهلُها ... والدمع قد يغني الحزينَ همومه

---

(1) الإفتاء ساقطة من الأصل.

(2) في الأصل: بهذا.

(3) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا:

يا أسفا لذهاب أهل العلم قد

(4) في الأصل حزمه.

ومساجدٌ قد كان بدراً سامياً في أفقها واليوم تلك طلوله
يا رب إنك قد وعدت بعتقه والعمر بشَّرَهُ بذلك طولُه
ولذلك أعلن من يقول مؤرخاً: (في جنة الفردوس طاب نزوله)

- 29 -

الشيخ محمود باكير[1]

هو الشيخ أبو الثناء محمود بن حمودة بن حسين بن مُلّا باكير، ولد جده الشيخ ملا باكير الحنفي في بلاد الترك وقرأ بها مبادىء العلم الشريف، ثم قدم إلى تونس فقرأ بها على الشيخ أحمد برناز وغيره واعتكف على العلم والمطالعة وتقدم إماماً للباشا علي باي وله في العلوم يد طولى.

أما ولده حسين فقد حج بيت الله الحرام وتزوج بإحدى بنات الشريفة حسينة بنت محمد بن أبي القاسم بن محمد بن علي بن حسن بن أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا، ومنها كان ولده[2] الشيخ أبو محمد حمودة وكان عالماً فاضلاً ثقة خيراً قدمه الأمير علي باشا باي إماماً بسراية باردو لإقامة الخمس ورواية البخاري وقدمه لإقراء ولده الأمير حمودة باشا العلم الشريف فتصدى لذلك ولازم سكنى باردو المعمور، وبسبب ذلك لم يستمر على الإقراء بجامع الزيتونة وكانت عنايته بإقراء الأمير ابن الأمير وتربيته وحصل بذلك على إقبال عظيم من الخاصة والعامة مرموقاً بعين الإجلال يأتيه الفقهاء للتهنئة بالمواسم العيدية لمكان علمه وجاهه. ولم يزل على جلالته إلى أن توفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة عشرين ومائتين وألف وحضر ابنه الروحي الأمير حمودة باشا جنازته مع سائر آل بيته وشيعها راجلاً إلى المقبرة وهو يطيل البكاء والنحيب في ذلك المشهد العام بروراً بشيخه وشيخ تربيته وبذلك

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 80).
(2) في الأصل: والده

اكتسب فخراً في الوفاء وحسن العهد والبرور لم يعهد مثله بحيث إن المجامع قضت أياماً تروي حديث ما وقع من الأمير مع شيخه رحم الله جميعهم.

ثم كانت ولادة صاحب الترجمة أواخر رمضان سنة 1182 اثنتين وثمانين ومائة وألف ونشأ بين يدي أبيه مرموقاً برعاية ابن تربية أبيه الأمير حمودة باشا وكان به حفياً، وأخذ العلم عن والده أوّلاً ثم عن علماء جامع الزيتونة منهم شيخ الإسلام البيرمي الثاني، والشيخ صالح الكواش. وغيرهم، وحصل على الملكة في المعقول والمنقول، وتصدى للتدريس بجامع الزيتونة. ولما توفي والده قدمه الأمير حمودة باشا لإمامة الخمس بمسجد دار الباشا صبيحة يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة 20 عشرين وقربه وآواه فجبر صدع فقد أبيه وغمره بعطائه وأقام على الوفاء ببر شيخه مع ابنه هو وأخوه[1] الأمير عثمان باي وبانقراض دولته عزل عن الإمامة المذكورة رحم الله جميعهم.

ثم إنه تقدم للإمامة بجامع القصر وتقدم مدرساً في الرتبة الأولى عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان المعظم سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف ولازم التدريس بجامع الزيتونة.

وتقدم لخطة القضاء فباشرها بدين وعلم نحو الأربع سنين.

ولما توفي الشيخ الدرويش أولاه المشير الأول أحمد باشا باي الفتيا فتقدم مفتياً خامساً صبيحة يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة الحرام سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين وألف فجمع بين إمامة وخطبة وتدريس وقضاء وفتيا. وحمد في جميعها على ما له من حسن المحاضرة والأدب وإجادة نظم الشعر وسرعة الجواب وثقة النفس وكرمها وعلو الهمة والأمانة والصيانة وحفظ المروءة وحسن الخلق مع الفقه والتفنن في العلوم والديانة إلى أن أتاه الأجل المحتوم فتوفي أوائل ربيع الأول سنة 1267 سبع وستين ومائتين وألف.

---

(1) في الأصل: وأخيه

- 30 -

الشيخ محمد عباس[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد ويدعى حمدة بن محمد بن محمد بن محمد عباس الحنفي أصلهم من بلد مورة واشتغل آل بيته بصناعة الشاشية بحاضرة تونس حتى صاروا من أعيان أربابها.

وولد صاحب الترجمة سنة 1209 تسع ومائتين وألف، ونشأ بين يدي والده وجود القرآن العظيم بالعشر على الشيخ محمد السقاط وقرأ عليه كتب مبادىء النحو، وقرأ على الشيخ أحمد اللبي شرح العيني على الكنز، وقرأ على الشيخ الطاهر بن مسعود شرح الأشموني على الألفية ومختصر السعد، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي تفسير القاضي البيضاوي وشرح البخاري، وقرأ على غير هؤلاء كالشيخ حسن الشريف والشيخ محمد بيرم الثالث والشيخ محمد بن الخوجة والشيخ الحاج الشاذلي بن المؤدب[2] وحصل على الملكة فأقرأ بجامع الزيتونة وتقدم للإمامة بجامع القصبة سنة 1248 ثمان وأربعين ومائتين وألف فزان المحراب والمنبر بحسن تلاوته وفصيح خطبته.

وتقدم في الرتبة الأولى بجامع الزيتونة عند وضع الترتيب الأحمدي في شهر رمضان المعظم سنة 1258 ثمان وخمسين فتصدى للإقراء وأفاد الطالبين.

وكان مع ذلك له معرفة كلية بأسرار الحروف، وله في بيته خلوة وله نوع تصرف في الجان افتك بها كثيراً من المصابين في وقائع مشهورة وقد توقف الشيخ محمد بن الخوجة في أمر هذا التصرف فسأله وكانت للشيخ بنت مصابة فوعده صاحب الترجمة بالاجتماع بالجان ومحادثته له بواسطة ابنته وطلب منه أن يحضر مع ابنته بين العشاءين من تلك الليلة ليرى أمر الجان فأحضر الشيخ ابنته بين العشاءين في بهو بيته وجلس هنيّة فإذا بابنته تسلم عليه وتحادثه حديث

---

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 87).

(2) لم يثبت أن الشيخ الشاذلي بن المؤدب حج.

الجان المتبركين بالاجتماع به، واتفق للشيخ ذلك اليوم أن ورد عليه أحد أتباعه يخبره بأن فرسه قد سرقت من الهنشير وبينما كان يحادث الجان تذكر حديث الفرس فسأل الجان عن خبر فرسه فطلب منه الإمهال إلى أن يرسل من يبحث عنها ويخبره بها وبينما هم كذلك وإذا هو يقول له إنّ فرسك بالداموس الفلاني قرب الهنشير وإنها داخل الداموس ومستور عليها بالتبن، وبمجرد انفضاض المجلس مع الجان خرج الشيخ الأعرابي الذي أخبره بفقد الفرس وأمره بالرحيل من ذلك الحين وأعلمه بمحل وضع الفرس ليطلبها منه فوجد الأمر كما ذكر، أمّا هنشير الشيخ من ذلك اليوم لم يبق لمجاوريه تجاسر على تعاطي شيء منه خشية من اكتشافه من حيث لا يعلمون وبذلك ثبت عنده تصرف صاحب الترجمة في الجان.

ولما توفي الشيخ محمود باكير قدمه المشير الأول أحمد باشا باي مفتياً رابعاً يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب 1267 سبع وستين ومائتين وألف فأفاد بدروسه وفتاويه والتزم عدم التعرض لأمر الجان مراعاة لخطته الشرعية وكان عالماً فقيهاً فاضلاً ثقة ذاكراً متبتلاً حسن السكينة حميد الأخلاق محباً للصالحين لطيف المحاضرة ينظم الشعر ويحتسب افتكاك المصابين من الجان كثيراً أدركته المنية في جمادى الثانية سنة 69 تسع وستين ومائتين وألف عليه رحمة الله، ورثاه العالم الشاعر الشيخ محمود قابادو بقوله:

[الطويل]

أجدّك هذا مضجع الفخر والمجدِ ... ومأوى الكمال الفرد والسؤدَدِ العدِّ
أجـدّك قد ضم التـراب مكارمـاً ... بهـا عنق العلياء قد كان ذا عقد[1]
أجدّك يهوى البدر من أفق العلا ... إلى منزل في الأرض دَانٍ على البعد
أجـدك ما عـاينت ليس تـوهُّمـا ... فما في حياة لامرىء بعد من قصد
ألا فجعتنـا الحـادثـات بمن بـه ... على حادثات الدّهر نعدو ونستعدي

(1) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:

بها عنق العلياء قد كان ذا عند

فقدناه فقدَ الشمس في ساعة الضحى ... وفقد زلال طاب باليُمن والرِّفد
عهدناه نسراً[1] ليس تدركه الدلا ... فكيف حوت أبراجه حضرة اللحد
وكان سريعاً للصريخ جوابه ... فما بالُه ما إن يعيد ولا يبدي؟
محمدُ عبَّاس غدا الدهر عابساً ... لتُبْدل من بعد البشاشة ذا وجد
كان لم تكن تاجاً على هامة العلا ... ولا غرة في جَبْهة العلم والزهد
كان لم تكن أعتاب بابك ملجأً ... لأهل النُّهى والفضل في الحل والعقد
كان لم تكن في مسند الدرس قائماً ... وألفاظك[2] الأصداف للجوهر الفرد
كان لم تكن في مجلس الحكم صارماً ... يُصمّم في أغراضه ماضيَ الحد
كان لم يكُ التنزيل من فِيكَ يكتسي ... غلائل من حسن الإبانة والسّرد
كان لم تكن فوق المنابر قارعاً ... قلوباً غدت أقسى من الحجر الصلد
لئن جُرِّعَتْ من كأس فقدك علقماً ... فيا طالما جرعتها خالصَ الشهد
لقد كُنْتَ للخضرا شهاباً فأينما ... تُباعِدُ عنها مارِدَ الجن بالطرد
تحرّرُ للقربى من الله وحده ... رقاباً غدت في ربقة الأسر كالعبد
تَبوَّأتَ من حكم ابن داود منزلاً ... لغيرك ما إن ينتهي قط من بعد
هنيئاً لك الأجر الذي قد أتيتَه ... جوار كريم واسعِ الفضل والرفد
فإنّ عباد الله جل عياله ... بهم لجنان الخلد أجدر بالودّ
فها كلّهم يدعو بقولِ مؤرخ: ... (محمد عباس أنِل جنة الخلد)

- 31 -

الشيخ محمد معاوية[3]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن مصطفى بن حسين بن

---

(1) في الأصل: نحس

(2) في الأصل وألفاظه

(3) ترجم له إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين بعنوان التركي التونسي ترجمه مقتضبة (ج 2 ص 381).

بايه محمد التركي الوافد على تونس من بلاد الترك وتزوج بإحدى حفيدات ولي الله الشيخ سيدي معاوية رضي الله عنه.

قد ولد صاحب الترجمة غرة ربيع الثاني سنة 1209 تسع ومائتين وألف، ونشأ في طلب العلم فقرأ على فحول الرجال منهم الشيخ حسن الشريف والشيخ محمد بيرم الثاني والشيخ الطاهر بن مسعود والشيخ محمد الفاسي والشيخ محمد بيرم الثالث والشيخ إبراهيم الرياحي، وبرع في المعقول والمنقول، وظهرت مزيته في الفروع والأصول، وتقدم إماماً بجامع الحنفية ببلد سليمان فأضاع علمه مدة سكناه تلك القرية.

لكنه تدارك أمره بعد حين وأرسل بتسليمه وحضر بجامع الزيتونة فوفد عليه أعيانه وتواردوا على دروسه توارد الظمآن على الماء فجلس للتدريس، بتحريره النفيس، وتصدى لإقراء عويصات الكتب وتدقيق غوامض المسائل بواقد فكره السيال، وفصيح تقريره السلسال، فقضاها سنين متطاولة يبث العلم في صدور الفحول، ويسترزق بالإشهاد وهو من أيمة الموثقين العدول.

وتقدم لخطة التدريس في الرتبة الأولى ابتداء بجامع الزيتونة عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف فأفرغ كليته للاشتغال بالتدريس عامة يومه اكتفاء بمرتبه لقناعته. وأخذ عنه فحول سبق ويأتي ذكرهم في تراجمهم، وتقدم خطيباً بجامع حمودة باشا المرادي صبيحة يوم الجمعة من سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف صبيحة يوم وفاة خطيبه الشيخ حمودة بن أحمد البارودي فخطب الخطب البليغة من إنشائه.

ثم قدمه الأمير أحمد باشا باي مفتياً خامساً يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب الأصب سنة 1267 سبع وستين ومائتين وألف، وأنف من تأخره عمن قبله حتى كاد أن لا يقبلها وعند ذلك اعتكف على الإفتاء مع التدريس وظهرت له في الفقه آية كبرى فخطب الخطب البليغة، وعند وفاة من تقدمه للفتيا وهو الشيخ محمد عباس صار مفتياً رابعاً ثم عند وفاة الشيخ أحمد الأبي صار مفتياً ثالثاً، ثم

عند وفاة شيخ الإسلام محمّد بيرم الرابع صار مفتياً ثانياً ثم عند وفاة شيخ الإسلام محمد بن الخوجة قدمه المشير الثالث محمد الصادق باشا باي لمشيخة الإسلام أواسط المحرم سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين وألف، وتنقل خطيباً وإماماً ومدرساً بجامع صاحب الطابع وشيخاً بمدرستة، وخلفه في خطبة الجامع الباشي الشيخ عثمان بن محمد البارودي إمام سراية باردو فزان الخطط بعلمه وفضله وخطب من إنشائه خطباً بليغة.

وآثاره العلمية أعدل شاهد على تضلعه في العلوم المعقولة لا سيما أصول الدين والبيان فقد حرر حاشية على مختصر السعد البياني، وحاشية على السعد على العقائد النسفية، وحاشيتين على شرح عصام للسمرقندية كبرى وصغرى نحا في جميعها منحى الأعاجم من الميل إلى الاكتفاء بالرموز بحيث إن من لم يكن على بصيرة وانفصال في كلام الحواشي لا يقدر أن يحوم حول مغزاة في لطائف مقاصده الخفية ورموزه التي كرّ فيها بالإبطال على كثير من كلام السيد وعبد الحكيم فضلاً عن غيرهما وحسبك بهذا عنواناً على علمه، وقد شرح رسالة فواتح السور للشيخ محمد بن ملوكة، وله رسالة في الحسن والقبح العقليين سلك طريقته في تسلسل الأبحاث.

وقد قرظها تلميذه الشيخ سالم بوحاجب بما نصه: الحمد لله الموفق لدقائق حكمه البالغة، والموصوف بجلائل نعمه السابغة، التي من أجلّها هاته الرسالة الشريفة وفهم المراد من إشاراتها اللطيفة، حتى انجلت عن الألباب ظلمُ الحيرة المدلهمة في خلاف لا يكاد مثله يقع بين أولئك الأيمة، كما من مطالعتها تراه، وتحمد عاقبة سراه.

هذا ولما أطلعني على مكنون سرها، ناظم مكنون درها، شيخُنا البحر العلامة، وحَبْرُنا النحرير الفهامة، القدوةُ اللّوذعي، والجهبذُ الألمعي، معدنُ التقى والصلاح، ومنبعُ الهدى والفلاح، النقّادة الدراكة الراوية أبو عبدالله الشيخ سيدي محمد معاوية، أبقى الله بركته، وقرن بالسعادة سكونه وحركته، ورزقنا رضاه، ورضي عنه وأرضاه، فجَمَل الابتهاج بها فاتر الفكر، على القيام بواجب

الشكر، فسلك اللسان مهامه الثناء على مولي النعم، وأناب في شكر مؤلفها لسان القلم، فجعل يركع في محرابها ويسجد، ويستملي في محاسنها وينشد:

[الكامل]

طلعتْ تُدِيرُ سُلافةَ الألبابِ ... وتنيرُ بالتوفيق أفْقَ صوابِ
دَقَّتْ معانيها ورقت منطقاً ... يَسْبي العقول ويا له من سابي
حُلو المذاقة مرها لمسلّمٍ ... ومعاندٍ كالشّهدِ أو كالصاب
يهمي فيلقح في القلوب رشادُها ... كتفتُّق الأزهار غِبَّ سحاب
لاح الهدى برسالة سلكت بتحـ ... ـقيق الأعاجم مذهب الأعراب
ودَلالها يبدي دَلالة لفظها ... كالغُرَّةِ الحسناء تحت نقاب
يلهيك عن جريال معناها من التجـ ... ـنيس والتسجيع أيّ حَباب
جاءت تبين المذهب الحنفي في ... حسن وقبح دون ما إطناب
وتُميط عن وجهٍ لتَجْمَعَ بينه ... والأشعرية أيّما جلباب
وتدرجت من خِدر فكرٍ مُجيدِها ... تختالُ في حلل من الآداب
ذاك الإمام الفذ والشيخ الذي ... قد نال منه العلم عَوْدَ شباب
يا صاح دونكها وخض لجيها ... ترجع[1] بدر القلب لا الأرقاب[2]
ما هي إلا منحة فَتْحِيَّةٌ ... مِن فيض مَن يُؤْتِي بغير حساب
ولذاك رصّع تاجها باسميه جـ ... ـلَّ جلالُه الفتاحِ والوهابِ

وكان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً واعظاً أصولياً بيانياً متكلماً محصلاً شعلة من الذكاء لا يقف بحثه عن حد، يتلاعب بعويصات المسائل إثباتاً ورداً على وجه يحار فيه متلقيه آية الله في الاحتجاج، تجاوز عمره الخمس والثمانين سنة في حومة العلم، بحيث إنه في هرمه وعجزه لم يترك المطالعة، ولم تزل فكرته على ما عُهِد منها، وقد ختم عمره بالكتابة النفيسة التي كتبها في الحقيقة

(1) في الأصل: تحض
(2) في الأصل: لا الرقاب

المحمدية، وهو عفيف عالي الهمة عزيز النفس محافظ على شرف خطته إذا حضر المواكب يأخذ الأمير بيده.

وقد توفي ليلة الاثنين الحادي والعشرين من المحرم سنة 1294 أربع وتسعين ومائتين وألف وقد أرخت وفاته بقولي:

[الكامل]

المـوْتُ لم يبـرحْ مجّـرد عضبـهِ ... فانظر مـآل ذوي الحياة وعِظ بهِ
لا يسلمنّ من الممات فتىً ولو ... سـامى سمـاءً مِنْ تسـامي كعبـه
كَلاًّ ولا يُجدي الفتى غيرُ الذي ... عملت يـداه وكان أفضـلَ كسبه
والعلمُ أفضل ما به يُبْقي الفتى ... فضـلا وذكراً يصـطفيـه بقـربـه
يبلى ويبقى عِلْمُـه عَـلَـمًـا على ... وسْطِ[1] الصدور وفي مؤلف كتبه
مِثْلُ الهمامِ المرتضى علمُ الورى ... بحرُ العلوم المُرْتَـوَى من عذبـه
شيخُ الشيوخ الراسخ القدم الذي ... يسمو على (سعد) البيان (وقطبه)
هـذا معـاويـةُ الإمـامُ محمـدٌ ... (ركنُ الشريعة) من سما في حزبه
هذا الذي في مذهبِ النعمان قد ... أجلى محـاسنَ مِنْ مـدارك لبّـه
له في البيان وفي الكلام (مواقفٌ) ... لا يستضاء بغير نير شهبه[2]
أفتى وحـاز رئاسـة العـلـما ولم ... يفتـر عن التأليف مِنْ وَلَـع بـه
حتى دعاه الموت عن هرم فلم ... يُبْـدِ التَـرَيُّث عن مـواردِ شِـربـه
ولذاك قال ذوو النهى إذ أرّخوا: ... (يلقى معاويـةُ الـرِّضى من ربّه)

- 32 -

الشيخ مصطفى بيرم[3]

هو الشيخ أبو النخبة مصطفى بـن محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن

(1) في الأصل: سطر

(2) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:

لا يستضي بغير نور شهبه

(3) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 174).

حسين بن بيرام، كان والده شيخ الإسلام البيرمي الأول في آخر عمره تزوج جارية اشتراها من إحدى الغنائم التي وردت إلى تونس فرزق منها في آخر عمره بولدها صاحب الترجمة وتركه صبياً فكفله أخوه شيخ الإسلام البيرمي الثاني ورباه في حجره وعلمه ما يحتاج إليه حتى أخذ الملكة ثم تصدّى للقراءة على ابن أخيه شيخ الإسلام البيرمي الثالث ولما ختم عليه السعد مدحه بقصيدة التي قال في مطلعها:

[الوافر]

فـؤادٌ ليس يـصغـى للمـلام ولحظٌ لا يميـل إلى المنـام

وأخذ عن أعلام جامع الزيتونة معقولَ العلوم ومنقولَها، أخذ عن فحول منهم الشيخ أحمد بوخريص، قرأ عليه المطول، وقرأ على الشيخ حسين الشريف، وعلى جدنا الشيخ محمد السنوسي، وعلى أخيه الشيخ أحمد زروق وعلى الشيخ أحمد العوادي، وقرأ على الشيخ أبي الفدا إسماعيل التميمي مختصر ابن الحاجب الأصلي بشرح العضد، وتفقه على أخيه وابن أخيه، وأخذ عن الشيخ أحمد اللبي حتى صار من أعلام المحصلين وتصدى للتدريس فأفاد.

وتقدم للتدريس في الرتبة الأولى عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف فواظب على التدريس أدركته يقري أبناءه بسكينة بيرمية مع عدم الزيادة على ما في الكتاب الذي بين يديه إلا ما لا بد منه رضي الله عنه.

وقدمه المشير الأول أحمد باشا باي إلى خطة القضاء في الحادي عشر من ذي القعدة الحرام سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين وألف فباشر الخطة بفقه وتثبت ودين مع كَمَال العفّة والتحري لدينه وأقام على الخطّة المذكورة خمس عشرة سنة منها نحو العشر سنين يسكن بدار[1] خَرِبة لم يقدر على رمّها واكتفى بسقيفتها

(1) في الأصل: بدا.

للجلوس للحكم إلى أن أفضت الدولة إلى المشير الثاني محمد باشا باي فتكرم عليه بدار فاخرة فشكر فضله بقصيدته التي قال في مطلعها:

[الطويل]

تبلّجَ ليلُ النصر عن صادقِ الفَجْرِ فأصبحتِ الأيّام باسمةَ الثغرِ

ولما توفي الشيخ محمود بن باكير قدمه المشير الثالث لخطة الفتيا منتصف ربيع الأول سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف وتقلب في خططها إلى أن بلغ مفتياً ثانياً.

وتقدم إماماً وخطيباً ومدرساً بالجامع اليوسفي، كما ولي مشيخة مدرسة الباشا الحنفية.

وهو عالم عامل فاضل محافظ على ديانته متثبت في قضائه وفتاويه، حسن الخطبة حافظ للتاريخ، قد اكتفى بقناعته في حفظ مروءته لم يحفظ عنه أنّه طرق باب أميره أو وزيرِهِ، ولا تأخذه في الله لومة لائم، شعره رقيق، ونثره أطيب من المسك الفتيق.

وله تحارير في كثير من المسائل، استدرك بها ما تقدم عن الأوائل، وله أختام بديعة الانتظام وقد لازم الإفتاء وكان عماداً في الفتيا حتى أنّ شيخنا أبا عبدالله محمد البارودي لما ولي خطة القضاء لم يعتمد على غيره واتخذه مرجعاً يسعى إلى داره في كثير من الأوقات وقد أفاده في فقه القضاء فائدة سمعته يشكر فضله فيها كثيراً كما هو شأن الفضلاء أمثالهم في الاعتراف بالفضل لذويه.

وقد توفي في أوائل ذي القعدة الحرام سنة 1286 ست وثمانين ومائتين وألف وقد رثاه العالم الشيخ سالم بوجاجب بقوله:

[الكامل]

الحَدْسُ يجمع والزمان يفرِّقُ والنفس من خوف التفرق تَفْرَقُ
ودوائرُ الآمال هبها وسَّعَتْ ما وسّعتْ لا شَيءَ منها أضيق

لا يَأمَنُ[1] المشتف كأس مسرة ... أن يُقذيَ الأقداح حزن يدمق
وبقدر حسن الشيء يُخشى نهبه ... وله الردى حجبَ التوقي يخرقُ
كم ذي حجا لزم الخمول مجانباً ... ما في المظاهر من سهام تمرقُ
وإذا أحس الدهرُ منه بشهرة ... في الناس عاجله بصدق يوفق[2]
أو ما ترى طودَ الهدى نسفته في ... زحلوقةٍ هيف المنون الزَّحْلِق
فارتدَّ روضُ العلم يَبْساً ذاوياً ... وبواتر الفتيا عداها الرونق
ولمذهب النعمان أي كآبة ... وتلهفٌ وتحسّرٌ وتحرّقُ
لأُفول شمس الدين والدنيا التي ... كانت على أرجاء تونس تشرق
بكت الدفاتر والمحابر والمزا ... بر والمنابر لو جمادٌ ينطق
فاستفْتِ دَارِسَ رسمها في مشكلٍ ... هل يُخْبِرَنْكَ اليوم بيدٌ سَمْلَقُ؟
أين الذي يا كتب كان يجيبنا ... عنكم بما هو للتّحير أمحقُ؟
أين الذي قد كان يفتح منكمُ ... بمقالِدِ الأقلام ما يُسْتَغْلَقُ؟
أيْنَ الّذي يجلو بكحل[3] مداده ... ما في عيونك من عيون تُغْلَقُ؟
يُمْسِي ويصبح مصلحاً ما شانها ... أو بين مختلِفِ النقول يُوفِّق
أين الذي يا كتب كان مسامراً ... لجموعكم بحديثها يتأرَّقُ؟
أين الخبيرُ بما تُكِنُّ[4] سطورها ... وبما يقيد حكمها أو يطلق؟
مالي أراها لا تجيب تَصَامُماً ... أم مات مَنْ لأصَمِّها يَسْتَنْطِقُ
كَنْزُ المَعَارِفِ مصطفى نجلُ الذي ... هُو في محاميد البيارم أسبق
ذاك الذي جمع الخمول وكونه ... ينبوع علم للورى يتدفق
جمع البشاشةَ والتودُّدَ للورى ... مع هِمَّة بالفَرْقَدَيْن تعلق
جمع البلاغة والشجاعة والتقى ... وتغزل الآداب وهو مُوفَّق
وله بتاريخ البلاد درايةٌ ... وروايةٌ لحوادثٍ تتنسّق[5]

(1) في الأصل: يا يأمن.
(2) في الأصل: يوبق.
(3) في الأصل: فكحل.
(4) في الأصل: ما تكن.
(5) في الأصل: تستنسق.

وعـوائـدٌ فيهـا تُنُوسيَ أصلهـا ... وفـوائـدٌ مـا إن حـواهـا مُهْـرق
لا عيب فيه سوى الأناة مع الحيا[1] ... أوْ أنــه بـالـعـلم لا يـتـشـدق
أو أنــه فـي كـل فـن قـدوة ... وبعلمِ فـقـهٍ شَـأْوُهُ لا يُلْحَقُ
نُصِبَتْ مِنَصَّات النصوص لديه نصـ ... ـب العين بالإفتاء بَـرْقاً[2] يَبْـرُق
فاسأل جميع الناس هل حفظوا له ... من زلــة حيث النهى تستــزلـق
هلْ رِيءَ منه سوى الرضى عند القضا ... أوْ كـظم غيظ أن جفاه الأحمق؟
هل ريء يوماً راغباً في منصب ... أو بـابَ ذي جاهٍ وجـود يطرق؟
هَـلْ كَـان غيـر الاقتصـاد سبيله ... لا يقتـفي رخـصـاً ولا يتعمّق؟
واسأل ذوي الإغواء هل كانت لهم ... في حكمــه آمـال ميــل تــرمق
يُرضي كلا الخصمين نافذ حكمه ... فترى السجين كأنّما هُو مـطلق
وإذا خـلا الحكام عن غرض وعن ... جـهــل بحـق الله لا يستحـنق
وبجملةٍ فـالشيـخُ فذُّ زمــانــه ... وبصـالـح السلف الأوائل ملحق
مـا ضرّه التـأخيرُ في تصـديـره ... كـالـلام في أخبــار إنّ تـزحلق
يــا راحـلاً عن فتيــة غـادرتهم ... حيـرى ويـومُ البَيْن ليــلٌ مُـطبِق
أعْـزز عليهم أن تغيب ولا يرى ... من شمسكم قبل القيامـة تشرق
يا مودعـاً في قلب من قد فـاته ... تــوديعكم حـرقــاً بهــا يتمــزق
هل أعجلتك الحور عنـا أم لكم ... علم بــأني عن قــريب ألحق؟
أم قد نسيت العهد لا بل ها أنا ... مستغفــر مـمــا لســانـي يَسْـبِق
جهــل العهـود البيــرميـة مبــرم ... بســواه ذو التجـريب لا يَتَــوثّق
يـا آل بيـرم لا عــدمــنـا منكم ... عقْــداً بـه جيــدُ العلوم يُـطوّق
إن أخْلقَتْ نُوَبُ الردى منكم فتى ... ففـخـاره طول المـدى لا يَخلَق
مَن ينتحــلْ تهـذيبكم فَجَــوابُـه ... شتــان خَـلْق راســخ وتـخـلّق
وعـزاؤُنـا والنــاس طـرّاً واحــدٌ ... وأرى المصـابَ يَهُون إذ يتفـرق
يـا رب أكـرم نــزلـه وأنله مــا ... قـد كان من سعـة العطا يتحقق

(1) في الأصل: والحيا.
(2) في الأصل: برق.

يـا رب خَلْقُـك يشهـدون بـأنـه الأصدق الأوفى النصوح المشفق
يـا رب صدّق فيـه قول مؤرخ: (بمقام صدق حل هذا الأصدق)

- 33 -

الشيخ أحمد بن الخوجة[1]

هو شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن حمودة بن محمد بن علي خوجة شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام وحفيد مفتي الأنام فهو ثالث آبائه الكرام في الخطة الشرعية، ، ولد سنة 1246 ست وأربعين ومائتين وألف، وتربى في حجور العلم والتعليم، والفضل والتكريم، باعتناء والده شيخ الإسلام الذي اتخذ الاشتغال بتعليمه ديدناً في أواخر عمره سائر اَلليالي والأيام، فجوّد على والده القرآن العظيم وقرأ عليه الأجرومية وشرح الشيخ خالد والأزهرية والمكودي على الألفية والدرر في الفقه الحنفي وشرح المحلي على جمع الجوامع والسعد على العقائد النسفية، وروى عنه صحيح البخاري وأجازه عنه بسنده العالي إجازة مطلقة رضي الله عنه وهذا نصها: الحمد لله الذي[2] وصل من انقطع إلى جنابه، ووقف ضارعاً خاضعاً ببـابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمـد وعلى آله وأصحابه، صلاة وسلاماً نرجو بهما النجاة يوم العرض على الله من مناقشة حسابه، وأليم عقابه.

وبعد، فان ولدي الفاضل النجيب، الزكي الذكي الأريب، الحائز من العلوم أوفر نصيب، الرامي في ميدانها بسهم مصيب، الأمجد الأنجد، أبا العباس أحمد، زاده الله توفيقاً، وحشرني وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، قد التمس مني أن أجيـز له فيما تضمنه هذا الثبت وغيره مما أمليت أو كتبت وفي سائر ما هو لديّ، وصحّت نسبته إليّ، فها أنا قد أجزت له إجازة تامة في ذلك كله علماً مني بأنها

---

(1) ترجمته في عنوان الأريب (ج 2 ص 137) وهي ترجمة حافلة.
(2) الذي ساقطة من الأصل.

من وضع الشيء في محله، وأجزت له أيضاً أن يجيز من أراد الكرع من حوضه، والاقتطافَ من أزهار روضه، وأوصي ولدي بتقوى الله في سره وعلانيته، فإنه سبحانه مطلع على فعله وعلى نيته، وأن لا ينساني من صالح دعواته، في خلواته وجلواته، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كتبه بيده الفانية الفقير إلى ربه محمد بن بالخوجة عفا الله تعالى عنه بمنّه في يوم الاثنين التاسع عشر من صفر سنة 1271 إحدى وسبعين ومائتين وألف، سبحان المحيي المميت سبحان الحي الذي لا يموت سبحانه لا إلٰه إلا هو.

وقرأ على عمه الشيخ حسن بن الخوجة القطر والفاكهي ونبذة من العيني على الكنز، وجوّد برواية حفص على الشيخ حسين البارودي والشيخ محمد الستاري، وروى عن الشيخ إبراهيم الرياحي قطعة من الموطأ وأجازه إجازة عامة مثل ما أجازه به والده وقرأ على الشيخ محمد بن ملوكة نبذة من شرحه للدرة[1]، وقرأ على الشيخ محمد بن عاشور الآجرومية والخبيصي على التهذيب والأشموني ومقدمة مختصر السعد، وقرأ على الشيخ محمد بن سلامة نبذة من تفسير القاضي البيضاوي، وقرأ على الشيخ محمد النيفر قطعة من الأشموني ونبذة من مختصر السعد والكبرى وقطعة من تفسير البيضاوي، وقرأ على الشيخ محمد معاوية المطول وصدر الشريعة والشفا، وقرأ على الشيخ محمد البنا الأشموني على الألفية، وقرأ على الشيخ محمد الخضار نبذة من الأشموني، وقرأ على الشيخ علي العفيف الأزهرية والتوضيح والمحلي على جمع الجوامع، وقرأ على الشيخ محمد الشاهد المكودي على الألفية والأشموني والمطول، وقرأ على الشيخ محمد الشنقيطي شرح الشيخ خالد على الأجرومية والأزهرية. ومع هذا سهر الليالي في خدمة العلم والمطالعة وأجازه شيخ الاسلام البيرمي الرابع بإجازة بديعة نصها:

---

(1) للشيخ ابن ملوكة شرح حافل على الدرة البيضاء في الفرائض قال عنه الشيخ ابن أبي الضياف إنه شرح نفيس وهو في جزأين وابن ملوكة هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن صالح بن ملوكة العالم الصالح (ـ 1276).

[الوافر]

بحمـد الله أفتتـح المقـالاَ ... وأشكـره على النّعمى تعـالَى
وأسـألُه الصـلاة على رسـول ... بمحكم شرعه نسـخ الضـلالا
وأسـألُـه سـلامـاً منـه دومـاً ... على عليـاء حضـرتـه يُـوالى
صـلاة مـع سـلام كـل حين ... يعم شـذاهمـا صـحباً وآلا
وبعـد، فإنّ نيـل العلم فخرٌ ... لـصـاحبـه يُـوَرِّثُـه جـلالا
ولا سيما الحديثُ وأي شخص ... يُـزاولـه ولم يحـمـد مـآلا
وممن قـاده التـوفيـق حتـى ... تـردّد [1] في معـالمـه وجـالا
وأسهـر جفنـه فيـه اكتسـابـاً ... وبـالـغ في تـطلبـه فنـالا
(أبو العباس أحمدُ) وهو مَنْ قد ... عجـزت إذا طلبت لـه مثـالا
وبـابن الخوجـة الأسمى أبيـه ... محمدٌ الهمام حـوى احتفالا
ومن أضحى لذاك الليث شبلاً ... فقـد سبق الجهابـذة الرجـالا
وقد طمحتْ إلى الإسناد نفس ... زكتْ منـه وأحسنتِ الفِعـالا
فأضحى للفـقيـر[2] يـرومُ منه ... إجـازتـه وقـد ظن الكمـالا
وأفـنـى فـي تـرددِه زمـانـا ... وكـرّر من عنـايتـه السؤالا
فـأحجم عن إجـابتـه حيـاء ... وأوسعـه لذا المعنى المِـطالا
ولمّـا لم يجـد من ذاك بُـدّاً ... ولا أعْـفَى الـمُلِحُّ ولا أقـالا
تجشَّمَهـا وليس لهـا بـأهـلٍ ... مسـاعفةً لـراغبـه وقـالا:
أَجَزْتُ له روايـةَ ما روى لي ... أسـاتـذتي وقـد كانوا جيالا[3]
وخصصت الصحيحَ بذاك ذكرا ... لأنّ لـه على السبق اشتمـالا
وذلك جامع (الجُعْفِيِّ) من قد ... عليه الناس قد أضحوا عيالا
وأرويـه عن الجـدّ المُعَلَّى[4] ... ومن بعلومـه مـلأ السِّجـالا

(1) في الأصل: ترد.
(2) في الأصل: فيمم ذا الفقير وهو مخلّ للوزن.
(3) لعلها جبالا.
(4) هو الشيخ بيرم الثاني.

وَقَدْ أبدى لـه سنداً بنظم ... شهيرٍ[1] لو حواه الطِّرْسُ طالا
وعممت الإجـازة في عـلوم ... لَزِمْت بكسبها مني[2] اشتغالا
فلسْتُ مخصصاً منها كتابا ... ولا فنّا وأوسعت المجالا
وما حرَّرْتُه في العلم عني ... روايتُـه لـه سـاغت زلالا
وفي المنثور والمنظوم مِمّا ... تَنَمّق فاغتدى سحراً حلالا
وذاك مِلاَكُه التقوى فطوبى ... لعبد نال بالتقوى اعتدالا
وبالإخلاص في التعليم أوصي ... فذاك يُورِّثُ العلم الجمالا
وأسـألـه إذا نـاجى دعـاء ... لـزلاتي العظيمـة أنْ تقالا
وبالختم[3] الجميل وفاز عبد ... غدا حسن الختام له نوالا

وتقدم لخطة التدريس بجامع الزيتونة فزان الجامع بدروسه في المعقول والمنقول، وأخذ عنه كثير من الجهابذة الفحول، وتقدم لإمامة جامع محمد باي[4] ومشيخة المدرسة الشماعية فزان صدريهما بدروسه العالية وخطب من إنشائه الخطب البليغة، وختم بالجامع الأختام التي هي أفخر الأختام حضر الأمير كثيراً منها واتخذها جهابذة العلماء محطاً لرحالهم، وتقدم لخطة القضاء في ربيع الأول سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف فقام بأعبائها ورجع لوالده فشابهه في التطبيق والتنزيل وأصبح في دار الشريعة هو الفرد العلم، ومن يشابه أبه فما ظلم، وفي المحرم سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين وألف تقدم مفتياً ثالثاً، فأعاد على جامع الزيتونة ما ألفه من دروسه المحققة المحررة وتصدى للتدريس والإفتا، على طريقة لا ترى فيها اعوجاجاً ولا أمتاً ، وكتب الفتاوي المحررة وقد تصدى لتكميل حاشية والده على الدرر من أولها حيث إن شيخ الإسلام والده ابتدأ على الكتاب المذكور من النكاح.

---

(1) في الأصل: يشهر.

(2) مني ساقطة من الأصل.

(3) في الأصل: والختم.

(4) هو الجامع الفخم الذي أسسه محمد باي ابن حمودة باشا سنة 1104 انظر معالم التوحيد ص 110 ط ـ تونس ص 185 ـ ط ـ دار الغرب بيروت.

ولما توفي الشيخ مصطفى بيرم صار هو ثنيان الفتيا وهو عماد أهلها علماً وفقهاً وخبرة بالسياسة الشرعية مع تضلع في العلوم العربية والأدبية بحيث إنه حامل رواية المعقول والمنقول، الآية الكبرى في الفروع والأصول، تجمل بحسن الأخلاق ولطف المحاضرة وحُسْنِ تقلب في المذاهب السياسية والشرعية وعلو الهمة وحسن الملاقاة والبشاشة والكياسة والمعرفة بتاريخ البلاد، والأصالة التي ألحقت الأبناء بالآباء والأجداد، والإبداع في النظم والنثر والقلم السيال، في حسن الإرسال، والتصدي لنفع العباد، بما فوق المراد، فقد بذل جاهه فيما نفع به كثيراً من الناس وله ميل إلى معالي الأمور وتخليد الذكر الحسن.

وقد قرأت عليه في مبدإ قراءتي غالب شرح القطر لابن هشام بحواشي الشريف ونبذة من التصريح، وقرأت عليه بعد ذلك دروساً في المطول من مبحث الفصل والوصل بحواشي المولى عبد الحكيم مع تحرير بديع، ثم قرأت عليه الفاتحة من تفسير القاضي البيضاوي بحواشي عبد الحكيم وكان يومئذ بصدد الكتابة على الحواشي المذكورة بحيث إنه تصدى لإتقان إقراء الكتاب المذكور بغاية الاعتناء وحضر بين يديه يومئذ كثير من جهابذة علماء العصر.

ولما توفي الشيخ محمد معاوية قدمه المشير الثالث محمد الصادق باشا باي إلى خطة مشيخة الإسلام يوم السبت السابع والعشرين من صفر الخير سنة 1294 أربع وتسعين ومائتين وألف فزان الخطة المذكورة بمفاخره التي لا تحصى.

وقد كاتبه الشيخ سالم بو حاجب مهنئاً بذلك بما نصه.

تبارك الذي أقر عيون المناصب الشريفة، بمصادقة ذوي الرتب العرفانية المنيفة، ووسع دوائر الإنتاج في كل إدارة، كلما زفت الصدارة، لمزيد الجدارة، فهناك تتواصل أرحام السداد، وتتعاضد فُنَن الاتحاد، بانضمام سهولة الانقياد، بحسن الاقتياد، وقد آذن بتفتق أزهار الرياض العرفانية، غرف هاته الأماني السنية.

[الكامل]

نبأٌ أدار سُلافة السَّرَّاءِ وأدال تهنيةً عَقيبَ عَزَاءِ

بدءاً نعى شيخ الشيوخ المنتجي ... بسليم قلب أرحم الرحماء
وبإثر ذا هجم السرور على الأسى ... كهجوم جيش الصبح بالظلماء
أنْ قَدْ تبوأ رتبة المرحوم مَنْ ... هُو منه مُنْزَل مبدع الأبناء
العالم ابن العالم ابن العالم ابـ ... ـن أماجد الأجداد والآباء[1]
فلتهن مشيخة الإسلام ولـ ... ـتُعِدِ الشباب بأحمد الأكفاء
فلبيتها الخوجي عادت رغبة ... والعودُ أحمدُ مفصحٌ بثناء

سيدي وملاذي، وابن المقدَّس سيدي وأستاذي، أدام الله بمجدك الأثيل مسرة أصدقائك، ولا حجب العيون عن الاهتداء بنور ارتقائك.

بعد السلام الأتمّ، النامي بطيب المكتم، فإن رسوخ قدم الأخوة القديمة، وحسن المعاملة التي لم تزل لحفظ حقوقها مستديمة، مما يوجب أنْ أنهيَ لجنابكم السامي وسؤددكم العظامي والعصامي أنّ ارتقاءكم رتبة المشيخة الإسلامية، المؤسس على دعامتي التهذيب والتبريز في الحلبات العلمية قد توفر من مسرته حظ العبد، وإن اتسعت مسافة البعد، واستوعبت الأشغال القَبْل والبَعْد، بيد أني تصاممت برهة من دواعيها، لأبث لهاته البطاقة طوية تحظيها عند واصيها، وفي ضمن تهنئتكم أهنىء نفسي ثم سائر أبناء جنسي، حيث إن منى الجميع[2] هو نموّ النتائج العرفانية الذي هو ملاك الاستقامة الدينية والدنياوية وتقديم مثلكم حفظكم الله تعالى فإنه لتحقيق المنى، فما أجدره بتعميم المسرة والهنا، وأسأل الله أن يديم بحفظكم نجاح الآمال، وتسديد الأعمال، وظهور آثار الكمال.

وقد لازم بعد تقلده الخطة تحرير المسائل، لكل سائل، وكتب عدة رسائل، يجري بها عذب النفع السَائِل، وقفت منها على تحريرات صدعت بأوضح التقريرات وفي كثير من تخريجاته يتبين له أنه وافق فيه ما هو مختار محرَّر المذهب الحنفي بالديار التونسية شيخ الإسلام البيرمي الثاني ومع ذلك

(1) في الأصل: الآباء والأجداد.
(2) في الأصل: حيث إني منا الجميع.

يجمع ما عليه المذهب الحنفي والمذهب المالكي مما يكون به تحقيق المناط في غاية الوضوح، وذلك من سعة علومه وتوسع أنظاره في مقتضيات الأحوال توسعاً لم يشاركه فيه أحد من علماء البلاد في هذا العصر.

ومما أوقفني عليه من بدائع تحريراته رسالة في حكم الانتفاع بشواطىء البحار ومعظم الأنهار، وعندما تأملتها ورأيت حسن منزعه فيها كتبت له عليها بما نصه:

حيّهلا بالمحيا الوسيم، والثغر العاطر الشميم، المفتر عن الدر النظيم، من تحريرات ذي النفع العميم حجة الإسلام، ومجمع بَحْرَيْ المعقول والمنقول، تاج جبين الأعلام، الذي افتخرت به الفروع والأصول، البحر الخضم، المتلاطم الأمواج بالعلوم والحكم، والطود الأشم، والركن المستلم، ومن إليه انتهى التحقيق في كل ما عرض وألم، مقيم دعائم المجد والكرم، بالفضل الأعم، حامل لواء الشريعة في كافة الأصقاع، وهل تخفى النار يحملها اليفاع، شمس الملة وإمامها، وفخر الأمة وعلامها، صاحب المفاخر التي لا تقف عند حد، ووارثها عن أكرم أب وجد، فرع شموس الهدى بين الأنام، ومنجب الغرّ المحجلين من الأعلام أستاذنا الهمام، مولانا شيخ الإسلام وابن شيخ الإسلام علامة العصر سيدي أحمد بن الخوجه لا زالت سيول معارفه ثجوجه، وطريقته في العلوم أكمل طريقة منهوجه، وناهيك بما أبداه من الآثار، التي شنّفت السمع بالدر المختار، وأجلت لسائر الأنظار، أجنتها الدانية القطوف والثمار، من هاته الرسالة التي أوضحت حكم الانتفاع بشطوط الأبحر ومعظم الأنهار، وما شاكل ذلك من المسيلات والعيون، مما كان حكمه بين الجهابذة في زوايا الكمون، حتى تجلت هاته المسائل كالعرائس على منصاتها، وقد ضفت ظلال التحقيق على عرصاتها، واكتسب من إبداع التحرير أي جلباب، عليه رونق تحبير الآداب، بفصاحة الأنفاس، ووضوح النص والقياس، حيث جمعت جميع ما تحتاج إليه تلك المسائل على الوجه المحصول، وأحاطت بأحكامها الفرعية المؤيدة بقواعد الأصول، مستندة إلى ما جرى به العمل في هاته الديار، وتحرر عن

الجهابذة الأخيار، حتى أجرى به مؤلفها النحرير[1] من أعذب موارده، بالنقل عن المقدس والده، نقلاً مدللاً بنصوص أيمة المذهب وحفاظه، مؤيداً بمتانة فهمه وعذوبة ألفاظه، ولا بِدْعَ في ذلك فما هاته[2] بأولى آياته، وكم أظهر في غرائب المسائل لطائف نكاته، المحبرة بتحبير تحريراته، لا زال بيته ركناً في الإسلام، وهو تاج بين الأعلام، على ممرّ الأيام، وبما أن كرم هذا الهمام أنالني حضور مائدة الإكرام، بإباحة المطالعة لهاته الآيات العظام، حتى أسمت الفكر القاصر في رياضها، وكَرْعٍ من منزع حياضها، حتى أصبح نشوان من أقداح هذا الإبداع، ولم يتمالك أنْ حدا اليراع، في اقتحام ما ليس بمستطاع، حتى جرى في ذلك الميدان خجلاً من مقام الإجلال، ونظم ما جال في الخلد من جولان تلك الرسالة البديعة فقال، :

[الكامل]

جالت فأجلت نيّرَ الأقْمَارِ ... وأجالت الأقداح باستبصار
فإذا لها فخر المعلّى ينجلي ... بين الأجلاء انجلاء منار
وبهاته كشف المعمى حيثما[3] ... عنها أميط اليوم خير ستار
فبدا محياها عليه تهلل ... بطلاقة التحرير دون غبار
وتبسمت عن ثغر تحريرٍ جلا ... تدقيقَ حبر واسع الأنظار
وجرت بميدانِ النصوص وأحرزت ... نسقاً يعود بأحسن الآثار
لم تعدُ منطوقاتها إلا لتحـ ... ـقيق المَنَاطِ بواضح الأسرار
وتأيدت من ذاكَ[4] بالعمل الذي ... أجراه من سلفوا على أطوار
فغدت حفاظَ مسائلٍ سالت بها ... مُزْنُ العلوم بوابلٍ مدرار
أبدى مؤلِّفُهَا بها حُكْماً على[5] ... شطِّ البحور ومعظم الأنهار

---

(1) في الأصل: التحرير.
(2) في الأصل: بما فاته.
(3) في الأصل: وبها قد كشف المعمى حيثما وهو غير مستقيم الوزن.
(4) في الأصل: ذلك.
(5) في الأصل: عرى.

لا زال حجة ديننا تسمو به أصقاعُنا عن سائر الأقطار

وتوفي[1] بمرض لازمه عدة سنين لم يترك في فُرَصِ راحته الاشتغال بالعلم والإفتاء إلى أن أتاه محتوم الأجل بعد زوال يوم الأحد الخامس من ذي الحجة عام 1313 ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف[2]، ودفن صبيحة الاثنين بالزلاج وحضر الأمير مشهد جنازته وصُلي عليه ببطحاء القصبة عليه رحمة الله.

- 34 -

الشيخ أحمد كريّم[3]

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمود بن عبد الكريم المدعو كريم بن عثمان التركي، ووالدته بنت مصطفى بن عبد الكبير بن يوسف بن عبد الكبير بن يوسف درغوث فهي حفيدة ثلاثة من مشايخ الإسلام، وكان مقدم جده عثمان من جند الترك، وكان ولده كريم أمين صناعة الشاشية بتونس، وكان ولده محمود تعاطى صناعة الشاشية.

وولد صاحب الترجمة ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة 1243 هـ ثلاث وأربعين ومائتين وألف وقرأ القرآن العظيم على الشيخ الحاج علي بن المهدي وأتمه على الشيخ محمد الذهب الخياري[4] وابتدأ قراءة العلم الشريف في شوال عام 1258 ثمانية وخمسين ومائتين وألف فقرأ على الشيخ حسن بن الخوجة كتب المبادي شرح الشيخ خالد والأزهرية والقطر ومراقي الفلاح ومولا المسكين على الكنز والتذكرة للقرطبي، وقرأ على أخيه الشيخ محمد بن

(1) جاءت هذه الفقرة بخط المؤلف بالهامش ألحقها بالكتاب عند وفاة المترجم لأنه كتب ترجمته قبل وفاته.

(2) جاء هنا سنة الوفاة بخط المؤلف هكذا ثلاثة عشر وثمانمائة وألف فأخذ ثمانمائة من السنة الميلادية.

(3) ترجمته في عنوان الأريب (ج 2 ص 141) وهي ترجمة حافلة محيطة بحياته.

(4) الشيخ ذهب ترجم له ترجمة حافلة الشيخ أحمد جمال الدين في كتابه بلوغ الأرب في مآثر الشيخ ذهب.

الخوجة الأزهرية وقطعة من البخاري وقطعة من الدرر، وقرأ على الشيخ حمدة بن عاشور الألفية وقطعة من شرح الأشموني وقطعة من السعد، وقرأ على أخيه الشيخ الطاهر بن عاشور القطر والبردة والمحلي والمطول الجميع بحواشيه التي ألفها وقطعة من مسلم وقطعة من المختصر الخليلي، وقرأ على الشيخ حسن فرشيش الفرائض، وقرأ على الشيخ الحاج عبدالله الدَّرَّاجي الشذور، وقرأ على الشيخ محمد برناز شرح المصنف على السلم، وقرأ على الشيخ محمد القسنطيني الصغرى والوسطى وقرأ على الشيخ محمد بن مصطفى البارودي الشذور، وقرأ على الشيخ محمد معاوية الدرر، وقرأ على غير هؤلاء يسيراً مثل الشيخ العربي الشريف والشيخ محمود قابادو والشيخ الأمين بن الخوجة وقرأ على الشيخ محمد ابن سلامة نبذة من المكودي، وأخذ جانباً من الموطأ عن الشيخ إبراهيم الرياحي، وروى الشفا عن الشيخ مصطفى بن عزوز دفين نفطة، وتقدم لخطة العدالة في 3 ذي القعدة الحرام سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين وألف.

وهو أول مدرس حنفي ثبت في الرتبة الثانية بجامع الزيتونة وولي ذلك في ربيع الأول سنة 1265، ثم ارتقى إلى الرتبة الأولى في 5 جمادى الأولى سنة 1267 وأقرأ كتباً مهمة منها الكنز وتتبعه بالهداية وفتح القدير ومنها شرح الشيخ برتقيز على متن القدوري وصل فيه إلى كتاب الجنايات، وعند ذلك اتفق أن انتصبت مجالس الجنايات بتونس وتقلد هو كاهية المجلس في شوال سنة سنة 1277 وتقدم في قوانينها تقدماً كليّاً إلى أن صار رئيس مجلس الجنايات وتقلد خطة الإفتاء في الثالث والعشرين من شوال سنة 1280 ثمانين ومائتين وألف، ثم تقدم خطيباً وإماماً ومدرساً بالجامع الحسيني أواخر شهر رمضان المعظم سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين وألف بتأخير الشيخ محمد بن أحمد البارودي إمام السراية بباردو. وخطب من إنشائه الخطب البليغة وقد وقفت له على ديوان خطب مهذبة مختصرة يستعملها بعض علماء الحاضرة وختم فيه الأختام المحررة الرائقة وقد حضر الأمير بعضها.

وهو عالم دراكة عارف بمقتضيات الأحوال فصيح اللسان والقلم لطيف المحاضرة مستحضر للأجوبة محرر لدروسه خبير بدقائق المذهب الحنفي متودد

إلى الناس جميل السمت نظيف الثياب حسن الهيئة أديب شاعر ناثر يرصع قصائده المديحية بمحاسن الغزل.

وجمع شعره في ديوان سماه السحر الحلال[1] يحتوي على ثمانية كراريس من لطيف الشعر، وقد شرح قصيدة كعب بن زهير شرحاً لطيفاً شحنه أدباً ولطائف من أحوال العرب ووقائعهم، وكتب شرحاً على البسملة، وشرحاً على خطبة مختصر السعد التفتازاني، وحين أقرأ شرح القدوري للشيخ برتقيز بجامع الزيتونة تتبع مبحث قضاء الفوائت بمسائل معركة الشيخ حسين البارودي والشيخ لطف الله الأرزومي الأعجمي وكتب في المسألة رسالة صوب بها كلام كلٍّ من الشيخين.

ولما توفي الشيخ مصطفى بيرم صار مفتياً ثالثاً ولما توفي الشيخ محمد معاوية صار مفتياً ثانياً فهو اليوم كاهية شيخ الإسلام ملازم للإفتاء والتدريس.

وختم صدر الشريعة بجامع الزيتونة وكتب حواشي على مباحث من الدرر، وتصدى لشرح منظومة المحبي في الفقه الحنفي شرحاً بديعاً يحوي تلك المسائل الفرعية على ما به عمل الديار التونسية بأنقال عين المسائل من أمهاتها وتأييدها بقواعدها الأصولية التي ابتنت عليها وربما أوضح مبنى الاختلاف بين مذهب المالكية والحنفية بحيث إنه يعدّ من مهمات كتب الفقه الحنفي.

ولما أطلعني على أجزائه قبل استيفائه كتبت عليه في تقريظه ما نصه: تبارك الذي أنشأ جنات معروشات، بأجمل العريش وأطلع في آفاق الصفحات خيلان الأحبوشات، وأفاض[2] عليها من الإبداع جناح المريش. أبدع آيات إحكام أحكامه وكل شيء عنده بمقدار، وأتقن ترتيب العالم في نظامه ولا يعلم أحد ما أودع في تلك الأسرار، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شا ومن لعقل القاصر بفهمه أن يصل إلى إدراك حقائق ما على حكمة الإبداع قد انتشا

---

(1) وهو بمكتبة الوالد بخطه وقد نقله شقيقي المرحوم أحمد المهدي النيفر.

(2) في الأصل: وأفضى.

فكم من خبايا في زوايا هذا النظام، تنشر أبدع الطي من مفاخره، وكم من غرائب تحار دونها الأفهام، لا تختص بأوله ولا بآخره، فمن خاض خضم هذا النظام وسبح في بحره الزاخر، رأى بعيني البصر والبصيرة مصداق كم ترك الأول للآخر، أفلم يأن للمتبصر أن يقلب طرف الاستبصار، ويجيل فكر الاعتبار، في شريعة سيد الأبرار، التي لم يزل تجدد الليل والنهار، يشيد منها أعز منار بأحكم الآثار، الدالة على صلوحيتها لكل جيل في جميع الأطوار، ولم يزل علماء الأمصار في جميع الأقطار يوضحون ما لم يهتد إليه غيرُهم من الأسرار، إلى هذه الأعصار، التي أطلعت آية غطت على الشمس في كبد النهار، ونثرت الدر المختار، بما عليه المدار، من فقه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، رضي الله عنه وأرضاه ما تجدد الملوان، ألا وهو شرح المنظومة العديمة النظير، الموشحة بأحسن التحبير، المنسوبة إلى العلامة المحبي المساة بعمدة الحكام ومرجع القضاة في الأحكام، ويا لها من مرجع بديع النظام، تفتخر به الأيّام، ويا لله ما أجلاه من خبياتها ذلك الشرح، الذي رفع به مؤلفه من قواعد الأصول والفروع أعظمَ صرح حرره ثنيان الفتيا، ومن له في العلوم العقلية والنقلية الرتبة العليا، الدراكة النحرير، ومعدن التدقيق والتحرير، والعمدة العلامة، والدراكة الفهامة الهمام الكريم، والمتقلد من وصف الكرم بما يدل على التعظيم، من خَيَّمَ الفضلُ في ساحاته فكان أكرم مخيم المفتي الشيخ أحمد كريّم، لا زالت مساعيه ناجحة، وموازين علومه بالصواب راجحه، وناهيك بما أودع فيه، والذي ملأ الكون من مفاخره يكفيه، فقد أتى في إبداعه بالسحر الحلال، والعذب الزلال من كشف خبيات تلك اللآل، التي كانت في زوايا الإهمال، وما جلس لها أحد لها في الخلال، حتى أجلاها على منصة الكمال، واضحة الأقفال مؤيدة من القواعد الأصولية بأمتن وجوه الاستدلال، التي لم تترك وجهاً للإشكال، مع الإنصاف الذي هو ملاك الأعمال وتحرير المعمول به من الأقوال ولما أوقفتني مودة هذا الشارح على غاية الآمال من هذا الشرح العزيز المثال، الذي رتع الفكر في مفصل رياضه وجال، وتوله بحميّا خندريسه فأنشأ وقال:

[الوافر]

أَبَحْرُ الفِقْهِ يقذف مثل[1] غرب ... بفيض الدر من شرق لغرب[2]
فأطهر بين أهل العلم كنزاً ... يفيد كفاية في كل إرْب
أَمِ التوضيح بان به منارٌ ... من الإرشاد بالإصباح ينبي
هدانا للهدى لأعزّ معنى[3] ... هو المغني على قرب المغب
بَلى إنّ الصباح لَهُ انبلاج ... بفجر ساطع من تحت حجب
وما هُو غَير شرح فاق كشفاً ... يزيل الحُجْب عن (نظم المحبي)
به صدر الشريعة زان روضاً ... يطيب بعرفه لين المَهَب
فَسَادَ به كمالٌ تونسي ... أَسَالَ النفع من سلسال عذب
فعاد له الثنا عوداً ينادي ... بأن العود أحمد وهو حسبي
همام توج الفتيا بعلم ... به الفتيا تروح له كصب[4]
وأطلع من مطالعه عزيز الـ ... ـفتاوى نيّرات مثل شهب
وأجرى من منابعها سيوباً ... تُرَوِّي النفس من رقراق شرب
وأجلى من محاسنه عَرُوساً ... موشحةً سمت عن كل تِرب
وأظهر من صنائعه جميلاً ... فهذا الشرح طب المستطب
به درر المحب تزيد حسناً[5] ... نحور المعتلي منها بقرب
فتحظى حاليات من سناها ... وكانت قبل لم توسم بثقب
ويا لله ما كَشَفَ الحجا من ... خبيات المعاني كشف ذرب
فأضحى من أصول الفرع ما[6] ... به كشف المعمى دون ريب
وأيدها بأنقالٍ وفِقْهٍ ... أدلته نبت عن كل عطب

---

(1) في الأصل: ظل.
(2) في الأصل: إلى الغرب.
(3) في الأصل جاء هذا الصدر هكذا: هدى إلى الهدى لا عن معنى.
(4) جاء في الأصل: به ألفيته إلف صبّ.
(5) في الأصل: به درر المحبي تقتدي في.
(6) في الأصل: فأضحى من أصول فروعها ما.

وَرُبَّتَمَا توسّع في بساط ... توسُّعَ سابرٍ أغْوار كُتْب
يريك مداركاً لمذاهبٍ قدْ ... أماط عنها اليوم[1] كل حجب
وتعليلاً به يشفي غليلاً ... ويسقي ظامياً أكواب عذب
هو الشرح الذي في شرخ عمري ... رأيت الكشف منه فقلت حسبي
به قد فاخر النعمان جهراً ... وأشهر صاحباه صقيل عضب[2]
ومن كرم كريم القوم أسدى ... به بيض الأيادي دون غب
أدام به المهيمن سيب نفع ... يجود به لإرواء المحب

وولي[3] مشيخة الإسلام بعد وفاة من قبله وتوفي في المحرم سنة 1315. وتقدم عوضه الشيخ محمد بن مصطفى بيرم شيخ الإسلام البيرمي الخامس.

- 35 -

الشيخ حسن بن الخوجة[4]

هو الشيخ أبو محمد حسن بن أحمد بن حمودة بن محمد بن علي خوجة المفتي ابن المفتي وأخو شيخ الإسلام وعم شيخ الإسلام فهو رابع آل بيته الكرام في الخطة الشرعية. ولد عام 1209 تسعة ومائتين وألف وقرأ على والده الشيخ أحمد بن الخوجة شيئاً من المبادي وختم عليه الأشباه والنظائر، وقرأ على أخيه الشيخ محمد بن الخوجة كثيراً من المبادي وشرح الدرر، وقرأ على الشيخ محمد بيرم الثالث صدر الشريعة والدرر، وقرأ على الشيخ أحمد الأبّي الفاكهي والأشموني، وقرأ على الشيخ محمد الستاري علم الكلام بمسجد العبيدي.

وتصدى للإقراء غير أنه مع ذلك اشتغل أولاً بصناعة الشاشية وهي التي

(1) اليوم ساقطة من الأصل.
(2) في الأصل: غصب.
(3) كتب المؤلف ترجمة الشيخ كريّم قبل ولايته للفتيا ووفاته، ثم لما تولى مشيخة الإسلام وأدركته الوفاة أضاف ذلك بخطه على نسخته المطبوع عنها.
(4) لم يترجم له في الإتحاف مع أنه ترجم لبعض من توفي سنة (ـ 1289 هـ) وهي سنة وفاة الشيخ حسن بن الخوجة وإنما لم يترجم له لأنه توفي أواخر السنة المذكورة، وهو قد أنهى تأليف جزء التراجم في هذه السنة وقد بلغ من الكبر عتيا.

عاقته عن كثرة الإقراء ، وقد ولي خطة التدريس في الرتبة الأولى بجامع الزيتونة ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي فأقرأ بالجامع، ومع ذلك لم يزل مشتغلاً بصناعته إلى أن ولي خطة القضـاء في المحرم سنة 1279 تسع وسبعين وقضى نحو الست سنين وتقدم لخطة الفتيا فأولاه المشير محمد الصادق باي مفتياً خامساً تاسع شعبان الأكرم سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف، ولما توفي الشيخ مصطفى بيرم صار مفتياً رابعاً وباشر الخطة فأفاد المستفتين وكان فقيهاً لين العريكة حسن الأخلاق عارفاً بتاريخ البلاد حسن المداعبة.

وقد بلغ من العمر نحو الثمانين سنة وتوفي ثالث ذي الحجة الحرام سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين وألف عليه رحمة الله.

- 36 -

الشيخ محمد البارودي

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن إبراهيم البارودي، ولد ثاني ربيعي سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين وألف، ونشأ بين يدي والده فجود عليه القرآن العظيم، وقرأ عليه كتب المبادي وقرأ على الشيخ محمد بيرم الثالث، والشيخ محمد بيرم الرابع والشيخ محمد بن الخوجة والشيخ محمد معاوية والشيخ محمد بن عاشور، والشيخ محمد النيفر وغيرهم من علماء جامع الزيتونة.

وتقدم لخطة التدريس في الرتبة الثانية عند وضع الترتيب الأحمدي في 12 ربيع سنة 65 خمس وستين فتصدىٰ للإقراء بطريقة بديعة، وتقدم لـلإمامـة والتدريس بالجامع الباشي عند وفاة والده وأقام به الخمس على عهد خطبة الشيخ محمد معاوية ثم الشيخ عثمان البارودي ثم ابنه الأكبر الشيخ محمد البارودي ثم أخوه الشيخ مَحمد[1] وبوفاته تنقل[2] لإمامة باردو وولي[3] خطبة

(1) وقع شكله في الأصل بفتح الميم.
(2) في الأصل: تنقلوا.
(3) في الأصل: ولي ولا يستقيم على ذلك الكلام.

الجامع الباشي الشيخ حمودة بيرم وإمامة الخمس الشيخ الشاذلي بن القاضي ثم ضمت له الخطبة، وحيث إن إمامة الخمس هنالك الرواية أقرأ صاحب الترجمة فيه صحيح البخاري وختم فيه في شهر رمضان الأختام المحررة البديعة على العادة وتقدم لخطبة جامع باردو وإمامة السراية ثانياً لعمه، ثم لما توفي عمه الشيخ عثمان البارودي في رمضان سنة 84 أربع وثمانين[1] صار إماماً أول فيهما، ولازم القيام بخطبة باردو عدة سنين، وولي ثَانِيهُ فيهما يومئذ ابن عمه الشيخ محمد بن عثمان البارودي، وتقدم للرتبة الأولى في التدريس بجامع الزيتونة ولازم التدريس به وتقدم لمشيخة المدرسة الجديدة ودرّس بها الفقه الحنفي كثيراً.

ولما انتصبت المجالس القانونية انتخب لها وباشر خدمتها مدة ترتيبها، ثم لازم التدريس وتزوج بابنة عمه وأقام لعرسه وليمة باذخة دعا لها دعوة الجفلى، وأظهر من نفائس الأطعمة والملابس ما اضطره إلى التداين بما لم يقدر على قضائه ولما اشتد عليه الطلب أنفت نفسه من البقاء على مطالبة الغرماء فلازم داره أكثر من عامين.

وفي شهر رمضان المعظم سنة 1280 ثمانين أرسل له المشير الثالث محمد الصادق باشا باي بالخروج لعمل ختم البخاري بجامع الباشا على العادة المألوفة فخرج وحضر لختمه المذكور الأمير وسائر العلماء وسَرَّ الناسَ خروجُه، وعند ذلك مدح الأمير بقصيدة طرزها بقوله سيدنا ومولانا الملك الشهير، محمد الصادق باشا المشير[2] وهي التي يقول في مطلعها:

[الكامل]

سَعِدَتْ ببدر مشيرنا[3] الأرواح مُذْ لاح بارق نوره الوضاح

ثم إنه أعمل وجوهاً من الصلح مع غرمائه وأعاد الكرّة إلى دروسه فلازم

---

(1) جاء في الأصل أربع وتسعين ثم صوب بما أثبت وهو الصحيح.

(2) الظاهر أنه يقصد بقوله المعنى لا ما نظمه الشيخ المذكور.

(3) في الأصل: بشيرنا.

التدريس سائر يومه، وكنت في ذلك الوقت نحضر غالب دروسه بحيث إنه يحضر بجامع الزيتونة قبل الزوال بأربع ساعات فيقرىء أربعة دروس وعند الزوال يخرج لصلاة الظهر بالجامع الباشي، وبعد الزوال يقري درس الفقه بالمدرسة الجديدة ثم يصلي العصر بالجامع الباشي ويجلس للتجويد ساعة ثم يقري به درسين تدركه في ثانيهما صلاة المغرب غالباً، هكذا ديدنه في كل يوم وفي ذلك العهد قرأت عليه شرح الشيخ خالد على الآجرومية مرتين وقطعة من الأزهرية والقطر، وقطعة من الشذور والمكودي على الألفية، ودروساً من الأشموني، وجودت عليه القرآن العظيم برواية حفص وختمت عليه شرح القاضي على الجَزرية والدمنهوري على السمرقندية ونبذة من الملوي عليها والجربي على إيساغوجي، وختمت عليه الباجوري على الجوهرة وقطعة من لامية الأفعال وقطعة من الباجوري على البردة ونبذة من أول الشفا بشرح الشهاب ومواضع متفرقة من صحيح البخاري بعضها دراية وبعضها رواية فقط، ومع ذلك حصلت بمراجعته ومجالسته ما نرجو من الله أن يجازيَه عني به أحسن الجزاء. وكانت طريقته في التدريس أحسن طريقة لنفع الطالبين حيث إنه يلم بالمسألة أولاً ثم يعيد ما قرره بمطابقته على عبارة المؤلف مع غاية الإيضاح والبيان وعود الضمائر إيضاحاً لما يتوهم معه تخلف أحد الحاضرين عن الفهم، وهذه هي طريقته مع المبتدىء والمنتهي. وتقدم لإمامة السراية وخطبة جامع باردو وخطب من إنشائه خطباً كثيرة مع ما له من حسن الترتيل وجَهْوَرِيَّةِ الصوت وفصاحة اللسان، وتقدم لمشيخة زاوية القادرية بعد وفاة عمه أبي النور في شهر رمضان عام 84 أربعة وثمانين ومائتين وألف.

ولم يزل على طريقته في ملازمة التدريس والقيام بجميع خططه إلى أن تقدم لخطة القضاء تاسع شعبان الأكرم سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف، فوجه همته للقيام بحقوق الله وحقوق العباد وأعمل يعملات جده، وتحرّى لدينه، ولازم دار الشريعة للحكم بحيث لا يكاد يتأخر في وقت الحكم، واعتمد مراجعة من قبله ومع ما هو عليه من الفقه والدين ، وكتب في ختمه بيتين وهما قوله:

[مجزوء الرجز]

يـا رب لـطـفـاً فـي قضـا راجـي الـرضـا والـجـود
أرشـد إلـى شـرع الهـدى مـحـمَّـد الـبـارودي

عرضت لي في مدة تصرفه نوازل مع خاصّةِ الدولة فقام فيها لله وأيده الله، والحاصل أنه قضى خمس سنين لم يُذكر فيها بسوء وعد بذلك من صالح سلف القضاة. ثم إنه طلب الإقالة وتشدّد في طلب الخروج واعتذر بأعذار كثيرة وكتب في شأن ذلك للأمير وبعد مراجعات لم تطب نفسه إلا بالخروج على كره من الأمير فقدمه مفتياً رابعاً رابع جمادى الأولى سنة 1290 تسعين ومائتين وألف، وظهر عليه من السرور والفرح بسلامة خروجه من القضاء ما يشهد لفضله وعند ذلك عاد إلى دروسه بجامع الزيتونة ولازم التدريس على طريقته الأولى مع الاقتصار على الفتوى وملازمة تدريس صحيح البخاري الذي لم يترك قط روايته أو درايته حتى كان مستحضراً لجميع أحاديثه استحضاراً لم يشاركه فيه أحد كاد به أن يكون حافظه وكان عالماً عاملاً عالي الهمة محباً لأعلى الأمور عفيفاً ديناً لم يترك غرماءه بعد المصالحة معهم فيما قدر عليه من المال بل كان يرسل إلى كل واحد منهم ما يحضره إلى أن قضى أصل دينه ديانة منه ولم يسمح بمعاوضات الأوقاف إلا بعد التحري. وكان حسن الأخلاق جميل المعاملة حبيباً صلباً في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، نظيف العرض، ينظم الشعر كثيراً محافظاً على مروءته، وكان حسنَ القامة جميل الصورة خصب البدن غلب عليه الدم فظهرت على عاتقه طالعة لازمته إلى أن أدركته المنية فتوفي قبل الزوال بساعتين وثلث من صبيحة يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة الحرام سنة 1293 ثلاث وتسعين ومائتين وألف عليه رحمة الله، وقد رثيته بقولي:

[الكامل]

قد راعَ ركنَ الدين رجفُ رعودِ بـأجـلِّ خـطـب فـادح مـوعـودِ
فارتجّتِ الـدنيـا لهـولـة رَجْفِـه وتسـربلت ثـوبَ اللَّيَـالِي السـود
فكـأنمـا الأعـلامُ من أحـلامنـا دُكَّتْ بصَعْقِـةِ رَجْفِـهِ المشهـود

فالناس في لهف ومحض تأسّف ... بجريح[1] قلب مدنف مجهود
والكل صار منوهاً بتأوه ... يذكي أجيج قلوبهم بوقود
وعيونهم تهمي بساكب ديمة ... لولا الدما دعت الظماء لورود[2]
فالرأي غيض وكل قلب مرمض ... والعين فائضة بغير حدود
وكبود أهل الحزم رضّت وارتضت ... بيع الحياة بغير ما منقود
هيهات أن يبقى بهم من مترع ... للصبر أو من مهيع محمود
فالصبر تَجْتَثُّ الرزايا أصلَه ... وتحيلُه جَزَعاً ممرّ أبود
وإذا المصيبة عمّتِ الألبابَ لم ... يبق الذي يسليهم بردود
وهناك تضطرب الأمور وتلتقي ... كل الورى في حيرة وصدود
كلٌّ معزّى لا معزّي بينهم ... يتناوبون نوائب المفقود
ركْنِ الشريعة وابنه وابن ابْنه ... فخرِ العلوم (محمد البارودي)
العالمِ العلمِ الذي عمّ الورى ... نفعاً وقَلَّدَهُمْ أعز عقود
بَحْرٍ ولكن فيه وِردٌ سائغ ... عذبٌ يجود بلؤلؤ منضود
فالناس طرّاً يوفضون لدرسه ... كحمائم حامت على المورود
فهو الإمام وخير من قد أمنا ... في كل فضل ليس بالمجحود
من أمه يلق العلوم تَجَسَّدَتْ ... وغدت تضم له بخير جلود
من أمه يلق التقى في جثة ... ملتفة منه بفضل برود
من أمّه يلق البلاغة ركبت ... في صوغه السامي أعز نقود
من أمّه يلق الرياض تزخرفت ... بحديث خير الخلق دون جحود
ذا معدن الترتيل والتأويل في ... تنزيل آي الواحد المعبود
درّاكةُ المعقول والمنقول ذو ... رأي سديد بالذكاء وقود
(كشاف) (أسرار البلاغة) حبرها ... (مفتاح) قفل المشكل المعقود
(مغني اللبيب) و(قطب) دائرة (الطوا ... لع) فهو سعدُ الطالع المسعود

---

(1) في الأصل: يحريح.
(2) في الأصْل: لولا الدما دعت الظلما لورود.

(جمع الجوامع) صدره الرحب الذي ... ما ضاق يوماً من فعال حسود
مع أنه (التوضيح) طوع لسانه ... ببيانه المنثور والمنضود
قد كان (صَدْراً للشريعة) حاملاً ... في مذهب (النعمان) خيرَ بنود
قد كان بحراً زاخراً بمعارف ... وعوارفٍ تجري بغير جمود
قد كان كنزاً لا يسام على المدى ... بالنفس كلا لا ولا بنقود[1]
قد كان طوداً[2] لا ينهنهه الخنا ... يأوي المصاب بظله الممدود
قد كان ذا ورع وفقه محكم ... في الدين لا يرضى سوى المحدود
فقضى وأفتى مدة ما سيم في ... أثنائها بسوى ثنا محمود
حاز الأمانة والصيانة والديا ... نة والمكانة في رضى المعبود
حاز المروءة والعفاف وبات من ... نعمائه يلتف خير برود
حاز اكتمال الخلق والخلق الرضي ... بأثيل مجد عن كرام جدود
فإليه كم وفدت أهالي تونس ... والكل عنده ليس بالمردود
يلقاهم بسماحة وطلاقة ... تبدي الأناة كَقَسْوَةِ الجلمود[3]
كم سخر الشَّرِسَ الشَّمُوسَ بما به ... قد قاد للإنصاف كل شرود
واهاً له من طود علمٍ شاهق ... حملته أيدي الناس فوق العود
واهاً له من بحر علم زاخر ... قد عاد مثل الصارم المغمود
واهاً له من روض علم رائع ... قد راعنا بغراسه المحصود
حصدته شاخصة الليالي واجتلتْ ... أسف الورى في يومه المشهود
ماذا عسى يبقى تجلدهم إذاً ... يا عينُ من در المدامع جودي
فبذا تعلمت العيونُ البذلَ من ... نثر وشغل الرأي نظم عقود
ما لليراع تروعه نُوَبُ الردى ... ويروم حصر كماله الممدود
تالله ما يسلي النهى عن فقده ... غيرُ انجلاء في جنان خلود
يا ربِّ أنت منحته فخرَ العلا ... فامنحه من رضوانك المحمود

(1) جاء هذا العجز في الأصل هكذا: بالنقص كلا لا ولا بنفود.
(2) في الأصل: صودا.
(3) في الأصل: قسوة الجلمود.

يـا رب أمِّن خـوفَـه وابسط لـه ... نعم المنى في يـومك المـوعـود
يـا رب ظـلله بـظلٍّ وارف ... بجـوار أحمـدَ أكـرمِ الموجـود
يا رب يَمَّنْ خَفْضَ عيشه واسقه ... من ورد حوض المصطفى المورود
يا رب في الفردوس أكْرِمْ نزلـه ... وارفـع مكـانَـه في مقـر سعـود
يـا رب حقق فيـه قـول مؤرخ ... (سعـد بقـاع محمـد البـارودي)

- 37 -

الشيخ حسونة عباس

هو شيخنا أبو محمد حسـن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد عباس ولد في الحادي والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة 39 تسع وثلاثين ومائتين وألف، ونشأ في طلب العلم بعد أن قرأ القرآن وجوّده برواية حفص على الشيخ حسين البارودي، وقرأ عليه صدر الشريعة الفقهي، وقرأ على الشيخ محمد الأبي شرح الشيخ خالد على الآجرومية والأزهرية والقطر، وقرأ الكتب المذكورة على الشيخ حسن فرشيش، وقرأ على الشيخ عمر القسنطيني القطر، وقرأ على الشيخ محمد القبايلي شرح الخزرجية، وقرأ على والده الشيخ محمد عباس شرح الشيخ خالد والشذور والفاكهي والمكودي والأشموني والسمرقندية والسلم ورسالة آداب البحث والخبيصي ومختصر السعد وقطعة من تفسير القاضي البيضاوي إلى أثناء النساء وقرأ على الشيخ محمد بن عاشور الآجرومية والأزهرية والقطر والمقدمة والمكودي وقطعة من الخبيصي وقطعة من المحلى والبردة، وقرأ على الشيخ محمد النيفر الشذور والفاكهي وقطعة من السعد وقطعة من المطول وقطعة من البخاري، وقرأ على الشيخ محمد معاوية قطعة من الأشموني والدرر والتوضيح على صدر الشريعة، وقرأ على الشيخ محمد بن الخوجة المكودي على الألفية والدرر من البيوع إلى آخره.

وتصدى للإقراء واشتغل بصناعة الشاشية مدة ثم عاد إلى الإقراء فولي الإمامة بجامع القصبة والتدريس في الرتبة الثانية عند وفاة والده، ثم في جمادى

الثانية سنة 1274 أربع وسبعين تقدم للرتبة الأولى من خطة التدريس، وفي ثالث جمادى الأولى سنة 1290 تسعين قدمه المشير الثالث مفتياً خامساً ولم يزل مجداً في التدريس وقد انتفع عليه كثيرون مع ماله من حسن المواظبة والاعتناء بالدروس وتحريرها وحسن السكينة والخيرية والفقه، وقد قرأت عليه نبذة من الفاكهي وشرح الباجوري على السمرقندية ونبذة من شرح الباجوري على البردة، وهو عالم فاضل جليل خيّر حسن المعاملة والأخلاق مواظب على تدريس مهمات الكتب قائم بحقوق خططه في الإفتاء والتدريس والخطبة وختم بجامع القصبة أختاماً مهمة حضر الأمير بعضها وله كرم نفس وتواضع وتباعد عن التصنعات مع الإنصاف في العلم.

ولما توفي الشيخ محمد البارودي صار مفتياً رابعاً، ولما توفي الشيخ محمد معاوية صار مفتياً ثالثاً وهو اليوم المفتي الثالث الحنفي في المجلس الشرعي أدام الله رفعته وحمى من طوراق السوء بقعته.

القِسمُ الثالِث

في التعريف بالمفاتيح المالكيّة

القسم الثالث[1]

في التعريف بالمفاتي المالكية

اعلم أن مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه قد انتشر في إفريقيّة انتشاراً كلياً من مبدإ ظهوره وحسبك أن القيروان قد ضمت فحولاً من أصحاب الإمام مالك، ولم يزل العلماء يروون دواوين المذهب المالكي عن حفاظه خلفاً عن سلف منذ ذلك العهد وزاد المذهب انتشاراً حتى عم البوادي

---

(1) انتشر المذهب المالكي في إفريقيّة على أيدي فحول تلقوا عن مالك إما من تونس، وإما من القيروان فأما رجال تونس فأولهم هو علي بن زياد التونسي (ـ 183 هـ) فهو الذي عرّف الناس مذهب مالك، ونشره ودعاهم إلى الذهاب إليه والتلقي عنه مثل أسد بن الفرات، وسحنون وإن كان لم يدرك مالكاً إلا أنه أخذ عن تلميذه الملازم له وهو عبد الرحمن بن القاسم الذي أخذ عنه سحنون المدونة وبواسطتها عرف الناس مذهب مالك.

وجاء في طبقات علماء إفريقية أن علي بن زياد سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وشجرة بن عيسى وأسد بن الفرات.

وقال أبو العرب: ولم يكن سحنون يُقدِّم عليه ـ أي علي بن زياد ـ أحداً من أهل إفريقية. انظر (ذكر علماء تونس لأبي العرب من طبقات علماء إفريقية ص 212).

وهناك آخرون من مدينة تونس، ومنهم مسعود بن أشرس من طبقة علي بن زياد، وعباس بن الوليد قتل (ـ 218 هـ).

وأما من روى عن مالك من أهل القيروان فمنهم عبدالله بن فرّوخ (ـ 176 هـ) ولم يكن من درجة علي بن زياد ورمي بالإرجاء ـ وهو مذهب طائفة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل كأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل أي أخّروه لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا نجّاهم إيمانهم ـ (تاج العروس ج 1 ص 242) ط الكويت.

ومثل ذلك في الملل والنحل للشهرستاني في ترجمته لليونسية أصحاب يونس النميري فعندهم لا تضر المعصية.

ومنهم البهلول بن راشد الذي كان يعتمد على علي بن زياد وتوفي سنة(183 هـ).

من أواسط المائة الخامسة[1] حين أرسل القائم العباسي إلى المعز بن باديس بتقليد الإمارة على إفريقية وظهرت عند ذلك أمور كثيرة منها محو شعائر الشيعة وتعطيل مذهبهم وإظهار مذهب أهل السنة والاقتصار على مذهب الإمام مالك في سائر جهات المملكة، وكان ذلك في حدود عام 488 ثمانية وثمانين وأربعمائة وبذلك عم انتشار المذهب وظهر بإفريقية وتونس فحول ملأت تراجمهم دواوين التواريخ فأصبحت تونس محطّاً لرحال العلماء وأرباب الفتيا بمذهب الإمام مالك.

وكانت وظيفة الفتيا في ذلك العهد خاصة ببعض الجوامع، وأعظمهم مفتي جامع الزيتونة أدام الله عمرانه وهنالك فتيا جامع التوفيق في عشية الجمعة خاصة وقد تقدم الإلمام بالمفتين في تلك العصور في مقدمة أيمة جامع الزيتونة ثم انفصلت الفتيا عن الجوامع في آخر المائة الثامنة.

ـ 1، 2 ـ

وممّن أفتى بتونس في ذلك العهد **الشيخ محمد السكوني والشيخ يوسف الأندلسي**[2].

ثم لما استقرت المملكة في تصريف الدولة العثمانية وأخذ فيها أمراؤها

---

(1) لم يكن في أواسط المائة الخامسة انتشار المذهب المالكي بصورة عامة بل عمّ من أواخر القرن الثاني حين انتشر العلماء الذين هم فقهاء المذهب المالكي ثم أن خلع طاعة العبيديين من قبل المعز بن باديس، وبيعة العباسيين. كان ذلك سنة 441 هـ وأمّا ما كان في المائة الخامسة فهو توطيد المذهب المالكي، والقضاء على مناوئيه.

وكان انقطاع التبعية لخلفاء الرافضة كان في سنة (440) على عهد المستنصر من خلفاء العبيديين. ابن خلدون (ج6 ص 325) ط بيروت.

لا كما هنا أن ذلك سنة (488).

(2) السكوني ذكر ابن عرفة أن جنازته كانت يوم جنازة ابن الحُباب، وابن الحباب توفي سنة (ـ 749 هـ).

وأما يوسف الأندلسي فهو من رجال القرن التاسع حضر على وفاة الشيخ ابن عروس، وكلاهما لا يصح أنه المراد بهما ما ذكره المؤلف ها هنا من أنهما انفصلا بالفتوى بعد أن كانت متصلة بإمامة الجوامع.

قرارها[1] وتداركو حال العلماء فيها أقاموا بها مجلساً شرعياً وذلك هو مبدأ العهد بالمجلس الشرعي في تونس فأقاموا أربعة مفاتٍ[2] من المالكيّة لا غير بحيث إذا مات أحد منهم عوضوا منه غيره من خاصة العلماء المالكية الموجودين أهل الدين والعفاف لمشورة نائب القاضوية المالكي ومراجعة أرباب الخصوم.

ـ 3، 4، 5، 6 ـ

وقد ولي خطة الفتيا بمذهب مالك في ذلك العهد العالم الصالح **الشيخ سالم النفاتي**[3] مؤسس مجد بيتهم الرفيع ولازم الخطة إلى وفاته، ووليها العالم الصالح **الشيخ محمد قشور، والشيخ عبد الكافي ، والشيخ قاسم عظوم القيرواني**[4] وكان عالماً بفقه مذهب مالك وأبي حنيفة وإليه المرجع فيهما وألف البرنامج الفقهي، وهو من عمد كتب الفتاوي في مذهب مالك.

وكان ذا عيال وأولاد ومع ذلك هو قانع من دنياه بقُوته وقوتهم بحيث إنه تعاطى التوثيق لما ولي خطة العدالة بتونس ولا يجلس للإشهاد إلا بمقدار ما يحصل على قوتهم.

وسبب ولايته الفتيا هو أن عثمان داي طلب منه أن يشهد له في نازلة على غير الوجه الشرعي فامتنع ولما استدعاه الداي لذلك لم يتهيب أن وعظه بما رجع به عن طليبته صهره، ولما رأى مكانته في الدين أولاه الفُتْيا في ذلك المجلس وكان ذلك في العشر الأُوَل من المائة الحادية عشرة فلازم الإفتاء إلى أن توفي عليه رحمة الله.

ـ 7 ـ

ووليها أيضاً **الشيخ أبو يحيى الرصاع الأنصاري** مدة إلى أن ارتقى إلى إمامة جامع الزيتونة سنة 1017 سبع عشرة وألف.

---

(1) سقط بعض هذه الكلمة من الأصل.

(2) في الأصل: مفاتي.

(3) شجرة النور الزكية ج 1 ص 292 وله أجوبة في فتاوي عظوم وسيأتي في القسم الرابع.

(4) انظر ترجمته المبسوطة في النشرة العلمية للكليّة الزيتونية السنة الأولى ـ العدد الأول سنة 1391 ـ 1971.

ـ 8 ـ

ووليها **الشيخ قاسم بن أبي الفضل البرشكي** فكان مفتي تونس في حدود السبع والثلاثين بعد الألف 1037.

ـ 9 ـ

ووليها **الشيخ الشريف إبراهيم الفلاّري** وكان متفنناً جميل الخط فلازم الإفتاء إلى أن توفي يوم الأربعاء السّابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1039 تسع وثلاثين وألف ودفن بالمقبرة الكائنة أمام زاوية الشيخ محرز بن خلف التي بنى عليها محمد باي المرادي جامعه بعد أن سقفها فهي تحت الجامع من الجانب القبلي الشرقي.

ـ 10 ـ

ووليها **الشيخ أبو الحسن بن سالم النفاتي**[1] وهو الذي أتى بخط شريف من دار الخلافة العثمانية في تنفيذ كلّ حكم من المفتي والقاضي من غير أن يسأل أحد منهما عن نص المسألة بعد أن كانت العادة في البلاد أن الخصم يسأل كل عالم ويطلعه على المسألة وله أن يعارض بها القاضي أو المفتي في مجلس حكمه وبذلك حصل للشيخ أبي الحسن المذكور صيت عظيم في الخطة الشرعية إلى أن توفي في طريق الحج سنة 1049 تسع وأربعين وألف.

ـ 11 ـ

ووليها أخوه **الشيخ علي النفاتي**، وعزل، وأعيد فلازم الإفتاء إلى أن توفي سنة 1060[2] ستين وألف، وفي خلال تلك العزلات ولي الفُتيا العلامة الإمام الموثق الشخ عبدالله ناجي، ولم أجد لهذا المفتي ذكراً إلا في رُسوم أحباس صاحب

---

(1) شجرة النور ج 1 ص 305 وسيأتي حديث عنه في القسم الرابع أثناء ترجمة أبيه إبراهيم النفاتي.
(2) في شجرة النور توفي سنة أربع وثمانين وألف (ـ 1084 هـ).

الخيرات محمد باي المرادي حيث كانت أغلب أملاكه في ذلك الوقت بشهادة الشيخ المفتي المذكور ومنها رسم شراية الفندق الذي اشتراه بالعزافين من تونس بتاريخ ذي القعدة سنة خمس وخمسين وألف بشهادة المفتي المذكور والشيخ محمد السخاوي ثم جعله مارستاناً وأوقف عليه نحو الثلاثين قطعة بين ربع وعقار واختصه لمداواة المرضى وإطعامهم وكسوتهم وفرشهم ودفن موتاهم في أواسط ربيع الأول سنة 1073 ثلاث وسبعين وألف بشهادة المفتي المذكور والشيخ محمد المحرزي ولم نقف له على تاريخ ولاية ولا تاريخ وفاة ثم إن أمراء بني مراد زادوا مفتياً ثانياً بمذهب مالك وجرى العمل بالمفتيين سنين متطاولة إلى دولة الأمير علي باي الحُسيني فزاد مفتياً ثالثاً ثم إن الأمير مصطفى باشا زاد مفتياً رابعاً ولم يزل عددهم في ازدياد إلى أن بلغ عدد المفاتي بالمذهب المالكي إلى ثمانية من الشيوخ كلهم يحضرون المجلس للتوافق على المعتمد في المذهب أو ما به العمل في النازلة والقاضي يقضي بما يقع عليه الاتفاق أو الأغلبية. أما سائر أيام الأسبوع فالآن يحضر مع القاضي في كل يوم واحد من المفاتي للمراجعة. نسأل الله أن يديم عز شريعة الإسلام، بجاه النبيء عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

وها نحن نذكر تراجم من ولي هاته الخطة الشرعية بعد النفاتيين على شرطنا السابق فنقول وبالله نستعين.

- 12 -

الشيخ أبو الفضل المسراتي[1]

هو الشيخ أبو الفضل حفيد خطيب جامع الزيونة وإمامه الشيخ أحمد بن عمر المسراتي القروي من بيت علم رفيع، أزرت مفاخره بأزهار الربيع، أسس مجدَهُ فحلان توارثا إمامة جامع الزيتونة فخطبا على منبره خطباً نَثَرت على الأسماع بدائعَ الجواهر المصونة وهما محمد وأحمد أبناء عمر جده الأعلى الوراد إلى الحاضر من مدينة القيروان فزانا أواسط المائة التاسعة بين جهابذتها الأعيان.

(1) ترجمته في ذيل بشائر أهل الإيمان (ص 186) وفي شجرة النور (ج 1 ص 306).

وقد اختص جده أبو العباس صاحب الفضل المحسوس، بالتقدم للصلاة على جنازة الغوث أحمد بن عروس رضي الله عَنْ جميعهم.

وقد ولد صاحب الترجمة بتونس وأخذ العلم عن فحول جامع الزيتونة وأعظمهم اختصاصاً به الشيخ أبو يحيى الرصاع وبذل الجهد في تحصيل العلم إلى أن بلغ فيه إلى درجة عالية فكان مرجعاً في فقه مذهبَيْ مالك وأبي حنيفة رضي الله عنهما يُسْأل عن المسألة من كلا المذهبين فيقول: إنها في الورقة الفلانية من الكتاب الفُلاني.

وتقدم لخطة الإفتاء بمذهب مالك فأفتى مدة ثم تأخر عن الخطة إلى أن ولي الداي أسطا مراد بتونس في الثالث والعشرين من رجب سنة 1047 سبع وأربعين وألف فأعاده إلى خطة الإفتاء بعد أن عزل الأخوين النفاتيين من الفتيا ونيابة القضاء وأولى في نيابة القضاء يومئذ الشيخ أحمد الرصاع. ثم إن الشيخ علي النَّفَّاتي خرج لحجّ بيت الله الحرام وقصد دار الخلافة العثمانية وأتى منها بخط شريف في ولايته خطة الإفتاء وعزل أبي الفضل المسراتي، ولما توفي الشيخ المذكور سنة ستين بعد الألف استعيد صاحب الترجمة إلى الخطة بعد ست سنين فكانت ولايته فيها متكررة وعودة الأخير إليها سنة سبع وستين وألف.

وقد خرج في بعض المرات من عزله إلى حج بيت الله الحرام، وسئل بمصر عن مسألة حار لها علماء المذهب فاستلقى على قفاه وأملى فيها رسالة كتبت من إملائه ولما استقر في آخر أمره على الفتيا تقدم لمشيخة المدرسة العُنقية فأفاد بها وصاهر بابنته الشيخ أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا[1] وكان طويل القامة أشيب ضعيف البصر.

وأدركته المنية سنة 1085 خمس وثمانين وألف عليه رحمة الله.

---

(1) ترجمته في ذيل البشائر (ص 187) وفي الحلل السندسية (ج 2 ص 486) وفي شجرة النور (ج 1 ص 306).

- 13 -

الشيخ محمد فتاتة[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم فتاتة ولد بتونس ونشأ بين يدي أعلامها فقرأ على الشيخ محمد تاج العارفين والشيخ محمد بَراو والشيخ أبي الفضل المسراتي.

وامتدت يده في يد عِلْمَي المعقول والمنقول، والفروع والأصول، فكان أعلم رجال عصره في التفسير والحديث والفقه مع تظلعه في المعقولات والآداب، وقد أقرأ بجامع الزيتونة مغني ابن هشام والمختصر الخليلي مراراً بغاية التحقيق والتدقيق المشار إليه فيهما ومع ذلك كان ذا ولع بالنوازل في مذهبي المالكية والحنفية حتى صار مرجعاً لعلماء المذهبين بالحاضرة وكتب في الفتاوي كتائب في غاية التحرير وكان آية الله في الذكاء والألمعية مع البراعة في التوثيق حيث باشر الإشهاد مع جليسِه الشيخ أحمد المحجوب.

ولما توفي شيخه المسراتي دعاه مراد باي بن حمودة باشا إلى خطة الإفتاء فكتب إليه قصيدة يستعطفه بها ويستقيل من الخطة وهي التي يقول في مطلعها:

[الكامل]

قسماً بنور جمال طلعتك التي ... تروي بشاشتها ظَمَا المُرْتَاد
ومهمامه الأمر الذي أُدعى له ... فيح تبيد رواحلي وجيادي

وكتب تحتها جائزتي إقالتي فجمع الأمير له الديوان وألح عليه حتى قال له إنك إن امتنعت بعد هذا كنت معرضاً عن هذا الجمع بأسره وعند ذلك قبل منه الخطة فكانت ولايته سنة 1085 خمس وثمانين وألف وانتفعت البلاد بعلومه وفتاويه.

وقد وقفتُ له على حكم بتاريخ سنة 1103 ثلاث بعد المائة والألف على

---

(1) ترجمته في ذيل البشائر (ص 189) وفي الحلل (ج 2 ص 684) وفي شجرة النور (ج 9 ص 320).

عهد الأمير محمد باي المرادي وكان القاضي يومئذ بتونس وعملها الشيخ محمد ولي الدين والمفتي الحنفي الشيخ عبد الكبير درغوث.

وقد أكمل شرح الشيخ الأخضري لنظمه درة الفرائض ومع رسوخ قدمه في علوم الدين كانت له يد طولى في العلوم الأدبية وبراعة في الكتابة والإنشاء لم يكن في عصره من يزاحمه فيها وألف تاريخاً يحتوي على نحو السبع كراريس في التعريف بعلماء زمانه.

ومن لطائف شعره ما كاتب به صديقين له أهديا له سمكاً صحبة مكتوب فقال:

[البسيط]

أهديتما سَمَكاً مثل اللجين فيا ... لله من سمك وافى به شَرِكُ
شفعتماه بمكتوبٍ حوى دُرَراً ... من در لفظكما فالدر مرتبك
لا شك أنكما بحران قد زخرا ... فمنكما يستفاد الدر والسمك

ومن ذلك قوله يصف روضاً أنشد فيه (مغنّي) يدعى الحمايمي:

[الطويل]

وروض حللناه كأنَّ نواره ... قلائد در في نحور النواعم
إذا ما شَدَتْ أطياره في غصونه ... ومالت سواقيه كبيض الصوارم
وجدت لذيذ الخمر في طعم مائه ... وشنّفت سمعاً من غِناء الحمَائم

ومن إنشائياته ما كتبه في تقريظ سمط اللآل في التعريف بالرجال تأليف الشيخ محمد قُويسم وهذا نصه:

إنّ أحسن كلام يفتتح به المقال، وأيمنَ ذكر يُصدَّرُ به كل أمر ذي بال، حمدُ الله الملك المتعال، وثناءُ ذي العزة والجلال، الذي أبدع الكائنات بقدرته الظاهرة، واخترع المصنوعات بحسب إرادته الباهرة، والصلاة والسلام على خاتمة الرسالة العامة، والنبوة التامة، محمد المبعوث بالآيات القاطعة المؤيد بالمعجزات الباهرة الساطعة، وعلى آله الأخيار ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد فقد وقفت على ما تيسر من هذا المجموع الغريب، والأنموذج المتأنق العجيب، جمع صاحبنا وأخينا في الله الفقيه الأفضل، والعلامة الزكي الأكمل، أبي عبدالله محمد ويعرف بقُويسم ضاعف الله لي وله الحسنات وغفر لي وله الخطايا والسيئات بمنه فألفيته روضاً ينَعَتْ ثِمَارهُ، وعبقت بأريج المسك أزهاره، فاشتمل على مباحث أثارت الأدلة الواضحة من أماكنها، فقَنصَت أوابد نقولها من غوامض مكانها، فأحسنْ به مجموعاً قد أشرقت معانيه، وعلت على الفلك أعلى مبانيه، فللَّه دَرُّ ناظم عقوده، وراقم بنوده، فلقد ضمّنه من منح المسائل، وقد أطلع من الدلائل، ما تقر به عُيون أولي الألْباب.

[السريع]

لله مجموع سما رتبة ... على السها والأنجم الزهرِ
حوى حلى أهل النهى والتقى ... والأدبِ البارع والفخرِ
كأنه في حسنه روضة ... حُفَّت بأنواع من الزهر
نظرت في آدابه نظرة ... فَامّحَتْ الأشجان عن صدري
وعاد لي أنسي الذي كان لي ... مصاحباً في سالف الدهر
هِمت وما نلت له غايةً ... وهل ينال الكوكب الدري؟
ما وقعت عيني على مثله ... قط وهذا غاية الأمر

ولما تأججت الفتنة بين الأخوين محمد وعلي المراديين وجالت يد محمد باي في البلاد اعتقل مفتيَي البلاد وهما الشيخ يوسف درغوث والشيخ محمد فتاتة بمحلته المنصوبة بالجبل الأخضر خارج البلد، وكان الشيخ فتاتة أحس بما أضمره الشقيُّ ففرَّ بِقطَع من الليل ودخل دار الشيخ سعيد الشريف القريبة من بَاب البلد فاختفى بها إلى أن سكنت الفتنة وأُصْدِر الإذن بتأمينه فخرج واستمر على خطته وامتُحن بقتل ولده حمودة العالم سنة 1109 تسع ومائة وألف فصبر لذلك.

وكان أبيض اللون ممتلىء الجسم مدوّر اللحية نظيف الشيب حسن الزِيِّ صاحب أناة في حركاته جميل المعاملة إلى أن مرض فتوفي سنة 1115 خمس عشرة ومائة وألف وكتبت على قبره قصيدة لطيفة وهي:

[الكامل]

أمحمد نورت بالحسناتِ رمْساً كبدر حلَّ في الهالاتِ
بلَّغْتَ نصحك في الأنام فكان غا يَتُها المماتَ بأشرف الحالات
قد لقبوك فُتَاتةً من أجل ما فَتَّتْ دروسك معجز الآيات
أبقيت عين الدّين باكيةً فلم تبرح وما فيه سوى أنَّاتِ
يا روحَه بشراكِ بالرُّحْمى فقد لاحت عَلَيكِ دلائلُ الخيرات
وكذاك يدعوك العفو كرامة أن أرخيه (وادخلي جناتي)

1115

- 14 -
الشيخ محمد العواني[1]

هو الشريف القروي الشيخ أبو عبدالله محمد العواني حفيد الصالح الشيخ علي بن حسن بن عبدالله بن محمد بن علي بن موسى بن يحيى بن أحمد بن عوانة المغربي النحوي ابن حمودة بن زيادة بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت العلم والشرف، المتحلي من مفاخر الصلاح بكل عز وترف، وكم لهذا البيت من فحول، ثبتت غراستهم في رياض المعقول والمنقول، وكم ظهر منه من رجال طلعوا في أفق الولاية، وظهروا في ديوان التصرف بأعظم آية، أولئك رجال الله الذين تفاخرت بهم العصور والأزمان، وتجملت بذكر كرامتهم ومفاخرهم تواريخ مدينة القيروان، فهو البيت الذي في المجد قديم، وحسبك أن أصله منبع الشريعة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وقد ولد صاحب الترجمة بالقيروان ونشأ بها في طلب العلم فأخذ عن جِلّة

(1) ترجمته في ذيل البشائر (ص 193) وفي الحلل (ج 2 ص 640) وفي الشجرة (ج 1 ص 319).

علمائها في ذلك العصر إلى أن حصل على علوم شتى، ثم رحل إلى مصر فاستكمل بها علومه ودخل إلى إسلامبول ونال حظوة عند صدر الدولة ابن الكبري مصطفى باشا، ثم آب إلى حاضرة تونس على عهد رمضان باي فأكرم نزله وأولاه خطة الإفتاء لما رأى له من المعرفة بالنوازل وكان طويل القامة كثيف اللحية متواضعاً فصيح اللّسان، ثابت الجنان، حاضر الجواب معظماً عند الخاصة والعامة.

ولما استولى مراد باي وأكثر من تعاطي الفواحش وسفك الدماء وهتك الحرمات بلغه إنكار الشخ عليه سوء صنيعه، مع أنه كان يجد منه في نفسه لمودته لعمه رمضان باي، فأحضره وسأله عن حكم ما يتعاطاه وبمجرد ما أفتاه بما أنزل الله في ذلك أمر بقتله فقال له إني أنصحك إذْ أنّ من قتل عالماً أيس من الحياة بعده فلم يغن عنه شيئاً بل قتله ظلماً وقطع من لَحمه وشواه وأكله بالخمر مع ندمائه أواسط شهر رمضان المعظم سنة 1110 عشر ومائة وألف ونقل أهله بقية جسده إلى القيروان فدفن بين أشراف بيتهم رضي الله عنهم أجمعين. أما مراد باي فقد دارت عليه الدوائر بعد ذلك وقتل شر قتلة والعياذ بالله وكان على يده زوال مُلْكهم فكان به انقراض دولة بني مُراد بعد أن قُتل جميع من بقي منهم وجمعت رؤوسهم ببطحاء القصبة والملك لله الواحد القهار.

- 15 -
الشيخ محمد بن موسى

وجدت في بعض تقاييد جدي القَريب أن الشيخ محمد بن موسى كان مباشراً خطة الإفتاء بتونس سنة 1116 ست عشرة ومائة وألف ثم رأيت صاحب الشهب المحرقة ذكر في مدرسي جامع الزيتونة على عَهْده ما نصه ومنهم الشيخ الإمام الفقيه الفاضل الواعظ المدعو عبد الكبير الشهير بابن موسى تولى ذلك عن أبيه القاضي المفتي المدرس الحاج الأبر أبي عبد الله محمد بن موسى المتولي ذلك عن والده الشيخ موسى المذكور وكان رجلاً صالحاً ا هـ.

فهو من بيت علم وصلاح لم أقف له على خبر غير ما تلوته عليك أما ولده المدرس الشيخ كبير فكان من موثقي العدول يتعاطى الإشهاد بالمدينة من الحاضرة في حدود 1143 الثلاث والأربعين بعد المائة والألف عليهم رحمة الله آمين.

- 16 -

الشيخ محمد بن الشيخ[1]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أصله من بلد الحمامات وأخذ عن فحول علماء تونس وجلس للتدريس بجامع الزيتونة وأخذ عنه فحول من العلماء منهم المفسّر الشيخ محمد زيتونة وقدّمه الأمير محمد باي المرادي مدرساً بجامعه الذي أقامه أمام مقام الشيخ سيدي محرز بن خلف فأقام فيه الدُّروس فهو أول مدرس مَالكي به عند إتمامه سنة 1109 تسع ومائة وألف.

وانتصب يومئذ لرواية الحديث به الشيخ محمد قويسم الشريف مؤلف كتاب سمط الآل في التعريف بالرجال إلى أن توفي سنة 1114 أربع عشرة ومائة وألف.

وتقدم بالجامع المذكور أيضاً لتجويد القرآن الشيخ محمد التونسي.

وكذلك تقدم صاحب الترجمة لمشيخة المدرسة المنتصرية وروى بها الحديث وتقدم لخطة الفتيا وأفاد الناس بعلومه وفتاويه بحيث إنه استمر على خطة الإفتاء نحو العشرين سنة وتجاوز عمره الثمانين سنة. وكان عالماً عفيفاً ديناً يميل إلى الخُمول طويل القامة حسن الوجه أتم صلاة العشاء فأدركته المنية على بساط صلاته بدون مرض سنة 1120 عشرين ومائة وألف ورثاه الشيخ محمد زيتونة بقوله:

---

(1) ترجمته في ذيل البشائر (ص 198) وفي الحلل (ج 3 ص 138) وفي الشجرة (ج 1 ص 323).

[الكامل]

هجمت بموت الأكرمين خـوارقُ ... وتَقَعْقَعَتْ في الخـافِقين صواعقُ
ورعودُهَا صدعت حشاشة مدنفٍ ... واهتز من وقع المصاب الخَافِقُ[1]
وكـأنّ صور البعث عَجَّـلَ نفخةً ... والكـون ممـا حـل فيـه صـاعق
وارتجت الأرْجـا لصَعْقَـة عَـالِمٍ ... سكن اللحود فبان منه الغامق[2]
وتـزعـزعت شمُّ الجبـال لفقـده ... والأفق أظلم والـرؤوس طـوارق
والعَين تَبْكي دَمْعَها والعقل مكـ ... ـسوف الضيا قد قدّ سهم مارق[3]
يُدعى إلى ابن الشيخ فاضل عصره ... شـوقي لـه والـروح منـه زاهق
كم مشكـل أبـدى بِجيّـد عقله ... قـد حـار فيـه مخالف ومـوافـق
ونـوازل الأحكـام لمـا أن نـأت ... نـاحت عليـه صـوامت ونـواطق
ورياض معلوم العلوم تخـربت ... بـذهـابـه أنْبـا بـذاك الصـادق
فتكت بـه أيـد المنـون وغُيّبت ... عن ناظري وهو الجمال الفائق[4]
تبكيـه خضـراء البـلاد وأهلُهـا ... ويـظِلُّه الغصن الـرطيب البـاسق
ونفـوسنا تفـديـه لكن قـد غـدا ... لكـريم فـرسـان الجنـان يسـابق
ويفـوز بالـرضـوان من رضـوانـه ... ويجـاور الحـور الحسـان يعـانق
ويـرى جمـال الله جـل جـلالـه ... وفق الذي أبدى الحديث الناطق
فهـو الـذي يُبكى عليـه ومثله ... والغيـر لا نـظرت إليـه روامق

- 17 -
الشيخ علي الرصاع[5]

هو الشيخ أبو الحسن علي بن حميدة بن علي بن حميدة بن أبي يحيى بن

---

(1) في الأصل: من نعي الفحول.
(2) في الأصل: العامق.
(3) في الأصل: من أقدّ سمع مارق.
(4) في الأصل: ذاك الجمال الفائق ويلزم على ما هنا أن تتغيّر القافية من الرفع إلى النصب.
(5) ترجمته في ذيل البشائر (ص 214) وفي الحلل (ج 3 ص 285).

قاسم بن محمد بن قاسم بن عبدالله الرصاع الأنصاري التلمساني، ولد جده عبد الله بتلمسان وقدم إلى تونس وإنما لقبوه بالرصاع لأن جدهم الوافد[1] إلى الحاضرة كانت له براعة في ترصيع المنابر والسقوف حتى إنه لما بني جامع العُبّاد الذي به ضريح الشيخ أبي مدين الغوث بتلمسان طلبه الأمير لترصيع منبره ولما أتمه طلب أجرته الدفن في مقام الغوث فنال[2] ذلك وكانت وفاة الشيخ سيدي أبي مدين في حدود 570 السبعين والخمسمائة وكأنه لا خفاء في أن إنشاء الجامع المذكور، كان بَعْدَ دَفْنِ الشيخ بعصور وقد عاد يمن ذلك المدفن على ذرية الرصاع المذكور حتى كان منهم حفيده الشيخ محمد العالم الجليل فأخذ عن الشيخ أبي القاسم البرزلي شيخ الإسلام بتونس والشيخ عمر القلشاني قاضي الجماعة بتونس وغيرهما. وولي خطه قاضي الأهلة ثم خطه قاضي الأنكحة ثم خطه قاضي الجماعة بحاضرة تونس ثم اقتصر على الفتوى وإمامة جامع الزيتونة والخطبة به وتصدى لإقراء الفقة والأصول والعربية والمنطق، وشَرَحَ أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحاً غريباً، وله تأليف في الصلاة عليه صلى الله عليه وسَلَّم وشرح شواهد المغني القرآنية وشرح حدود ابن عرفة، وله تأليف في إعراب كلمتي الشهادة وآخر في أحكام لو وآخر في أسماء الأجناس وأحكامها وآخر في صرف أبي هريرة وفتاوي كثيرة في المازونية والمعيار وتوفي سنة 894 أربع وتسعين وثمانمائة عليه رحمة الله.

وكان ولده محمد من ثقاة موثقي تونس يعرف بولد القاضي.

وأما ولده قاسم فقد ترقى إلى المراتب العلية واستوزره الأمير حميدة الحفصي وقربه وصاهره بابنتيه لولديه العالمين أبي الفضل وأبي يحيى، فتزوج أبو الفضل الرصاع بزوجته وتوفيت زوجة أبي يحيى قبل البناء عليها، وبذل الشيخ أبو يحيى نفسه في خدمة العلم ومن مشايخه الشيخ محمد الأندلسي اتفق لشيخه أنه خرج

---

(1) في الأصل: لأن جدّهم الرابع الوافد إلى الحاضرة وإنّما صوب بما أثبت لأن جدهم الملقب بذلك أعلى من الرابع.

(2) في الأصل: قبال.

من تونس لطرابلس فَلَحِقَ به للأخذ عنه فأخبره أنه كان لحق بشيخه أحمد العيسي شارح شواهد المغني كذلك عند خروجه من تونس إلى طرابلس رضي الله عنهم. وكان الشيخ أبو يحيى الرصاع من علماء التفسير يقريه قراءة رجاله. وتقدم لخطة الفُتيا فزانها زمناً طويلاً ثم للإمامة الكبرى بجامع الزيتونة سنة 1017 سبع عشرة بعد الألف وعند ذلك استقال من خطة الإفتاء لاستقلاله بالإمامة والتدريس وزان محراب جامع الزيتونة ومنبره بعلمه ودينه وخطب الخطب البليغة. وأدركته المنية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذي الحجة الحرام 1033 ثلاث وثلاثين وألف.

ولم يزل العلم في بَنِيه، وجميع بنيه تقلدوا خطة العدالة؛ أما حفيده صاحب الترجمة فقد قرأ وجلس للإقراء والتوثيق وقدمه مراد باي لإمامة جامع الزيتونة حين عزل الإمام البكري وتقدم للفتيا، ولما ولي إبراهيم الشريف عزله وقد عاد إلى الفتيا وعزل منها عدة مرار، وقد كان مباشراً للإفتاء أواسط سنة 1108 ثمان ومائة وألف، وكان إمام صناعة التوثيق واسع الاطلاع عريض الفتاوى طويل القامة خفيف الشعر حسن الملاقاة توفي سنة 1132 اثنتين وثلاثين ومائة وألف عليه رحمة الله وقد أبدع أبو الحسن علي الغراب في التورية في بعض قصائده التي قال فيها.

[البسيط]

كانت جواهر نُظمي في محاسنه ... تعلو على أنجم الجوزاء والحَمَل
فلم يزل يحتوي درَّ البيان وما ... يحوي يرصعه درّاً عليه جلي
حتى إذا ما علا فيما يُرصِّعُه ... خفضت قدريَ للرصاع وهو علي

- 18 -
الشيخ علي الستاري[1]

هو الشيخ أبو الحسن علي الستاري ولد بتونس سنة 1075 خمس وسبعين

(1) ترجمته في ذيل البشائر (ص 245) وفي شجرة النور (ج 1 ص 326).

وألف، وحفظ القرآن العظيم وتصدّى لقراءة العلم الشريف فقرأ الفقه والنحو على الشيخ سعيد الشريف والشيخ محمد الغماد والشيخ محمد فتاتة، وتصدى للتدريس بجامع الزيتونة وغيره وله قدم راسخ في التوثيق وكان منتصباً للإشهاد سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف.

وله المعرفة التامة بالنوزال ولذلك قدمه المقدَّس حسين باشا لخطة الإفتاء على مذهب الإمام مالك وكان عارفاً بالمذهبين مع حسن محاضرة ومعرفة بتواريخ البلاد وله صلابة في الدين لا تأخذه في الحق لومة لائم مع مروءة بها لا يلتفت إلى ما لا يعنيه، وكان طويل القامة جميل الصورة لم أقف على تاريخ وفاته.

وقد ذكره صاحب الشهب في علماء جامع الزيتونة فقال: ومنهم العلامة النحرير العدل شيخ الإسلام مفتي المالكية الآن ببلدنا أبو الحسن علي الشهير بالستاري، له مشاركة في الفنون واطلاع على المذهب المالكي بل والحنفي غير متهم بما يتهم به الغير ولا يلين جانبه بخلاف الشرع ذو قدرة على المقابلة في الحق لا تأخذه في الحق لومة لائم يصدق عليه قول الشاعر:

[الطويل]

وإن لساني شهْدة يُشتفى بها وَهُوَّ على من صبه الله علقم

- 19 -
الشيخ محمد جعيط[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد جعيط كان والده عالماً جليلاً وتقدم لخطة التدريس ونسج ولده على منواله فقرأ الحديث على الشيخ أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا، وأخذ الحديث أيضاً عن الشيخ سعيد المحجوز، وقرأ النحو والفقه والأصول والبيان والمنطق على الشيخ سعيد بن سعيد الطرابلسي الشريف، وقرأ علوم القرآن على الشيخ إبراهيم الجمل، وقرأ على الشيخ محمد

(1) ترجمته في ذيل البشائر ص 220. وذكره من تلامذة سعيد الشريف الوزير في الحلل (ج 2 ص 652).

الغَمَّاد والشيخ علي العامري والشيخ قاسم الغماري والشيخ محمد قُويسم وبرع في التجويد والقرءات براعة تامة وتضلّع بالفقه والنحو والبيان والحديث والمنطق والأصلين وحصّل على إجازات فائقة وتصدر للتدريس في عدة أماكن وله وَلَعٌ بخدمة العلم موصوف بالديانة والعفاف والوقار أفاد كثيراً بتدريسه.

ولما أحدث الأمير حسين باشا المدرسة التي أقامها عند تربته انتخبه لمشيختها فهو أول شيوخ المدرسة الحسينية تقدم إليها سنة 1120 عشرين ومائة وألف وبإثر ذلك قدمه الأمير لخطة الفُتيا لما رأى فيه من الصيانة والديانة وكان حسن المحاضرة كريم الأخلاق لطيف المداعبة في خلواته زكي النفس ثبتاً رحمة الله عليه.

- 20 -

الشيخ حمودة الرصاع[1]

هو الشيخ أبو محمد حمود بن محمد بن قاسم بن أحمد حفيد الشيخ أحمد بن عبد الله الرصاع الأنصاري الأندلسي. ارتحل جده أبو العباس أحمد بن عبدالله الرصاع في زمن شبيبته إلى المغرب واجتمع بأبي القاسم اللخمي وسمع منه طائفة من الدر المنظم تأليف والده أبي العباس العوفي اللخمي وسمع كثيراً من كتاب سيبويه عن ابن رفيع القرشي واجتمع بمالك بن المرحل وسمع عنه كثيراً من شعره وكان فقيهاً صالحاً أديباً فاضلاً.

ولم يزل الفضل في بيته وبيت أخيه إلى أن نشأ بينهم صاحب الترجمة وقد ولد سنة 1088 ثمان وثمانين وألف، ونشأ في شرف بيته بين يدي والده وجده وتصدّى لقراءة العلم الشريف فأخذ عن فحول منهم الشيخ سعيد الشريف الطرابلسي والشيخ علي الغماد والشيخ محمد الحُجَيْج الأندلسي والشيخ محمد الغماري والشيخ محمد فتاتة والشيخ عبد القادر الجبالي. وتعاطى التوثيق وجلس للتدريس، وتقدم للنيابة في خطة القضاء بالحاضرة عند تخلي جده على عهد

(1) ذيل بشائر أهل الإيمان ص 220. الحلل السندسية ج 3 ص 287.

المقدس حسين باي، فتلقاه تلقي الزعيم ونهض بها من أول يوم بغاية الفطانة والخبرة والمعرفة بأساليب القضاء بحيث إنه دخل المحكمة الشرعية أول يوم دخولاً عجيباً وصرف أَلِدَّاء الخصام أحسن صرف ومع ذلك كانت دروسه بجامع الزيتونة عند باب الشفا يهرع إليها وأقام على ذلك مدة طويلة.

ثم إن الأمير المذكور تخيره لنفسه واختصه لرواية الحديث بين يديه بالليل في مسجد باردو وقدمه لخطة الفتيا وأولاه مشيخة مدرسته الكبرى ولم تزل دروسه مُناخاً لرحال الطالبين وفتاويه العذبة غاية آمال المستفتين وكان طلق اللسان في الجنان له قدرة على استخراج النكت الغريبة بارع في علم الأحكام قاطع للنزاع حسن الملاقاة، خفيف شعر العارضين، أبيض اللون ربعة إلى القصر أقرب، وتقدم للرئاسة على عهد الباشا علي باي وعلى عهده توفي عليه رحمة الله وقد كان الشيخ علي الغراب طلب منه كتب فتوى فأرسل له بقوله وقد أحسن في التورية.

[الكامل]

يـا مَنْ رقى بكماله دُرَجَ العُـلا ... وتـشـنـفـتْ بـثـنـاءه الأسـمـاعُ
حتى غـدا فـوق الأثيـر محلُّه ... كـل المعـالـي دونـه أوضـاع
وغدا القريض مُطَاوِعِي في مدحه ... مهمـا أردت وتُـطْبَـعُ الأسجـاع
هو من غدا حـاوٍ[1] لكل فضيلة ... ولـذا عليه قـد انطوى الإجمـاع
إن الأفاضل في الفضـائل كلّهـا ... بـك مـقتـدون وكـلهم أتبـاع
فالعبد يبغي القـرب منك لبعده ... ولأنـه مـن دهـره مـرتـاع
ورأى بروق الوعد منكم لم تزل ... تدني له غيث الـرجا[2] أطمـاع
فاسمح بذاك الوعد لا زالت لك الأ ... يّـام طـائـعـة وأنـت مـطاع
يا من يرصّـع من جواهـر لفظه ... درّاً نفيسـاً بـالنفـوس يُبـاع[3]
قصدي إلى ترصيع عقد جـواهر ... من نـظـم فِيكَ لأنـك الـرصـاع

---

(1) هكذا في الأصل وفي جميع نسخ ديوانه.
(2) في الأصل: الوفى.
(3) سقط هذا البيت من الأصل وهو في الديوان.

- 21 -

الشيخ محمد سعادة[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن عمر سعادة المنستيري ولد سنة 1088 ثمان وثمانين وألف، وقدم إلى تونس في طلب العلم فقرأ على الشيخ محمد الحُجَيّج الأندلسي والشيخ محمد فُتَاتة والشيخ محمد الغُماري ثم ظعن إلى المشرق في طلب العلم فقرأ بمصر على الشيخ أحمد بن الفقيه والشيخ محمد الزرقاني والشيخ محمد النفراوي والشيخ إبراهيم الفيومي والشيخ منصور المنوفي وأخذ الحديث عن الشيخ الطَّالوني.

وارتحل إلى بلاد الروم ودخل إلى إسلامبول واجتمع بجلة علمائها.

ورجع إلى الحاضرة بعد أن حصّل على العلوم وبيده إجازات من كافة مشايخه فجلس للإقراء وأخذ عنه كثيرون وأجرى عليهم المقدّس حسين باشا جراية التدريس بجامع الزيتونة، وأقرأ به علوماً كثيرة ثم قدمه الأمير لمشيخة المدرسة المنتصرية فأقرأ بها وهو فصيح ولوع بالإقراء محرر، وكان حسن القامة جميل الصورة لطيف المحاضرة كتب حاشية على شرح الأشموني سماها تقرير المسالك من شرح منهج السالك إلى ألفية ابن مالك وكتب إلى الشيخ الصغير داود يسأله بقوله:

[مخلع البسيط]

إليك قطبَ النُّهى سؤالٌ ... نَحَاكَ شخص به وأمَّمْ
فأنت كشاف مشكلاتٍ ... وأنت في عصرنا المُقَدَّمْ
وذاك قول الورى لشخصٍ ... إذَا يصاب الفتى ويَسْقَم
آجرك الله في مصاب ... مَا دفع الله كان أعظم
هل ذا صحيح وذا بنص ... أثبت في كتب من تقدم
وعبْدكم قال ذاك لما ... دَهَاك خَطْب به تَألَّم

(1) ترجمته في ذيل البشائر (ص 249) وفي الشجرة (ج 1 ص 346).

وقـلبـه منـه فـيـه شـيء ببـادىء الـراي لا يُسَـلَّم
أجب فـلا زلت في المعـالي تـجـر ثـوب التـقى وتُكْـرم

فأجابه الشيخ الصغير داود بقوله:

[مخلع البسط]

إن الـجـواب لـمـن تـوهـم يبـدو إذا مـا الفـتى تَـفَهَّـمْ
إذ كـل خـطب وإن تنـاهى في غيب مبـديـه منـه أعـظم
وكـون هـذا مكـان هـذا عين الـدفـاع فـلا تَـوَهّـمْ
فَـقَـوْل من قـال لـلتسـلي مـا دفـع الله كَـان أعـظم
صحيـحُ مَعْنىً لكـل حَبْـرٍ يُـقَـال نَثْـراً نَـعـم ويُـنْـظم
وفـي حـديثٍ لَـو اطـلعتـمْ إلى تمـام الحـديث مغنـم
يفيـد مَـن يبتغـي جـوابـا وحسـبـنـا الله وهـو أعـلم

ولما طلع صبح الدولة الباشيه، تقدم نائباً بمحكمته الشرعيه، ثم لما ورد الإذن للباشا علي من دار الخلافة بأن يولي القاضي من علماء تونس قدم صاحبَ الترجمة لخطة القضاء بالمذهب المالكي سنة 1157 سبع وخمسين بعد المائة والألف ثم قدمه لخطة الفتوى وتقدم لرئاسة أهل الشورى فكان زينة الملجس الشرعي.

وقد أرسل إليه العالم الأديب الشيخ أحمد العصفوري رسماً يتضمن نازلة في العُمرى وطلب منه الإفتاء فيه بعد أن أفتى فيه بقية المفتين فكتب إليه يطلب منه ذلك بقوله[1].

[الوافي]

أرى المفتين قد وضعوا خـطوطاً بفتيـاهم لـنـا حصـلت إفـاده
ومـا زبرت يـراع[2] الشيخ حتى نـراهـا مثـل واسـطة القـلاده
لقـد سبقت سعـادتنـا يـقـيـنـاً إذا خـتمـت بخط مـن سعـاده

(1) ذكر هذه الأبيات ابنه في كتابه تشحيذ الأفهام بما يحسن من الإيهام.
(2) في الأصل: يداه.

فكتب له الشيخ محمد سعادة في الرسم بما نصه:

[الوافر]

تـأمـلـت الـسـؤال ومـا عـلاه ... من العُمرى المسطرة المفاده
ومـا زبـر الشيـوخ أمـام رقمي ... ويـمـنـاه لـسـائـلهـم إفـاده
فـألفيتُ الجميـعَ أجـاد فيمـا ... أجـاب بـه وأغنى عـن زيـاده
ومـا نقلوا بموضعـه صـريـح ... صحيـح حـاز سَـائِلُهم مـراده
وأغنى عن مـزيـد فيـه طـولٌ ... ونفس الحـر تـجتـنب الإعـاده
وناظمها يجيب بـمثل ما قـد ... أجـابـوا سـائـلاً ربّي السعـاده
وعفـواً عن خَـطَايـانَـا جـميعـاً ... وعنـد المـوت خـاتمـةَ الشهـاده
وكنت عن الجـواب غنيت لمـا ... أتـاني سـائـلاً يبـغي الإفـاده
ونفس الحكم فيهـا ليس صـعباً ... فـأغنى من أجـاب عن الـزيـاده
فـألجـأني المُهـذَّب حِبّ نفسي ... هـو العصفور من حاز السيـاده
وراقم مـا على نـظمـي بـدرٌ ... رآنـي فـيـه واسـطة الـقـلادة
فحينئِـذٍ سمِحْتُ لـه بمـا قـد ... دعـاه إلى جـواب من سعـاده
جـزاه الله فـي دنـيـاه خـيـراً ... وبـلّغـه مـن الأخـرى مـراده

وكان عالماً فقيهاً أديباً عاليَ الهمة حسن المحاضرة كريم الأخلاق عزيز النفس وقفت له على نظم بديع في مناسك الحج وله كتاب لطيف سماه (قرة العين في نشر فضائل الأمير حسين) وأتبعه بمدح ابنه محمد الرشيد فكان من أبدع المقامات في الآداب وقد نزع عدة منازع لطيفة وأودعه من ذكر الخصال الحميدة وذكر فضائلها ما يروق[1] علماء الأدب وحكماء تهذيب الأخلاق وضمنه أرجوزة في معنى (الصادح والباغم) في الحكم والأمثال تبلغ مائتين وخمسة أبيات ، مطلعها:

[الرجز]

أحمـد من أتى حسينـا مِننـاً ... رقى بهـا من المعـالي قُنَنَـا

وقفت على نسخة منه مذهبة في غاية حسن الرَّونق.

(1) في الأصل: يروون.

وقد عزل من خطة الفتيا على عهد الباشا وأصابه ما أصاب الأفاضل أمثاله من السجن قبيل رمضان قيل: إن عزلَه كان في وسط المجلس الشرعي عند اجتماعه للحكم بين يدي الباشا فأمره بالقيام من المجلس وقال له: إنـي عزلتك من الوظيفة الشرعية ولما خرج استعاده فقال له إني عزلتك من التدريس ولما خرجَ أعاده وقال له إني عزلتك من مشيخة المدرسة ولما خرج أعاده وقال له إني عزلتك من الإمامة وعندما علم أنه انتزع جميع ما بيده من الوظائف قال له ارجع إلى بيتك فقال له بقي عندي وظيف آخر لم تعزلني منه فقال له الباشا ما هو فقال له الشيخ وظيفة العلم الذي في صدري ستجتمع عليَّ الناس لتلقيه هل لك قدرة على انتزاعه مني وخرج وبعد ذلك خَلَّى سبيله وأعاده إلى جميع خططه وكان ذلك سنة 1161 إحدى وستين ومائة وألف وهنأه[1] بذلك الشيخ علي الغراب بقوله:

[الكامل]

زارتـك بعد تمنـع وجفـاءِ ... بيضـاء ذات ذوائب سـوداءِ
زارت ومن عجب تزورك[2] في العلا ... شمسُ الضحى في الليلة الظلماء
لولا الذوائب ما غدت من ثغرها ... مـأمـونـة من أعين الـرقبـاء
لم أنسَ حين ذكرت ليلة وصلها ... في صدها عنّي عـظيمَ شقاء
قالت أيشقى من غدا لسعادة ... يُعـزى ومنه سعـادة السعـداء
شيـخ جليل فـاضل علَم لـه ... رُتبٌ تـزاحم رتبـةَ الجـوزاء
أمست فنونُ العلم تخدم بابه ... صـدراً بهن حقـائق الأشيـاء
هُـو أعقـل العلمـاء إلا أنـه ... بين الأفـاضـل أعلم العقـلاء
هُـو أنبـل الفضـلاء إلا أنـه ... بين الأفـاضل أفـطن الفطنـاء
هـو أفصـح البلغـاء إلا أنـه ... بين الأحبة أبـلغ الفـصحـاء

---

(1) في لأصل: هنا.
(2) في الأصل: لزورك.

هو أَرْأَسُ العظماء [1] إلا أنه ... بين الأكابر أعظم الرؤساء
هو آدب الشعراء إلا أنه ... بين البرية أشعر الأدباء
ما فيه عيب غير أن مقامه ... بين الورى في الرتبة العلياء
ذو همة بين السماك وبينها ... في الرفع ما بين السما والرائي [2]
ذو سؤدد في الصالحين ورفعة ... تنحط عنها أنجم الزهراء
يا أيها العلم الذي بين الورى ... بالسّبق في التدريس والإفتاءِ
لحن الزمان بصرفكم خبرا فَعَا ... بُوه [3] وعدّوه من اللكناء
إذ ليس يصرف من له عدل ومعـ ... ـرفة بها تسمو على النظراء
لكن صرفت لضيق ذرع حواسد ... قد أسمعت بنميمة شناء
قالوا عجيب كيف زال وإنه ... علم يفوق كواكب الجوزاء؟
فأجبتهم إن الجبال تزول من ... مَكْرِ الدُّهاة وحيلة الاعداء
إني أتيتك بالرجوع مُهنِّئاً ... وإلى عِداك معزياً بعزاء
لا لا تلم من لم يلمّ توجعاً ... وأتاك بعدُ مهنئاً بهناء
فلِرحمةِ المتوجعين حرارةٌ ... في القلب مثل شماتة الأعداء

وقد أدرك في مبدَإ نشأته الولي الصالح أبا البلابز الشيخ عبد الرحمن بن أبي الغيث بن عبد الرحمن بن راشد بن بلغيث بن راشد بن عبد الحميد بن يربوع القطب الشهير الطرابلسي الشريف رضي الله عنه، وكان صاحب الترجمة كثيرَ الزيارة للولي المذكور بداره التي بالممر خارج باب المنارة وكان الولي يقول للشيخ هذا الموضع يجمع عظامي وعظامك. وتوفي الولي أوائل ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، وبعد مُضيّ زمان اشترى الشيخ داراً جوار زاوية الولي وتوفي سنة إحدى وسبعين ومائة ألف ودفن على يمين ضريح الولي المذكور فكان ذلك الموضع هو مجمع عظامهما رضي الله عنهما.

---

(1) في الأصل: العلماء.
(2) في الأصل: ما بين الصاد والراء.
(3) في الأصل: لحن الزمان بصرفكم حين أجابوه.

- 22 -

الشيخ أحمد المكودي[1]

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن حسين المكودي من بيت علم وفضل ولد بحاضرة فاس ونشأ فيها في طلب العلم، وأخذ فيها عن جلة العلماء الذين منهم العالم الشهير الشيخ أبو العباس أحمد بن المبارك وهو الذي أجازه وله به مزيد اختصاص وقد مدحه بقصيدته التي يقول في مطلعها[2].

[الطويل]

إليك أبا العباس تحدي ركائبي[3] وتغدو خفافاً راقصات النجائب

وهي قصيدة طويلة أثبتها صاحب مفاتـح النصر في علماء ذلك العصر.

ثم إن صاحب الترجمة لما امتلأ علماً بحاضرتها خرج منها لحج بيت الله الحرام، ودخل مصر واجتمع بعلمائها وأقرأ بالجامع الأزهر غير أنه لم يطب له المُقام بها فتخير الرحيل لسكنى حاضرة تونس وقدم إليها على عهد الباشا علي بن محمد بن علي تركي. ولمّا دخل الحاضرة أراد النزول بمدرسة بئر الحجار ولما علم شيخها يومئذ الشيخ مسعود المغراوي الباجي بعلو رتبة الرجل في العلم منعه من إعطاء بيت بها خشية منه وعند ذلك وجه الشيخ طلبيته إلى الباشا وكان عالماً ومحباً للعلماء وبمجرد ما علم رتبته أعطاه مشيخة المدرسة كلها وندم شيخها على منعه حيث لم ينفعه الندم.

وعندما استقر الشيخ طلب منه الباشا أن يقرىء شرحه لتسهيل ابن مالك

---

(1) ترجمته في مفاتـح النصر في التعريف بعلماء العصر لمحمد العياضي ص 160 من النشرة العلمية للكلية الزيتونية العدد الرابع، وثبت هناك أنه أحمد الماكودي لا المكودي كما ورد هنا، وما ورد في مفاتح النصر هو الصحيح لأن العياضيّ أخذ عنه ومدحه بقصيدته المثبتة في المفاتـح وهنا وكذلك في كل كتب التراجم وجاءت ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 346).

(2) والقصيدة ذكرها العياضي في كتابه: مفاتح النصر في التعريف بعلماء العصر في ص 161 من النشرة العلميّة للكليّة الزيتونية العدد الرابع.

(3) في الأصل: تحدو الركائب.

فأقرأه بجامع الزيتونة وأقرأ كتباً أخرى عالية ظهر بها علمه وفضله واجتمع عليه للأخذ عنه فحول العلماء ثم قدمه الباشا للفتيا وصار رئيس أهل الشورى من المالكية وكان عالماً عاملاً عفيفاً أديباً فاضلاً حسن الشِّعْرِ عارفاً بالتاريخ حسن المحاضرة صالحاً لا تأخذه في الله لومة لائم، قيل: إنه دخلت عليه للمجلس الشرعي نازلة كان الباشا يريد تأخيرها فأراد أن يقوم فسخاً للمجلس ليتأخر فَصْلُها والنازلة قد اتضح فيها الحق لصاحبه وبمجرد قيامه جذبه الشيخ من طرف ثوبه وقال له: لا بد أن تجلس حتى ينفذ الحكم في هاته النازلة حيث ظهر فيها الحق لصاحبه فلم يسع الباشا إلا أن جلس ونفذ الحكم ووجد الباشا من ذلك في نفسه وعند انتهاء المجلس لما خرج الشيخ قال الباشا لمن بقي معه من المشايخ أوَيُعْجبكم صنيع الشيخ إذ جذبني من طرف ثوبي لكن أنا عزلته ولما خرج الشيوخ واجتمعوا صحبة الشيخ قال لهم ماذا قال لكم الباشا فقالوا له لم يقل سوءاً فقال لهم على البديهة أو أنه عزلني لكن هو عزلني وأنا عزلته فلم تمض مدة حتى أقبل السعد على ا لبلاد بدخول آل حسين وعزل الباشا المذكور وأبقى الأمير الحسيني الشيخ في رتبته إلى أن حضرته الوفاة.

ودروسه بجامع الزيتونة يأتيها الناس من كل فج، فأقرأ شرح التسهيل للباشا وختمه وختم مغني ابن هشام، والقطب على الشمسية، وغير ذلك من الكتب المعتبرة وقد حضر في جميع ذلك العالم الأديب الشيخ المختار العياضي ومدحه في بعض أختامها سنة 1152 اثنتين وخمسين ومائة وألف بقصيدة غريبة وهي قوله:

[الطويل]

خَليليَّ هـل صب يحق عتـابُـهُ ... وفي الأعين المرضى تَقَضَّى شبابُهُ
يَبِيتُ على فرش الهوى ويدُ النوى[1] ... وِسَادٌ لَـهُ والفـرقـدان ارتقـابـه
ويسكره خمر الهوى فيبيت للسـ ... ـهـاد سميراً والنجـوم صحـابـه

---

(1) في الأصل: الندا.

وفي قلبه نار يشبّ لهيبها ... وفي الخد دمع لا يزال انسكابه
تملكه حب ووجد وصبوة ... فأصبح مُضنى والسّقام ثيابه
فيا لائميه في صباه ووجدِه ... دعوه فإن الحب عذب عذابه
تملكه حب اللحاظ فقلبه ... متى شاهد الألحاظ زاد التهابه
ويسبيه إذ يصيبه بالوجه أهيفٌ ... بثوب جمال قد كساه شبابه
بديع جمال ما رأى البدر وجهه ... لعمرك إلا كان منه احتجابه
له مبسم حقاً هو الخمر نُكهةً ... وسكراً ولكن الثنايا حبابه
ويغنيه عن زهر الرُّبَى روضُ خده ... وعن شربه خمر الكؤوس رضابه
ويسحر أربابَ الغرام بطرفه ... كأنَّ إلى هاروت كان انتسابه
خليليّ كم قضيت منه لُبَانَتِي ... بروض كأن المسك منه ترابه
وبتنا وكاسات المسرة تنجلي ... إلى أن رأينا الليل طار غرابه[1]
وقمنا وثغر الفجر يصقله الضيا ... ورحنا وكف الصبح زال خضابه
وفاح الرّبى طيباً فقلنا أهذه ... علوم أبي العباس أم ذا خطابه؟
إمام حوى كل الفضائل مجده ... وأمست[2] ثياب المجد هي ثيابه
ترى العلم بحراً وهو خائضُ لُجِّه ... ولكن تحقيق العلوم عبابه
إذا ما رأينا العلم أوثق رحله ... إليك أبا[3] العباس كان ذهابه
ولو[4] سئل التحقيق مَنْ رُوحُ جِسْمِه؟ ... لكان أبا[5] العباس حقاً جوابه
إمامٌ سوى أن الفصاحةَ تاجُه ... هزبر[6] سوى أنّ البلاغة غابه
له هيبة في وجهه وجلالةٌ ... فلو شاهدته الأُسْدُ كانت تهابه

---

(1) جاء في الأصل ما نصه:
خليلي كم قضيت منه لبانتي ... إلى أن رأينا الليل طار غرابه
وهو تلفيق بين بيتين والتصويب من مفاتح النصر.
(2) في الأصل: وأمس.
(3) في الأصل: أبو.
(4) في الأصل: وإن.
(5) في الأصل: أبو.
(6) في الأصل: نحرير.

فلو سيبويهٍ لم يكن مر واختفى بقبره واستولى عليه ترابه
لكنّا ادعينا أنه سيبويهِ والـ كتاب المسمى بالكتابِ كتابُه
وعلم المعاني قد تَكَرَّعَ نَهْره وكان له يا صاح عذباً شرابه
وما احتجب البحث العويص وجئته لعمرك إلا زال عنه احتجابه
فعن فضله حدث عن البحر إنه لبحر ولكن بالمعاني انسيابه
فكيف وللْعِلم الشريف انتماؤه وللمصطفى المختار كان انتسابه
عليه صلاة الله ما قال مغرَم خليليّ هل صب يحق عتابه

وكان مصاهراً لآل الشريف إذ تزوج ببنت منهم ولما توفي دفن بتربتهم الشهيرة بأعلى الجَلاّز وكانت وفاته سنة إحدى وسبعين ومائة وألف[1] وقد أرّخه الشيخ أحمد سُمَيّة الكاتب بقوله:

[مجزوء الكامل]

هذا الضريحُ لِمَنْ غدا تحت التراب مشيبه
في خدمة العلم الذي قد كان فيه غريبه
هو أحمد المكودي من ملأ الذكاء جيوبه
قد قيل في تاريخه: (صرف الإلٰه ذنوبه)

- 23 -
الشيخ قاسم المحجوب[2]

هو الشيخ أبو الفضل قاسم بن الحاج المحجوب الشريف المساكني وبها ولد، وقدم إلى تونس في طلب العلم الشريف ونزل بالمدرسة المُنتصرية، فقرأ على أعلام عصره، وجهابذة مصره، بجامع الزيتونة وهو يومئذٍ عامر بأعلام العلماء، منهم الشيخ محمد الخضراوي والشيخ علي سويسي وغيرهما، وقرأ على الشيخ محمد الحرقافي فأخذ من معقول العلوم ومنقولها ما بلغ به إلى رتبة

(1) والصحيح أن وفاته سنة سبعين ومائة وألف كما حقق محمد البشير النيفر، وجاء في شجرة النور.
(2) ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 347).

في العلم عالية وحفظ القرآن كرامة للشيخ أبي سعيد الباجي وذلك أنه توفي أحد طلبة حزب المدرسة وكان الشيخ لا يحفظ القرآن ورام ذلك الطريق لنفسه لماله من الحاجة إليه فخرج لجبل المنار رافعاً أمره إلى الباجي ونام عند ضريحه فرأى الشيخ في نومه وهو يعلمه القرآن وأنه استكمل حفظه وتكراره، ولما استيقظ وجد نفسه حافظاً فقصد الرجوع إلى تونس وهو يكرر القرآن حتى استكمله وعند ذلك ذهب لشيخ الحزب وطلب ذلك الوظيف وعرض نفسه لاختبار حفظه فتلا عليه القرآن كله بعد أن لم يكن يحفظه على ذلك الوجه المتقن، وأخذ ذلك الوظيف وقد ذكره الشيخ الحاج حمودة في تاريخه في علماء الحاضرة حيث قال: ففيها اليوم من الجهابذة النقاد والفحول الذين تضرب إليهم أكباد الإبل جماعة لا يشق غبارهم ولا يجارى مضمارهم كشيخنا المفتي أبي الفضل قاسم المحجوب المساكني حافظ المذهب المالكي بالغرب هـ.

وكان في مبدإ أمره حظي بعناية من الولي الصالح الشيخ قاسم السبابطي حيث عرض عليه طعاماً مكدراً مضت عليه ليال متعددة فعمد إليه وأكل منه ملعقة أولَى ملآنه وتناول الثانية مثلها ثم تناول الثالثة مشمئزاً فكانت ناقصة وكان ذلك ثالث سلسلته العالم الشيخ محمد بن محمد بن قاسم المحجوب على ما يأتي ذكره.

وقد زان الشيخ الخطط العلمية تدريساً وخطبة وفتيا إلى أن صار كبير أهل الشورى من العلماء المالكية ودروسه يومئذٍ هي زينة جامع الزيتونة ولما ختم المختصر الخليلي سنة 1172 اثنتين وسبعين ومائة وألف امتدحه شعراء تلامذته الأعلام بقصائد غراء ومن ذلك القصيدتان اللتان أنشأهما الشيخ محمد الغضبان المثبتتان في شعره قال في مطلع إحداهما.

[الوافر]

خَليلِي عَـلِّنِي كـأسَ الـحُمَـيَّـا رشيقُ الـقـدّ وضـاح المـحيـا

إلى أن قال في تخلصها:

سـلا قلبي الهـوى وثَنى عِنـاني إلى حَـبْـرٍ سمـا وغَـدَا زَكـيّـا

أبي الفضـــل العَلَّي بـلا نـــزاع هو المحجوب من أضحى سميا
شـــريف شَـرَّفَ الفُتيـــا فسـادت وطـــوق جيـدهـــا عِـقـداً سَنِيّـــا

وقد زان التدريس والفتوى بالعلم والتقوى، فقيهٌ، حجةٌ، أصولي، فِقْهُه يحذو به حَذْوَ المجتهـدين في تتبع وجوه الأدلة الأصولية خبير بمدارك مذهب مالك، وقد نجب بين يديه عالمان هما ابناه ويأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

ولم يزل ركناً للدين وقدوة للأيمة المجتهدين وعمدة العُلماء العاملين إلى أن أتاه محتوم الأجـل فتوفي سنة 1190 تسعين ومائة وألف ودفن بتربتهم في أوائل الزلاج عليه رحمة الله ورثاه العالم الشيخ محمد بن سعيد النجم بقوله[1]:

[الطويل]

تنام جفون المرء والخطبُ يقظانُ ويُنْكِر حربَ الدّهرِ والموت بُرْهانُ
ويكثر في الدنيـا الدنيـة حُبَّها[2] ومـا وصلهـا إلا همـــوم وأحزان
ومن عرف الدنيـا وشدَّةَ مكـرها تساوى له منهـا وِصالٌ وهِجْـران
وسيَّـــان لـــلإنســـان عـــزّ وذلـــةٌ إذا لم يساعـدْه من الله رِضـوانُ
ومن كـان لـلأيـام غـرًّا فحسبـه على غَـرِّهـا رزء الأيمـة عُنـوان
عَنِيتُ بهم من كان لو وزنوا به لَكَان لهم عنهم من الوزن رحجان
أبو الفضلِ مفتي المالكيّة قاسمٌ وحسبك من ذكرٍ به الدين نَشْوانُ
سراجُ بَنِي المحجوب بل وبَنِي التُّقَى وآل العُلا والعلم آية ما كانوا[3]
فتى كـانت الدنيـا بعاطِـر صيتـه كما فاح في وقت العشية بُستان
فتى كان ملك العلم ذا همة به وأبناؤه في رأس الدّهر ذا تِيجان [4]

---

(1) جاء في الفلك المشحون لابن سعيد أنه أنشد هذا الرثاء باستدعاء من ابنه الشيخ محمد المحجوب، وجاءت هذه القصيدة في الفلك المشحون ص 20 من المخطوط الذي بالخزانة.
(2) في الأصل: حبّه.
(3) كذا في الديوان.
(4) في الأصل: وأبناؤه في أرأس الدهر تيجان.

فتى كان في فتوى البرية مـالك ... وفي وعظها فوق المنابر سَحْبَانُ[1]
فتى كـان مـرتـاحـاً بسُنّـة جـدِّه ... ولكنّه في نصرة الحق ثُعبان[2]
فتى كـان للدّين الحنيفيّ حامياً ... فلا الإنس يدنو من حماه ولا الجَانُ
فتى كـان للمظلوم أعـظمَ راحمٍ ... عليه من الـرحمٰـن عفو وغفـران
فـحق عـليــه أن يقــول مؤرخ: ... (يحق لمفت جـل رَوُح وَرَيْحَان)

- 24 -
الشيخ أحمد البرانسي[3]

هو الشيخ أبو العباس أحمد الثعالبي الشريف شهر البرانسي من ذرية غوث الله الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المفسر دفين الجزائر من السلالة الزينبية الطاهرة وكان عالماً جليلاً من الراسخين في العلم المحتقرين للدنيا، يأكل من عمل يديه ويحترف بخياطة البرانيس ولذلك ينسب إليها ويغيّر المنكر من غير مبالاة، وحج بيت الله الحرام.

وبث علومه بجامع الزيتونة فأقرأ به مختصر السعد وكبرى الشيخ السنوسي في علم الكلام قراءة تحقيق انتفع به فحول الجامع ولما توفي الشيخ المكودي وتقدم لرئاسة أهل الشورى الشيخ قاسم المحجوب تقدم صاحب الترجمة مفتياً ثانياً.

ولما توفي باش مفتي المذكور قدم الأمير علي باي ابنَه على صاحب الترجمة للرئاسة وثبت صاحب الترجمة في رتبته يزينها بعلمه ودينه مع كون عموم الناس يعتقدونه، ولصالح الدعا يرجونه، إلى أن توفي في سنة 1197 سبع وتسعين ومائة وألف ودفن تحت برج القرجاني ورثاه أحد شعراء البلاد بقوله:

---

(1) كذا بالأصل والـديـوان مالك وسحبان بالرفع.
(2) في الأصل: تعبان.
(3) ترجمته في الإتحاف (ج 7 ص 13).

[الطويل]

فقف للدعا واستوقفنَّ ذوي الهُدى ... وكن قـارئاً أم الكتـاب مُـردِّدَا
وعظ واتعظ وانهض لما هو نافع ... لنفسك في الأخرى عسى أن تُؤَيَّدَا
فماذا عسى أن يبلغ العمْرُ بالفتى ... ولو طال ما قد طال لا بد يلحدا[1]
فـأين الملوك المالكـون وملكُهم ... وأين ذوو الفـاقات مـا لم يوددا
تساوى بهذا المصرع الخلق كلّهم ... فم يدر ذو ذل ومن قد تمجّـدا
فيـا فوز من قـد قـدم البِرّ للِّقَـا ... كهذا الذي أضحى بذا القبر مُغْمدا
هو الورع المفتي الإمام البرانسي ... يسمى أبا العباس أحمد في الندا
فقد كان في الفقه المعظم مالكاً ... وحـبـراً تـقـيـاً زاهـداً متـعبـدا
وفي كـل علم كـان أعـظم آيـة ... وفي الدين سيفاً قاطعاً لمن اعتدا
فقد كان شهماً واسع الخلق في الورى[2] ... وكان لجفن الدين والشرع إثْمدا
وما قوله يبدو هوى وهو مُـوعظ[3] ... فيرضيك مغلوباً وقد كنت ذا اعتدا
وكـان رفـيـقاً بـالمقلين متعـبـاً ... لإظهار حق الله والدين والهـدى
فجازيه[4] ربي بـالرضى وبجبـره ... بجدّه يا ذا الطول والفضل والندى
ومتعـه يا وَهَّـابُ بـالنـظر الـذي ... به تمت الحسنى لكل من اهتدى
وحقق رجا من قال أرخ لأحمدٍ ... بأعلى علا الفردوس جاراً[5] لأحمدا

- 25 -

الشيخ مَحمد المحجوب[6]

هو الشيخ أبو عبدالله مَحمد بفتح الميم الأولى ابن قاسم ابن الحاج المحجوب

(1) هكذا جاء بالأصل يلحدا منصوباً بدون ناصب ويجوز أن يكون مؤكداً بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفاً.

(2) في الأصل: وما كان لها واسع الخلق في الورى.

(3) في الأصل: وما قوله يبدو هوى فموعظه.

(4) أثبتت الياء للوزن.

(5) في الأصل: جار.

(6) ترجمته في الإتحاف ج 7 ص 151 وفي شجرة النور ج 1 ص 370.

الشريف ولد في النيف والخمسين بعد المائة والألف، وتربى في حجر والده فأخذ عنه معقول العلوم ومنقولها، وتصدى للأخذ بجامع الزيتونة فأخذ عن أعلام العصر قرأ على الشيخ أبي عبدالله محمد الغرياني والشيخ أبي عبدالله محمد الشحمي والشيخ أبي عبدالله محمد بيرم الأول، وتصدى للإقراء على أسلوب غريب من أبدع الأساليب سلك به طريقة والده، وأجرى به للجهابذة أعذب موارده، ولما ختم المختصر الخليلي امتدحه تلميذه الشيخ أبو عبدالله محمد بن سعيد النجم بقصيدة مثبتة في شعره قال في مطلعها:

[الطويل]

ألا من لصب قد براه هواه فيذهب وجد حار فيه حِجاه

ولما ظهرتْ له المزية تقدم للخطة الشرعية فولي الفُتْيا مع والده، وكان يومئذٍ قاضي باردو الشيخ منصور المنزلي آية الله في الذكاء والتضلع بمقتضيات الأصول والفقه حتى أولاه الأمير عاملاً على الوطن القبلي مع خطة القضاء بباردو ولما أعياه التشكي من عمال البلد المذكور وصار الشيخ يقضي بباردو صباحاً ويجلس بداره عشية لقبول نوازل عمله حتى قيل في ذلك من الملحون:

يا منزلي خذ الفلوس بزايد في الصبح قاضي وفي العشية قايد

وبفقهه وتبصره كانت له مع الشيخ قاسم المحجوب والد صاحب الترجمة في المجلس الشرعي عدة منازعات، يستجيد موقعها الأمير في تلك الأوقات، ولما ولي الفتيا ولده المذكور حَذَّره ترصد الشيخ منصور لكنه بذلك قد زاد اعتناؤه، وتفقه تفقهاً حمد مبدؤه وانتهاؤه.

ولما توفي والده تقدم لرئاسة أهل الشورى فكان رئيسها الذي لم يزل فخرها به يُتْلى، وجماله على تلك المنصة يُجلى، وبذلك جمع له بين التعزية والتهنئة الشيخ محمد الغضبان بقصيدته التي قال في مطلعها:

[الكامل]

ما للمدامع[1] بالربوع تبدُّدُ أسَفاً ونيرانُ الأسَى تتوقَّدُ

(1) في الأصل: المدافع.

إلى أن قال فيها:

ولقـد أقيم مقامـه النجل الـزكي بدر الدجى المولى الهمامُ محمدُ

وهناه نجم الأيمة ابن سعيد بالقصيدة التي قال في مطلعها:

[الكامل]

حَجَبَتْ سُلوِّي عن هواك حواجبُ ومعـاطفٌ منهـا القلوب عـواطبُ

إلى أن قال فيها:

سندي أبو عبـد الإلٰـه محمّدٌ النير الأسمى الغَمام الساكب
فخرُ المشاهير المحاجبةِ الأُلَـى لهم النجـومُ النيّـراتُ منـاقب

وقد ثبت على صراط الفتوى، وزانها بالعلم والتقوى، وتقدم لمشيخة مدرسة علي باي الجديدة عند بنائها فأقام دروسها وأخذ عنه من نزلائها وَوَارِدِيها، وكان عالماً أصولياً عاملاً حافظاً للمذهب المالكي عارفاً بأصول المدارك، وقوراً مهيباً، خبيراً بالسياسة الشرعية معتقَداً كريماً صاحب عفة وصيانة، وكمال مروءة وديانة، وكان الأمير حمودة باشا لا يأذن للمجلس الشرعي بالاجتماع بين يدية إلا بعد أن يتحقق حضور الشيخ المحجوب بحيث إنه يأذن شيخ المدينة بأن يقابل الشيخ أوّلاً فإن رأى عزمه على الحضور يعلم بقية الشيوخ من المالكية والحنفية وإلا لم يعلم أحداً. ولا يخاطبه إلاّ بالسيادة، ويحضر بموكبه العام بمنزله بسانية جبل المنار ويجلّه غاية الإجلال لمكان علمه وحفظه للمذهب. وله مع تلميذه القاضي إسماعيل في النوازل الشرعية وقائع تنبىء على غاية تضلعه وتثبته طالما انتصر فيها تلميذه بموافقة عموم المجلس من المالكية والحنفية فلا يلبث بهم الشيخ المحجوب أن يهدم جميع ما بنوه عند انعقاد المجلس بمحضر الأمير ويرجع إليه جميعهم بمرأى ومسمع من الأمير.

ومع كمال تضلعه لا يفتر عن المطالعة وكان يقطع اللّيل في المطالعة وينام بعد صلاة الصبح وكان يحضر في مجلسه ببيته جموع من الخاصة يقضون الليل في المسامرة عنده وهو مشتغل عنهم بالمطالعة. وكان ذا ثروة كريم الأخلاق

معظماً عند الخاصة والعامة دخل يوماً على موكب وجد صدره قد امتلأ بمن ليسوا من جنسه فجلس إلى بعض الجوانب وأنشأ قائلاً:

[الطويل]

ولما رأيتُ الصدر قد ضم معشراً ... وجَمْعهم يـزري وقـولهم الـوزرُ
تبـاعـدت عنهم عفـة وصيـانـة ... وقلت لنفسي حيث كنتِ هو الصدرُ

وأرسل إليه الأمير محمود باشا بعد وفاة الشيخ حسن الشريف ليقوم مَقامه في إمامة جامع الزيتونة فامتنع من ذلك وتعلّل بالكبر وأشار على الأمير بتقديم أخي الشريف المذكور فصنع.

ولم يزل على كمالاته إلى أن أدركه الهرم حيث تجاوز التسعين سنة في عمره وتوفي يوم الاثنين السابع عشر من شعبان الأكرم سنة 1243 ثلاث وأربعين ومائتين وألف ودفن بتربتهم بالزلاج عليه رحمة الله ورثاه العالم الشيخ أبو العباس أحمد الكيلاني بقوله:

[البسيط]

كأسُ الحِمام لعَمْرُ الله قد هـانَا ... من حادث مزَّق الأحْشَاءَ أوْهانَـا
رزيـة لم تـدع صـبراً ولا جَلَداً ... ولا حِجا يتسحيل الصبر أحيانـا
عَجِبت للشمس في الآفاق بازغةً ... كأنها مـا درت تصديقَ مـا كانـا
عجبت للبدر يزهـو في معارجـه ... كأنه مـا رأى في الأفق نُقصانـا
نَعْيٌ لقـد أدهش الألبَابَ مـوقعُه ... ومـا وجدنـا إلى السُّلوان أعوانـا
نَعْيٌ لقـد أظلم الآفـاق مـأتمُـه ... فـأضرم القلب والأحشـاء نِـيرانـا
خَطْبٌ له أعين الإسلام ساهـرة ... والدمـع يَهْمي من الأجفان هَتَّانا
خَطْبٌ فظيعٌ لقد هـام الأنام بـه ... أصْمى قلوبـاً وقـد أصم آذانـا
فالعقل منصرم والصدر مضطرم[1] ... والحُزن منسجم والدمع قد خانا

---

(1) في الأصل منضطرم.

إلـه صبري من دهماء قد برّحت[1] لم تُبْقِ للعقـل تذكـاراً ونسيـانـا
كيف السلو وطود العلم أودى به ريب المنون وحبل الصبر قد وانى؟
يا ناعيَ البين لا جوزيت صالحة فهل لقيت كتاج الـدين إنسانـا؟
محمد المرتضى المحجوب قد[2] حجبت عنـه النقـائص إسـرارًا وإعـلانـا
شمس الهُدى شيخ الإسلام الذي صعدت بـه المكـارم حتى جـاز كيـوانـا
من معشرٍ بهمُ الفتيا لقد سحبت في موقف الفخر والإعجاب أردانا
حـازوا سياستهـا شادوا رئـاستهـا مـشـايخـاً وكـهـولاً ثم شّبـانـا
وكان في شرعة الإسلام تبصـرة للمهتـدين وإرشـاداً وبُـرهـانا
منـه استفـاد مفيـد كـل منتخـب من المفاخر ما لم يحص أثمانا
سبحان من خصه فضلاً بعارضة حـوت بيـانـاً وتحصيـلاً وإتقـانـا
كما حوت روحه في الخلد منزلة حـازت من النّوْر والأزهـار ألْوَانا
لله روضٌ لقـد ضمت جـوانبـه من ضيّق الأرض إكراماً وإحسانا
ومن سَمَا بالذي كانت مجـالسُه معمـورة أبـدا علمـاً وعِـرْفَـانـا
يـا زائراً رمسـه ادعـو بمـرحمـة واسئل له من إله العرش غُفرانا
وقـد أتـاك طعين السن مـرتـقبـاً من فيض جودك إحساناً ورضوانا
فـاجزل قِـراه بما يـرجو مؤرخـه (فرمسُه قد روى روحاً وريحانا)

- 26 -

الشيخ محمد الدرناوي[3]

هو الشيخ محمد بن حسين[4] الدرناوي نشأ هو وأخوه في طلب العلم الشريف، فأما أخوه أبو عبدالله محمد الدرناوي[5] فقد تعلق بالآداب وتحلّى

(1) في الأصل: إله صبري من دهيماء قد صرخت.
(2) في الأصل: ما.
(3) ترجمته في الإتحاف (ج 7 ص 19) وفي شجرة النور (ج 1 ص 350).
(4) الذي في الإتحاف والشجرة: ابن حسن والتحقيق ما ذكره المؤلف وارجع إلى ما كتبته في أول حلقة لي من أدباء سالفون.
(5) ترجمت له في العمل الثقافي في الملحق عدد 77 سنة 1970.

بحلية الكُتّاب، وفي نظم الشعر البديع، ختم على الشيخ أبي محمد عبدالله السوسي المختصر الخليلي ومدحه عند الختم بقصيدته التي قال في مطلعها:

[الطويل]

سلوا مدمعي الهتان عن شرح أحوالي وعن غربتي عن أهلِ منذ أحوالِ

وهي قصيدة طويلة مثبتة في شعره وختم على الشيخ أبي عبدالله محمد الغرياني صحيحَ البُخَاري ومدحه عند الختم بقصيدة قال في مطلعها:

[الطويل]

تَصَبَّرْ على الشكوى وإن برّح الحُبُّ وأن تألَفَ السَّلْوَى وإن برّح الحِبُّ

ولما استكمل التعاليم، وتقدم في الإنشاء على كل حميم، أولاه الأمير علي باي خطة الكتابة وتقدم في مراتبها إلى أن بلغ الرئاسَة في مبدإ دولة الأمير حمودة باشا غير أنه عزل منها بعد حين ولازم بيته على وجاهته واحترامه إلى أن توفي في أواسط ربيع الأول من سنة 1211 إحدى عشرة ومائتين وألف ورسمت على قبره قصيدة من شعر الشيخ مُحمّد قَلاّلة تاريخها:

[الكامل]

أيّامَ مولده الشريف فأرخن وإلى علا الجنات سار محمد

وأمّا أخوه صاحب الترجمة فإنه سبق أخاه المذكور إلى العلوم الشرعية فتضلع فيها حتى كتب على شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي وكتب على درّة الفرائض وكتب على صحيح البخاري فهو فقيه فرضي من جهابذة علماء المعقول، ودروسُه بجامع الزيتونة من أعز الدروس تحقيقاً وتحريراً، له اليد الطولى في الفصاحة وحسن الخَطّ عَالِي الهمة متواضع.

ولما توفي الشيخ الثعالبي قدمه الأمير حمودة باشا إلى خطة الفُتيا ومشيخة بئر الحجار سنة 1197 سبع وتسعين ومائة وألف فأحسن العمل لله والعباد، وأفاد المتعلمين والمستفتين بطريقة تستجاد، إلى أن توفِّيَ وصار إلى رحمة الله تعالى

بالطاعون العام أواسط رجب الأصب سنة 1199 تسع وتسعين ومائة وألف ودفن مع أخيه بأعلى جبل الفتح في الجهة اليمنى بتربتهم عليهم رحمة الله ورسم على قبره تاريخٌ من شعر أخيه وهو:

[الكامل]

ها قد توسد في الضريح صعيدا ... من بعد ما جاز السِّماك صُعُودَا
من كان يا بُشْراه جلَّ حياته ... في سلكه باب التقى معدودا
العالم المفتي الذي أحكامه ... سلكت طريقاً في الأنام حميدا
فخر الزمان محمد الدرناوي من ... عَانَى العلوم وأصرف[1] المجهودا
زان المدارس والدروس ببثه ... عِلْما لطلاب العلوم مفيدا
فلكم تصانيفٌ له تَسْبي النّهى ... أخفى الخمود لها وجا المشهودا[2]
قد أم بابك يا جوادُ فهب له ... قصراً بجنات النعيم مَشِيدا
قد مات بالطاعون قلت مؤرخاً ... (تُربٌ زكِي أَمَّ الجَوَادا شهيدا)

- 27 -

الشيخ أحمد سويسي[3]

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن محمد سويسي الشريف، كان جده أبو عبدالله محمد بفتح أوله خيراً فاضلاً جليلاً ولي إمامة مسجد باب الخضراء.

وكان ميلاد ولده الشيخ أبي الحسن علي سنة 1075 خمس وسبعين وألف وتصدى لقراءة العلم الشريف فقرأ على الشيخ سعيد الشريف والشيخ محمد فتاتة، وقرأ على الشيخ علي الصُّوفي مختصر السعد على التلخيص، وقرأ على

---

(1) في الأصل: أبذل.

(2) كذا في الأصل.

(3) ترجمته في الإتحاف (ج 7 ص 104) وشجرة النور (ج 1 ص 367).

الشيخ محمود مِهتار التلويح على صدر الشريعة، وقرأ على الشيخ مصطفى بن عبد الكريم تسهيل ابن مالك، وقرأ على الشيخ قاسم المؤخر كثيراً من الفرائض، وقرأ على المحدث الشيخ سعيد المحجوز صحيح البخاري. وتقدم لخطة التجويد بجامع الزيتونة وكان حسن الصورة تخشع له القلوب فعمر[1] الجامع تلاوة وتدريساً حتى كان شيخ شيوخ جامع الزيتونة علماً وعملاً وصلاحاً وله وُلوع بحب الصالحين وزياراتهم والفزع إليهم في المهمات الدنياوية والعلمية؛ قدم إلى تونس أحد العلماء المغاربة مجتازاً إلى بيت الله الحرام وأورد على علماء الحاضرة في ذلك العصر سؤالاً من علم الكلام فلم يجب عنه أحد إلى أن كاد أن يرجع الشيخ آيبًا من تونس فحضر كثير من علماء ذلك العصر إلى شيخ جامع الزيتونة وسألوه الاجتماع بالعالم المغربي وإجابة سؤاله ولما أورد عليه السؤال وأخذ الشيخ يفكر في جوابه قال له المغربي: اعلم يا سيدي أني أمهلتك في الجواب إلى أن نرجع من حجتي هذه إلى تونس وإن شئت إلى سنة بعدها وإن شئت أكثر فقال له الشيخ لا حاجة بنا إلى طول المدة وإنما نجتمع إن شاء الله بعد ثلاثة أيام وخرج من عنده فاكترى حماراً وقصد جبل المنار إلى أن أتى ضريح الشيخ سيدي أبي سعيد الباجي رضي الله عنه فجلس عنده وسأله السؤال وجلس هنالك فأخذه النعاس وبينما هو بين النائم واليقظان وإذا هو يرى الشيخ الباجي خارجاً من ضريحه إلى أن خرج نصفُ جسده فاستعاده السؤال وأجابه عنه فاستيقظ الشيخ وبمجرد ذلك أخذ فحماً من مبخرة الزاوية وكبت بها الجواب على الرخام واستحضر الكاغظ ونقله كتابة وتأمله فإذا هو الجواب الشافي فرجع من الغد واجتمع بالمغربي واستعاده السؤال فأملى عليه الجواب فصاح المغربي وقال له يا سيدي قم بنا إلى من أجابك فوالله لا يجيب عنه إلا مفتوحاً عليه من رجال الله فصدقه الشيخ وذهب به إلى زيارة ضريح الباجي رضي الله عنه.

ولم يَزَلْ على علمه وفضله إلى أن توفي نحو سنة 1146 ست وأربعين ومائة وألف.

---

(1) في الأصل: معمر.

وأما ولده صاحب الترجمة فقد نشأ بين يدي أخيه وأخذ عنه وعن والده وعن الشيخ أبي محمد عبدالله السوسي والشيخ محمد الهدة وقد وقفت على إجازة الشيخ السوسي لصاحب الترجمة وأخيه مؤرخة بأشرف ربيعي سنة 1170 سبعين ومائة وألف وهي إجازة مطلقة عامة تشهد لهما بما اشتهر من علمهما وفضلهما، وتصدى للتدريس فأفاد الطالبين وتقدم إماماً بمسجد باب الخضراء كجده ووالده، وكانت ولايته ذلك أوائل صفر الخيرسنة 1170 سبعين ومائة وألف على عهد الأمير محمد الرشيد، وتقدم لخطة العدالة في جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم قدمه الأمير علي باي شاهداً على أوقاف السور وكانت يومئذ من الخطط النبيهة فوليها في المحرم سنة 1175 خمس وسبعين ومائة وألف، وقام بواجب معاينتها قياماً كلياً.

ثم إن الأمير علي باي لما عزل الصفوة العالم الفاضل الشيخ عبد الكبير الشريف من إمامة جامع أبي محمد الحفصي قدمه لها أوائل جمادى الأولى سنة 1187 سبع وثمانين ومائة وألف فزان المنبر والمحراب وخطب الخطب البديعة وهو في أثناء ذلك كله يبث العلم في صدور الرجال إلى أن توفي الشيخ الدرناوي فقدمه الأمير حمودة باشا لخطة الفُتيا وأعطى أخاه مشيخة مدرسة بئر الحجار أواسط رجب الأصب سنة 1199 تسع وتسعين ومائة وألف فامتنع من ذلك معتذراً بأنه لا يمكن له أن يتقدم على أخيه وشيخه محمد سويسي حيث كان قاضياً، والأمير لم يسمح بنقلته من الخطة المذكورة بُخْلاً به لعلمه ودينه وعند ذلك ألزمه الأمير التقدم للفتيا وآذنه أن يتأخر عن أخيه فتقدم إلى خطة الإفتاء وباشرها بالعلم والعمل والتواضع وأخلاق الصالحين والقناعة.

ولما تُوفي أخوه ولي عوضه مشيخة مدرسة بئر الحجار وزانها بدروسه الفائقة، وتحريراته الرائقة، إلى أن أتاه أجله فتوفي في ذي القعدة سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بتربتهم في أعلى جبل الفتح من الزلاج عليه رحمة الله وخَلَفه في إمامة الجامع الحفصي ورواية مسجد الحفصي وَلده الأكبر الشيخ عثمان سويسي، ورثاه العالم الشاعر الشيخ أحمد الكيلاني بقوله:

[البسيط]

للمرء ما عاش في دنياه وِجدانُ ... وعادة الدهر أفراح وأحزانُ
فقل لمن يبتغي الدنيا وزُخرفها ... هيهات هيهات جفن الموت يَقْظان
قدم لنفسك ما ينجيك يوم غدٍ ... وكابد النصح[1] لا يغررك سلوان
وكن كصاحب هذا القبر مجتهداً ... في طاعة السّرِّ لم يصحبك خذلان
أعني سويْسِي أبا العباس أحمد من ... سارت بتحقيقه في العلم ركبان
شيخ جليلٌ خطيب واعظ وله ... في منهج الرشد تحرير وإتقان
قد كان يفتي ولم يُحْفَظْ له خلل ... وكم له لاتباع الحق إذعان
ناشدتك الله قَبْراً هَلْ سموت بِمَن ... صنيعه في دجى الأسحار قرآن
وهل ظفرت بجسم راق منظره ... وطاب من نشره روح وريحان
يا زائراً رمسه تدعو بمرحمة ... يُرْجَى له فيه[2] عند الله غفران
وقل أتاك مسن العمر في خجل ... وقصده منكم برّ ورضوان
فاجْزِلْ قراه بما يرجو مؤرخه ... (نجل التقى ناله عفو وغفران)

1232

- 28 -

الشيخ حسن الشريف

تقدم استيفاء ترجمته في الأيمة وقد ولي الفتيا وأقام مفتياً دائماً بعد وفاة الشيخ أحمد سويسي سنتين زان فيهما الخطة إلى أن توفي عليه رحمة الله.

- 29 -

الشيخ محمد المحجوب[3]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن قاسم ابن الحاج الشريف، ثالث

(1) في الأصل: التقوى.
(2) في الأصل: منها.
(3) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 63).

آبائه الكرام في الخطة الشرعية قرأ على فحول العلماء وأكثر قراءته على والده الشيخ مَحمد المحجوب وعمه الشيخ عمر المحجوب.

وشارك في المعقول والمنقول مشاركة ما وجلس للإشهاد مدة ثم تقدم لخطة الإفتاء يوم الجمعة الحادي عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف فباشر الخطة مع المحافظة على شرفها وهو مدل بعلم والده مع ماله من حسن التصرف والسكينة والوقار وكرم الجار بحيث لم يحفظ عنه خطأ مدة ولايته كلها.

ولما توفي والده تقدم عليه الشيخ إسماعيل التميمي لخطة الرئاسة ثم بعده تقدم عليه الشخ إبراهيم الرياحي ثم تقدم عليه الشيخ محمد بن سلامة مفتياً ثانياً[1] مع الشيخ إبراهيم.

وبقي صاحب الترجمة مفتياً ثالثاً محترماً ملازماً للمحافظة على همته والخطبة بجامع الزيتونة الكائن خارج باب البحر غير أنه عزل من ذلك في آخر أمره.

وقد امتحن بفقد ولده الشيخ أحمد المحجوب وكان من أعيان كتاب الدولة فتوفي في الخامس عشر من ذي القعدة الحرام سنة 1260 ستين مائتين وألف وصبر والده لفقده واحتسب مصيبته. ولم يزل على احترامه واعتباره إلى أن أدركه الأجل المحتوم فتوفي يوم السبت خامس ذي الحجة الحرام سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين وألف، ودفن بتربتهم في الزلاج عليه رحمة الله ورثاه أحد شعراء العصر بقوله:

[الطويل]

ألا فانظروا من صار بين الجنادلِ ... لقد كان في دُنياه صدر الأماثلِ
وأصبح تحت الأرض من كان فوقها ... وما كان إلا زينةً للمحافل
هُوَ الألْمَعِي فخُر الزمان محمد ... سليلُ جدودٍ من كرامٍ أفاضل

(1) في الأصل: ثالثاً.

فجدهم المحجوب يُعزَى نجاره ... لبيت شريف من خيار القبائل
لقد كان في الفتيا حميداً وما رأى ... له أحد فيه جنوحاً لباطل
فيكفيه ما قد ناله من أوائل ... أقر لهم بالفضل جمع الأفاضل
فقد زِينَتِ الفتوى بهم وتبرجت ... وتاهت على رغم الحسود المُجادِل
بهم قد أشاد الله مذهب مالك ... وأحْيَوْا رسوماً قد خلت من مماثل
وقد كان[1] للدين الحنيفي صارماً ... وفي الحق ما مالوا إلى قول عاذل
فيا زائراً بالله أُدع برحمة ... تواجهه عند انتهاء المآمل
وأهد له أم الكتاب مرداً ... ولا تك عما قد سئلت بغافل
عليه من الرحمن أزكى تحية ... تروح عليه بالضحى والأصائل
وكافئه يا ربّ[2] بقول مؤرخ ... (له برياض الخلد أعلى المنازل)

- 30 -
الشيخ إسماعيل التميمي[3]

هو الشيخ أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن حمودة باشا الشريف التميمي ولد ببلد منزل تميم عام 1165 خمس وستين ومائة وألف، وحفظ بها القرآن العظيم على العارف بالله الشيخ أحمد بن سليمان[4].

ثم قدم إلى حاضرة تونس في طلب العلم الشريف، وتصدى للأخذ عن شيوخ الجامع، فقرأ على الشيخ محمد الغنجاتي والشيخ محمد الشحمي وغيرهما ولازم فَحْلي المعقول والمنقول الشيخ عمر المحجوب والشيخ صالح الكواش فأخذ عنهما ما لاح به بدراً في أفق المعارف، يُسدي من تحقيقه وتحريره أعزّ العوارف.

---

(1) كذا بالأصل.
(2) في الأصل: مولاي.
(3) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 11) والشجرة (ج 1 ص 370).
(4) ترجم له في الأتحاف (ج 7 ص 125).

وقد أجازه شيخه المحجوب بإجازة بديعة نصها:

[الكامل]

حَمداً لك اللهم يا من أنعما ... بخرائِدِ العلم العزيز وعَلَّمَا
واستنهض النقاد في تحويطها ... بخياطة الإسناد أن لا تُكْلَمَا
فنفوا شَمَارِيج[1] الحديث وبينوا ... موضوعه وجلوا عن القلب العما
حتى اجتنينا بعد كلَ سَلَجْلَج[2] ... بل واجتلينا منه حالية الدُّمَى

وشكراً على نعمائك التي بسطت لنا خوانها، وآلائك الّتي هصرت لنا أفنانها، ونستوهب منك عرفاناً يزجينا إليك، وإيقاناً يدلنا عليك، وغفراناً نصل به حبالَنا، ونسند إليه آمالنا.

[الكامل]

يا من خزائن جوده مملوّة ... وذخيرةٌ مَرْجُوّة للمذنبِ

ونصلي ونسلم على محمد واسطة عقد النظام، ونور حديقة الانتظام، الذي شاد من الشريعة بنيانها، وأقام لقسطاس العدل أركانها، وعلى آله وأصحابه الذين أشرقت في سماء الملة نجومهم، وأحرقت مردة العداء رُجُومَهُمْ، صلاة وسلاماً يهمي مدرارهما، فتوالى على مَمَرِّ الأحقاب تكرارهما.

وبعد فإن العبد الفقير الغريق في بحور التسويف، عمر بن القاسم المحجوب الشريف، تجلّى الله له باسمه اللطيف، وأسبغ عليه ظل غفرانه الوريف، يقول إن أخانا في الله ومحبنا من أجله الفقيه النجيب الأنبه الأريب السيد الشريف ذي القدر المنيف، أبا الفداء إسماعيل ابن المرحوم أبي عبدالله محمد باشا التميمي حرس الله بهجته، وحاط عن الغلط مُهجته، ممن أرهف في العلوم ظباته، وهزّ في ميدانها قناته، وتسنم من آيات[3] المسائل غاربها، ونال

(1) شرح هذه الكلمة في الأصل بأنها الأباطيل.
(2) شرحت هذه الكلمة في الأصل بمعنى الطيب.
(3) في الأصل من أبيات.

من الفنون رغائبها، وارتضع أخلافها، وعرف من المنقولات وفاقها وخلافها، وأخذ من الرواية بعنانها، وجالت من خيل الدراية في ميدانها، وقد لازمنا مدة مديدة وقرأ علينا كتباً عديدة، واقترح عَلَيَّ أعزه أن أجيزه، وأن ينظم في سلك هذه الأسانيد إبريزه، وعلمه محيط بأنا لسنا من أهل الاستجازة فضلاً عن الإجازة.

[الطويل]

ولكن إذا ما أقفرت دار زينبٍ وصوّح واديها وَجَفَّ مَعينُهَا
فلا غرو أن يستمرأ التمر وارداً[1] ويُسْمَى هزيلاً حين عزَّ سمينها

فطوى ثوبنا على بلله وأغضى عن عيوبه وعِلَله بعد أن أطلعْتُه على خَيبة أمرْي وصدقته سنَّ بكري واسحثنا في كتب هذه الإجازة، ونويت بعد أن لويت إنجازه، ثم ما وسعنا إلاّ إسعافه، عـزّ علينا إخفاته وإخلافهُ، فأجبته لمطلوبه وأسعفته لمرغوبه حرصاً على دعوة خير يهديها، وضراعةٍ في أوقات الاستجابة يبديها وقد أجزت الفاضل المذكور إجازة عامة مطلقة تامة بجميع ما أخذته، ولمشايخنا أسندته، بما تضمنه هذا الثَّبَتُ وغَيْرُهُ وأجزته أيضاً بجميع ما قرأته وأخذته عن والدنا عن الشيخ محمد زيتونة عن شيخه الفاضل سيدي محمد الزرقاني عن والده الشيخ عبد الباقي عن شيخه سيدي علي الأجهوري فيما رواه عن مشايخه المشهورين قدّس الله أسرارهم، وأخضل مزارهم، وبجميع ما أخذته عن غير هؤلاء بطريق من طرق الأخذ إجازة مشيّدة البنيان معربة عن علو الشان، مسلسلة بالأيمة الأعيان، مجلية لصاحبها وقائلة أطرزي[2] فإنَّكَ فاعله وأجزته أن يجيز غيره بالشرط المعروف عند أهل هذا الشان والله تعالى ينفع به في جميع الأحيان، وعليه في ذلك أن لا ينساني وأولادي من صالح دعواته ويخصني بالاستعطاف عقب دروسه وصلواته، والله أسأل أن يكلأه من الدهر ونكباته، ويلطف بنا وبه في القضاء وسطواته، إنه خير مأمول وأكرم مسؤول لا إله إلا هو. وصلى الله على سيدنا محمد وآله صلاة دائمة وفي رياض القبول سائمة ما

---

(1) في الأصل: يستقدق الثمر وارد. (2) هكذا بالأصل.

اهتزت الأقلام، ما وتأنق بليغ في المبدإ والختام، والسلام من كاتبه ببنانه أسير خطاياه والمكبل[1] في قيود خطاه الملتحف برداء الذنوب، عمر بن القاسم المحجوب، ستر الله عيوبه وكشف عنه خطوبه، ولم شعث تقصيره ومؤمِّن صنيعه عند مصيره بمنه وكرمه آمين.

وقد تقدم لخطة الإشهاد فكان من ثقاة الموثقين، وجهابذة الراسخين، وأخذ الرتبة العالية في صناعتي التدريس والتوثيق، وسلك مسالك التحرير والتحقيق.

ولما عُزل الشيخ عمر المحجوب من خطة القضاء وامتنع الشيخ إبراهيم الرياحي من البقاء على الخطة قدّمه الأمير حمودة باشا لخطّة القضاء صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من صفر الخير سنة 1221 إحدى وعشرين ومائتين وألف واسْتَبْشَرَ بولايته الخاص والعام، وهنأه بها خاصة الأعلام.

ومن ذلك ما هنأه به تلميذه الأكْتَبُ الشاعر الشيخ الحبيب بن أحمد الأصرم، وكانت ولادته بأرض الجزائر سنة 1168 ثمان وستين ومائة وألف مدة تغرُّبِ والده مع الموالي الحسينيين، وقرأ بتونس وارتقى إلى دست الكتابة وكانت وفاته رابع المحرم سنة 1234 أربع وثلاثين ومائتين وألف، وكان شاعراً ومن شعره ما هنأ به صاحب الترجمة بولاية خطة القضاء وهو قوله:

[الطويل]

محياك من شمس الظهيرة أنوَرُ ... وذكرك من زهر الحدائق أعطرُ
وإنك للدرُّ اليتيم الذي به ... ينافس أعيان الأنام ويفخر
إذا لُحْتَ ما بَيْن السِّماكين طالعاً ... تراءت لك الألحاظ عجباً وكَبَّرُوا
ففخرك أضحى من عقائل عزه ... يَجُرُّ رداءً بالهما يتبختر
فَضلْتَ تميماً في مسالك نظمهم ... ومَنْ كنت ظل الكل عنك مقصر
ترقيت بالرأي الأصيل لرتبة ... يذل لها كسرى ويقصر قيصر

(1) في الأصل: المكيّل.

وكم لبست وشي الجلال وكيف لا ... وعَمَّن سواك اليوم تـزهو وتكبـر
أيَحْكيك نحرير ومثلك في الورى ... كبحر عـظيم بـالغـوامض يزخر
فلا زلت في حفظ منيع ورفعـة ... وبطش شديد في أعاديك تظفـر
يؤازرك الإسعـاد والـدهـر قـادم ... مـطيع لمـا قد شئتـه حين تَأمُـرُ

فباشر الخطة بعلمه وثباته وعدله ورسوخ قدمه في معرفة فقه القضاء واستحضار النوازل وسلك فيها مناهج المجتهدين وقام بحقوقها على أكمل وجه نحو العشرين سنة[1] ثم قدمه الأمير عثمان باشا مفتياً ثالثاً تاسع ربيع الثاني سنة 1230 ثلاثين ومائتين وألف فأقام في الفتيا ثلاثة أشهر وأعيد إلى خطة القضاء سابع رجب، وأظهر في فقه القضاء من معارفه العجب.

ولما توفي العالم الصالح الشيخ محمد بن نصر القابسي ليلة الثلاثاء الثامن عشر من أشرف الربيعين سنة ثلاث وثلاثين تقدم عِوضه لمشيخة المدرسة الأندلسية فأقام مع ذلك دُرُوسها.

وفي أثناء ذلك ألف:

1 ـ رسالة في الوقف أبدع في مغزاها، ورصعها لمن يحاول في رياض الفقه انتزاها، فقرظها شيخُ الإسلام أبو عبد الله محمد بيرم الثاني بقوله:

[البسيط]

رسـالة لستَ تُلْفِي مـا يـدانيهـا ... في حسن ألفاظها أوفي معـانيها
نـظرتهـا فـإذا التحقيق من كثب ... يدعو إذا رمت شيئا في مراميها[2]
بها (البيانُ مع التحصيل) إذ جعلت ... قـواعـد لأصـول من مبـانيهـا
فهي (المَعُونة) إذ أضحت (مُدَوّنَةً) ... مبـاحثاً لا تـرى في غيرهـا فِيهَا
قد أنبأت عن يد طولى (وَعارِضةٍ) ... قـويَّـة لمُـعـانـيهـا وَمُـنْشِـيهـا

---

(1) صوابه نحو العشر سنين لأنه ولي القضاء سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف، والفتيا سنة ثلاثين ومائتين وألف، والذي في الإتحاف ولي الفتيا سنة إحدى وثلاثين.

(2) جاء هذا العجز في الأصل هكذا: يدعو إذا رمهم ذوسى فمن فيها.

جَازاه مولاه عن سَعْيٍ له برضى ... فـذاك في نفسـه أعلى أمَـانِيهـا
وعـمَّنـا بـعمـيم مـن مـواهبـه ... فضلاً ولا انقطعت عنا مجاريهـا
بجـاه من نرتجي منه الشفاعة مِنْ ... ما في القيامة من عُظْمَى دَواهيها
عليه أزكى صلاة الله ما انتشرت ... في الأرض أزهى الدراري في مغانيها[1]

وقرَّظها المفتي المالكي الشيخ حسن الشريف بقوله:

[البسيط]

رسـالة أبـرزت من فكـر منشيها ... شمـوسَ فضل وإتقـان معـانيهـا
حَلَّت نظاماً وحلت في النباهة ما ... قد جلَّ إدراكـه من غير مُبـديها
سـامرتُهـا فاقتـطفت الدر مُبْتَـذَلاً ... وأسكـرتني حـلالاً مِن أمَـاليهـا
وأطرب الفكر منهـا كلُّ سَـاجِعَةٍ ... بـطول معنى بليـغ في معـانيهـا
وأوسعتني عـطاء من نـوادرهـا ... لتقتضي الشكـر موفـوراً لمنشيها
فقمت أوسعـه شكـراً وأنشـدهـا ... زدت العلو لـذاك النـور تنـويهـا

وقرظها الشيخ محمد بيرم الثالث بقوله:

[الطويل]

أسرّح طرفي في رياض صنيعكمْ ... لأبصـر من أنواركم كـلَّ شـارقِ
وأقتبس التحقيقَ من فَيْض بحركم ... فأكتسب العِرْفـان من كل بـارقِ
فيا علمَ الأعلامِ أخرجت للنهى ... نتـائـج فكـرٍ بـالعلوم الـدقـائقِ
به شدت للأعلام جُل اجتهادهم ... وأوضحت للأفهام درك الحقـائقِ
فلا زلت بحراً موجداً دُرر النهى ... ولا زلت شمس الغرب بلْ والمشارق

وقرظها القاضي الحنفي يومئذ الشيخ محمد بن أحمد بن حمودة بن الخوجة بقوله:

لله تعالى أحمد وأصلي وأسلم على نبيّه أحمد وعلى أصحابه الكرام وآله، الهادين كل متحيِّرٍ وَالِهٍ، وبعد فلما كانت هذه الرسالة، المتفجرة منها ينابيع

(1) جاء هذا العجز في الأصل هكذا: في الأرض أخو الدراري في معانيها.

التحقيق السلسالة، نافعة وإن نفعها لَعَام، كانت جديرة بثناء الخاص عليها والعام، من غير فصل[1] بين الكبار والصغار، من أولي العز والصّغار، فأردت أن أنتظم في سلك من هو لعنان الثناء عليها ثاني، وإن كنت فلا مرية من القسم الثاني، فأقول إني اجتنيت ثمرات هاته الأوراق، من كل دان من أغصانها أوراق، واستنشقت من فوائح نشرها، حين أخذت في فتحها ونشرها، والتذذت بفوائح أرجها، حين طفقت أسيم اللحظ في درجها، فما وقعت على كلام لمنشئها النحرير، إلا وهو في غاية التّحرير، ولا عثرت له فيها على تعبير إلا وهو في نهاية التّحبير، ولا رأيت منها محلاً، إلا وهو بالتحقيق مُحَلًّى، إلى غير ذلك من خصالها الحميدة وخلالها، الحاصلة كما يرى في خلالها، مما لا يقدر على إحصَائه يَراع، ولو كلف بذلك يُراع، فللَّه دَرها، من رسالة نَفيسٌ دُرُّهَا:

[البسيط]

رسالة قد سَبَتْ حِجَا مُعانيها ... السحر في لفظها أو في مَعَانيها
يا حسنَها روضةً أطَيارها صرخت ... لله كم شنفت سمعي مغانيها
كم راق فكريَ في أدواح ما غرستْ ... يدُ الذكاء التي شدت مبانيها

ولعمر الله يمين صادق والكذب على مَهْ[2] إنها لأصدق شاهد وأوضح علامة، على أن منشئها جهبذ علامة، وأن له يداً طولى واقتداراً على التحقيق وطَولاً وذهناً متلألئاً ذَكا، مشرقاً إشراق ذُكا، إلى غير ذلك مما لا يطيق أحد عدَّه، ولو أعد لذلك أعظم عُده.

[الطويل]

وإنيَ لا أسْطِيع كُنه صفاته ... وَلَوْ أن أعضائي جميعاً تكلموا

لا زال يُدرّ هكذا نفائس الدر متخلياً عن الخلل، متحلياً بالحلل.

وقد ألف غير ذلك من مهمات الرسائل:

---

(1) في الأصل: فضل.
(2) كذا في الأصل.

2 ـ فمن ذلك رسالة في الجواب عن ثلاثةِ أسئلة سئل عنها سنة 1244 في الاقتصاص من أحد الرجلين المتمالئين على القتل أو كليهما.

3 ـ ورسالة في التطوع بالنفقة وأخذ العالم الغني من الزكاة وهل إن سامح الأمير أحداً في الزكاة تسقط عنه أم لا.

4 ـ ورسالة في الجواب عمن يخلط الرديء بالطيب ليبيعَهما معاً.

5 ـ ورسالة أجاب بها عن سؤال وجهه المقدس حسين باشا فيمن حبَّس عقاراً برسم خال من الحوز والقبول واشترط الغلة لنفسه بقية حياته.

6 ـ ورسالة أجاب بها الأمير المذكور عن سؤال أتاه به على لسان حضرة كاتبه المقرّب العالم المدرس الشيخ محمد المنّاعي في قوم من المسلمين استأسرهم العدو بمراكبه وتحققوا أنهم مقتولون لما رأوه وقع بغيرهم هل يجوز لهم حرق خزنة البارود نكاية بالعدو ولإهلاك مراكبه وإن كانوا ميتين من ذلك لا محالة وهل تحصل لهم الشهادة بهذا الممات أم لا.

7 ـ ورسالة أجاب بها الشيخ إبراهيم الرياحي فيمن حلف بالطلاق ما بقيت تقعد [1].

8 ـ ورسالة في الجواب عن نازلة حبس مالكي.

9 ـ ورسالة الوصية بالثلث.

10 ـ ورسالة في حبس بعض نساء الملوك على قراء القرآن ليقرءوا على قبرها وأوضح بها حكم هاته القراءات على القبور.

11 ـ ورسالة أجاب بها مفتي سوسة الشيخ حسن الهدة في طريق غير نافذة.

12 ـ ورسالة أجاب بها عن سؤال ورد له من تقرت من بلاد الصحراء هل يسوغ عزل الأصلح من وكالة أوقاف الجامع وإمامته أم لا وهل تنعقد الولاية لغير الأصلح أم لا.

---

(1) هكذا بالأصل ولعلَّ الصواب تقعدين.

13 ـ ورسالة أخرى في الجواب عن أربعة أسئلة كثيرة الدوران.

14 ـ ورسالة في حكم الفئة الباغية إذا قتلوا أحداً هل يقتل به من أمكن الحصول عليه أو لا يقتل غير المقاتل.

15 ـ ورسالة في حكم وطء الأمة المشتراة للتجارة على ذمة صاحب المال مع أن المدير شريك في الربح فهل يسوغ له ذلك بحق الشركة في الربح أم لا.

16 ـ ورسالة في حكم لبس العمامة واستعمال شراريب الحرير في البرانس.

17 ـ ورسالة في قول الفقهاء ولا يجمع بين عاصبين.

18 ـ ورسالة في حكم الشهادة إذا تأخرت عن وقتها استدرك بها على الشيخ قاسم عظوم.

19 ـ ورسالة فيمن حبس عقاراً غير معين.

20 ـ ورسالة فيمن حلف على زوجته فقصدت تحنيثه.

21 ـ ورسالة في البيع على اليتيم.

22 ـ ورسالة في كون اللوازم الشرعية كاللوازم العقلية.

23 ـ ورسالة في الرجوع عن الوصية.

إلى غير ذلك من الرسائل التي لتحرير تلك المسائل، من أعظم الوسائل، وكم له من مراسلات، حررت أحكاماً بالآيات البينات.

وبعد وفاة الشيخ حسن الشريف تقدم إلى خُطة الإفتاء يوم عيد النحر سنة أربع وثلاثين وأقام على خطته إلى أن سعى به بعض السّفهاء المتزلفين لملوك الإطلاق بأنه تتبع الأجفار ويخير بقصر مدة الأمير، ولما حضر يوم المجلس بباردو لم يأذن له بالدخول مع الشيوخ وأخبرهم الخبر فلم يفه منهم واحد بجواب فعزله الأمير من خطة الإفتاء يوم الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين وألف وأولى مكانه الشيخ محمد المحجوب مفتياً والشيخ

محمد الشرفي عدلَ باب الجزيرة شيخاً على المدرسة الأندلسية ونفاه إلى ماطر فأقام هنالك.

قيل إنه بعد مدة أرسل أحد تلاميذه إلى زاوية الشيخ سيدي أحمد بن عروس رضي الله عنه يطلب منه الإذن في الرجوع ويشكوه ذلك المقام ففعل التلميذ ورجع للشيخ بماطر وأخبره أنه رأى في نومه رجلاً خارجاً من الزاوية ينشد:

[البسيط]

أبان مولـده عن طيب عنصره يـا طيب مبتـدإ منـه ومختتم

فقال الشيخ ها أنا في انتظار إلى ربيع الأول وكان الأمر كذلك ففي أول يوم من ربيع الأول سنة 1236 ورد إليه البشير بالإذن بالرجوع إلى تونس.

ورأيتُ في بعض تقاييد معاصريه أنه إنما أقام في ماطر أربعة وثلاثين يوماً ورجع إلى تونس يوم الجمعة الخامس عشر من ذي الحجة فعاد إلى الحاضرة ولاقى من إقبال العلماء وتعظيمهم لمقامه ما هـو أهله واقترحـوا عليه أن يُقـريهم المسائل وإفادة كل سائل ودروسه محط لرحال أهل العلوم سلك فيها من التحقيق مسلكه المعلوم.

ثم إن الأمير حسين باشا قدّمه مفتياً ثانياً يوم الخميس السادس والعشرين من رجب سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين وألف بين المفتيين المحجوبين الوالد وولده فزان خطة الإفتا، بطريقه لا ترى فيها عِوَجاً ولا أمتاً.

وأقام المفتي، وعم نفعه المتعلم والمستفتي، إلى أن توفي رئيس أهل الشورى أبو عبدالله مَحمد المحجوب فقدمه الأمير المذكور للرئاسة في شعبان الأكرم سنة 1243 ثلاث وأربعين ومائتين وألف فزان الخطة علماً وعملاً وفقهاً مديداً.

وولي الخطبة والإمامة بجامع أبي محمد الحفصي فخطب الخطب البليغة

من إنشائه، وقام بأعباء حفظ الشريعة بحسن إفتائه، إذ كـان من حفاظ المذهب المالكي أخذاً في تحقيق المناط متضلعاً في أصول المذهب ومدارك الأيمّة له عناية بتحرير المستند في الأحكام لا يأخذ فقهاً مسلّماً بدون تحقيق للأصول التي يُبنَى عليها وكتائبه الفقهية ومراسلاته حجة اليوم عند الفقهاء المالكية محفوظة عندهم.

اخْتَلَفَ في المجلس الشرعي هو والشيخ مَحمد المحجوب كبير أهل الشورى في نازلة تشعب فيها الخلاف بينهما، وطالت النازلة ولم يقع التسليم فيها فَلَّما كان يوم اجتماع المجلس قال له الشيخ مَحمد المحجوب كيف ساغ أن تخالفني في مسالة أعلم ما جرى فيها من عهد الإمام مالك أعلم من قضى بها منذ ذلك العصر إلى هذا اليوم فقال له الشيخ إسماعيل وإني لأعلم ذلك وأعلم وجه ما قضى به فيها كلُّ قاضٍ إلى هذا اليوم والحقُّ فيها غير ما تحاولونه وحسبك بهذا دليلاً على سعة علمهما رضي الله عنهما.

ومع هذا كله فإن صاحب الترجمة له في العلوم المعقولة يد طولى مع فصاحة لسانه وحفظه لتاريخ البلاد وحسن محاضرة لا تمل آية الله في الذكاء محب للصالحين حسن الأخلاق عالي الهمَّـة كريم النفس نـزيه مستحضـر للجواب، مرجع للأحكام والفتاوي حسن القامة أكثر لبسه البياض نظيف الشيب والثياب عفيف لا تأخذه في الحق لومة لائم.

وقد بلغ من العمر أربعاً وثمانين سنة وتوفي بعد الزوال بساعة من يوم الاثنين الخامس عشر من جمادى الأولى[1] سنة 1248 ثمان وأربعين ومائتين وألف ودفن من الغد بالزلاج وحضر جنازته الأمير وآل بيته والعلماء عليه رحمة الله ورثاه الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحي بقوله:

[الطويل]

هل الناس إلا هالك وابن هالكِ وعـزُّ البقـا لله غـيـر مُشَـارِكِ

(1) في الأصل: الثانية، وما أثبتناه هو ما في الإتحاف.

ولو أنه يبقى على الدهر فاضل ... لحقّ لنحرير عَليٍّ المدارك
كهذا الذي أمسى الثرى متوسداً ... ونجم الثريا منه تحت أرائك
لقد كان سيفاً في الشريعة صارماً ... ونورَ ظَلاَم في الجهالة حالك
إذا نشر التحقيق في روض درسه ... فيالك من نشر من المسك صائِك
ومهما دعا في موقف الفهم فاركاً[1] ... على غيره جاءت له غير فارك
قضاياه في جيد القضاء قلائدُ ... فتاواه تيجانٌ لمذهب مالك
إذا قال إسماعيل فالكل منصت ... لأجزل معنى من صياغة سابك[2]
مشى ذكره في العَالَمين كما مشت ... ذُكاءُ ولكن ذكره غير دالك[3]
إلى رحمة المولى مضى وهو آمل ... لمقعد[4] صدق عند أكرم مالك
ولما مضى أبكى القلوب توجعاً ... وإن كان ذا وجه من البشر ضاحك
وعم الأسى حتى لساعة[5] دفنه ... بكى المزن وَبْلاً بالدموع السّوابك[6]
لذاك تأتى أن يقول مؤرخ[7] ... (لعين السما جَرْيٌ على قبر مالك)
1248

- 31 -

الشيخ الشاذلي بن المؤدب[8]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد الشاذلي بن عمر بن علي المؤدب ابن حسن المغربي الشريف كان جده الشيخ أبو الحسن علي بن حسن المغربي مؤدباً

---

(1) وفي الديوان باركا وكذا في آخر البيت.
(2) في الأصل سالك.
(3) جاء هذا البيت في الأصل هكذا:
مشى ذكره في العالمين كما مشى ... ذكاؤه لكن ذكره غير ذلك
(4) في الأصل: لمقصد.
(5) في الأصل: بساعة.
(6) في الأصل: الشوابك.
(7) في الأصل: لذلك يأتي أن يقول مؤرخ.
(8) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 62) وفي الشجرة (ج 1 ص 386) وذكر فيها أنه توفي سنة 1262 والصواب أنه سنة 1263.

وتقدم إماماً بمسجد ابن جيشة بحاضرة تونس وبها توفي سنة 1196 ست وتسعين ومائة وألف.

ونشأ ولده الشيخ أبو حفص عمر بن المؤدب في خدمة العلم الشريف وصاهر الصفوة الفاضل الشريف الشيخ علي بن أحمد دمام[1] شيخ المغارة الشاذلية وابن شيخها وكان عالماً فاضلاً. ولما توفي صهره والد زوجته تقدم الشيخ عمر بن المؤدب لمشيخة المغارة سنة 1206 ست ومائتين وألف وذلك مبدأ دخولهم لمشيخة المغارة الشاذلية وتقدم أيضاً عوضه إماماً بجامع باب الجزيرة فزان المغارة والجامع بفصاحته وعلمه وعمله وله مع ذلك دروس يقريها بجامع الزيتونة.

ولما هاجر الشيخ العيوني لطريق الله وأعرض عن الدنيا وكان الإمامَ الثالث بجامع الزيتونة أرسل إليه الأمير حمودة باشا للتقدم إماماً ثالثاً وكان وقتئذٍ مقيماً بجبل المنار فامتنع من ذلك كل الامتناع حتى أتاه خليفة الجامع الشيخ عمر المحجوب وبه مرض وأكرهه على قبول الإمامة فقبلها يوم الأحد الثامن والعشرين من جمادى الثانية سنة 1220 عشرين ومائتين وألف، وكان الإمام البكري يومئذٍ محجوراً عليه والخليفة مريضاً فلازم الشيخ الإقامة في الجامع وأقام الخمس والجمعة وعمّر ما بين أوقات الصلاة بدروس يقريها فكان زينة للجامع. وحج بيت الله الحرام واستمر إماماً ثالثاً إلى أن توفي الشيخ الطاهر بن مسعود فقدمه الأمير محمود باشا خليفة بجامع الزيتونة أواخر صفر الخير سنة 1234 أربع وثلاثين ومائتين وألف، فزان الخطة إلى أن استكمل من العمر خمساً وثمانين سنة (85) وتوفي ليلة الأحد الثامن عشر من جمادى الأولى سنة 1245 خمس وأربعين ومائتين وألف وقيل في تاريخه: رحمة الله عليك يا عمر.

وأما ولده صاحب الترجمة فقد ولد سنة 1190 تسعين ومائة وألف وأخذ عن والده وعن الشيخ أبي محمد حسن الشريف والشيخ الطاهر بن مسعود والشيخ

---

(1) في الأصل: دموم.

صالح الكواش والشيخ أحمد بن الخوجة. والشيخ أحمد بوخريص وتصدى للتدريس، فبث في صدور الرجال در علومه النفيس، وحج بيت الله الحرام فأقام بمصر نحو ستة أشهر واجتمع بعلماء الجامع الأزهر ولازم العالم الرباني الشيخ النميلي هنالك ولم يُقدم على الخروج لزيارة ضريح سيدي أبي الحسن الشاذلي بدون إذن تأدباً معه رضي الله عنه ورجع سالماً.

ولما تقدم والده لإمامة جامع الزيتونة استولى هو عوضه إماماً بجامع باب الجزيرة في جمادى الثانية سنة عشرين ولازم التدريس.

ثم أكره على خطة القضاء في ذي القعدة الحرام سنة إحدى وأربعين فقضى بحكمه العدل، وقضائه الفصل، نحو التسعة عشر شهراً وَلَمَّا توفي كبير أهل الشورى المحجوبي الثاني قدمه الأمير حسين باشا مفتياً ثالثاً سنة 1243 ثلاث وأربعين ومائتين وألف فعاد إلى التدريس بجامع الزيتونة ولازم الإفتاء.

ولما توفي والده قدمه الأمير إماماً ثالثاً بجامع الزيتونة وشيخاً في المغارة الشاذلية فزان الجامع بحسن التلاوة والعلم والعمل وجمّل الطريقة الشاذلية ولازم الفتوى، بعلم وتقوى، وكانت الشيوخ يجتمعون في داره في كل أسبوع ليلة المجلس للنظر في النوازل الشرعية حتى يقع الانفصال بينهم هنالك يقيمون تلك الليلة في المسامرة العلمية إلى صلاة الصبح كما هو شأن المتحرين لدينهم.

ولما توفي الشيخ إسماعيل التميمي ولي مشيخة المدرسة الأندلسية سنة 1248 ثمان وأربعين ومائتين وألف تقدم لخطة التدريس بجامع الزيتونة في الرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان المعظم سنة 1258 ثمان وخمسين فعَظُم به نفع المنقطعين لقراءة العلم الشريف.

ولما ولي الشيخ محمد بن سلامة مفتياً ثانياً عاد مفتياً رابعاً وجاءه الشيخ المذكور لداره يعتذر إليه فلم يتأثر من ذلك كشأن الأخيار ولازم التدريس والإفتاء ونفع الله بعلمه. وقد أخذ عنه جل شيوخنا الذين أدركناهم وهو عالم فاضل خيّر فصيح تقي بالله متلبس بأخلاق الصالحين محب لهم عزيز النفس ملازم للتدريس

حسن القامة إلى طول آدم اللون طويل الوجه والذقن غلب عليه الشيب ذو سكينة ووقار جَهْوري الصوت في خطبه وقد خطب كثيراً من إنشائه ولم يزل على كمالاته إلى أن توفي وهو المفتي الثالث والإمام الثالث بجامع الزيتونة أوائل صفر الخير سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين وألف[1] ودفن جوار والده بالبيت الذي على يسار الداخل لبيت الذكر من المغارة الشاذلية عليه رحمة الله وقد رأيت من مدائحه قصيدة أنشئت بين يديه عند ختمه الوسطى في علم الكلام بجامع الزيتونة أوائل ثاني جمادى سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف من شعر تلميذه يومئذ المفتي الشيخ محمد بن سلامة وهي قوله:

[الطويل]

لذيذ الهوى دمع تعوده السَّفْحُ وقلب له من حرّ لاعجه لفحُ

إلخ.

- 32 -

الشيخ إبراهيم الرياحي

تقدم استيفاء ترجمته في الأيمة ولما توفي كبير أهل الشورى الشيخ إسماعيل التميمي تقدم للخطة المذكورة من أول وهلة في جمادى الأولى سنة 1248 ثمان وأربعين ومائتين وألف وتقدم بذلك على الشيخ محمد المحجوب والشيخ الشاذلي بن المؤدب ولازم الخطة المذكورة أكثر من تسع عشرة سنة إلى أن توفي عليه رحمة الله آمين.

- 33 -

الشيخ محمد الخضّار[2]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن مَحمد الخضار أصله من أبناء الحاضرة، وكان والده يحترف ببيع الخضر وتعاطي الدِّلالة بسوق التّرك، وكان خيراً فاضلاً

(1) وقع الغلط في كتابه تاريخ وفاته بلسان القلم حيث جاء سنة ست وثلاثين ومائتين وألف مع أنه جاء في رسم الغبار صحيحاً وهو ما في الإتحاف.

(2) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 81) عنوان الأريب (ج 2 ص 104) وفي شجرة النور (ج 1 ص 389).

وليس هو من ذرية الولي الصالح الناسك الشيخ علي الخضار الأندلسي المتوفى آخر ذي القعدة الحرام سنة 1065 خمس وستين وألف في حالة سجوده من صلاة العصر بجامع الزيتونة رضي الله عنه كما توهم.

وقد ولد صاحب الترجمة سنة تسع ومائتين ونشأ في طلب العلم وسعى في تحصيله فقرأ على الشيخ أبي محمد حسن الشريف والشيخ الطاهر بن مسعود والشيخ إبراهيم الرياحي والشيخ محمد الستّاري[1] وغيرهم وأخذ الفرائض والحساب عن الشيخ أبي عبدالله محمد بن ملوكة وتعاطى العلوم الحكمية بالمطالعة وقرأ أوراقاً من المواقف[2] على الشيخ محمد الفاسي، وتسلط على علوم أُخر مثل الكيمياء والرمل وما شاكلهما، واجتمع مع قرينه الشيخ محمد البحري على نظر شرح القاضي زادة علي الجُغميني في الهيئة بمقصورة النَّواورية بجامع الزيتونة قبل صلاة الظهر وفي أثنائه حَضر هنالك الشيخ عثمان النجار المرجع الوحيد في ذلك الفن فعَرضا عليه بعض المسائل وصار يأتيهما كثيراً في ذلك الوقت مساعدة لهما على ذلك الكتاب إلى أن تَمَّ ختمه وتعاطى نظمَ الشعر فسبق إلى غايته بحسن قريحته الوقادة، وهكذا كانت تعلماته أكثرها بالتسلط ومع ذلك بلغ غايات لم تدرك بما له من رسوخ الفكر واتقاد القريحة مع قلة قراءته وجلس للتدريس فأفاد الطالبين بعلمه وذكائه العجيب، وخرج لحج بيت الله الحرام وكان وقع للتاجر العروسي نزاع مع أحد شركائه بالشام وتوفي وخلّف مالاً فتكلف الشيخ بنازلته ولما فرغ من حجته ارتحل إلى الشام واجتمع في مكة بالشيخ أحمد بن السنوسي والشيخ محمد بن أحمد[1] وغيرهما من رجال الحديث المشاهير واجتمع في الشام بفحول العلماء وكانت مدة مغيبه خمس سنين.

ثم رجع إلى تونس وأقام على بث العلم في جامع الزيتونة وتقدم قاضياً في

---

(1) في الأصل: السناري.

(2) في الأصل: الموانب.

(3) بياض بالأصل.

المحلّة المنصورة بعد وفاة قاضي المحلة الشيخ أحمد زروق سنة 48 ثمان وأربعين فسافر مع الأمير مصطفى باشا وسافر بعد ذلك مع المشير الأول أحمد باشا، وولي الإمامة والخطبة بجامع التوفيق فخطب من إنشائه خطباً يلين بها الحجر الصلد ثم قدمه الأمير للفتيا فصار مفتياً رابعاً في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين وألف، وتقدم لخطة التدريس بجامع الزيتونة في الرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان المعظم سنة 58 ثمان وخمسين وأقام على إفادة الطالبين والمستفتين ولما تقدم الشيخ محمد بن سلامة مفتياً ثانياً من أول وهلة صار صاحب الترجمة مفتياً خامساً.

وكان عالماً متضلعاً في العلوم العقلية يميل إلى الحكميات فقيهاً خيراً نقادة، اقتصر في عام 54 أربعة وخمسين على حضور ثلاثة أختام في شهر رمضان وهي ختم الشيخ محمد بيرم الثالث والشيخ الرابع والشيخ محمد بن الخوجة وقيل له في ذلك فقال:

[مخلَّع البسيط]

عيــون أختــامنــا ثــلاثُ[1] قد أحرزت في الكمال فَضْلاَ
لـغيــرهــا لا أشــد رحـلي وهــل تُشــد الــرحــال إلا

وهو حسن الأخلاق والاعتقاد نفع الله بعلمه كثيراً فصيح القلم واللسان شاعر مُفلق ينسج على منوال عزيز بذّ فيه على شعراء عصره بالجزالة وإحكام النسج أثبت له في كتابي مجمع الدواوين التونسية قطعةً وافرة تناهز الكراسين وتدل على رسوخ قدمه في الآداب التي أتى منها بالعجب العجاب وكان حسنَ المفاكهة والمحاضرة يطربه الصوت الحسن قيل له في ذلك في بعض المجامع فقال:

---

(1) في الأصل: ثلاثة.

[مجزوء الرمل]

لا تـلمنـي يـا عَـذولـي إنّـني[1] فـي الـحـب داعِ
حـسـنٌ فـي نـاظـري وحـسـيـن فـي سـمـاعـي

إلا أنه غر كريم في بعض الأحيان يتصور للأشياء المعقولة وجوداً خارجياً كثيراً ما يداعبه أحبته على الطعام الحلو فيصفونه له بالحرارة فيشتكي ألم حرارته ويظهر عليه أثر شكايته ويقيم عند صديقه الوزير العربي زروق بجبل المنار وإذا عزم على الإياب دَسّ له الوزير المذكور من يتحدث في المجلس بوجود اللصوص وقطاع الطريق فيعدل عن عزمه ويقيم إلى أن يتأكد عنده أمن الطريق.

وقد ثقل عليه في آخر عمر ضعف بصره فكان من ذلك في تعب أخبرني الشيخ محمود قابادو أنه أرسل إليه هدية من راحة الحُلقوم وكتب إليه صحبتها:

[الكامل]

مولاي إن كرام إسلامبول قد بعثـوا إلي بـرحلة وقـدومِ
ورأوا كأن الدرس أتعب مِقولي فتـداركوه[2] بـراحـة الحلقـوم

وكان الحاضِرُ بين يديه شيخ لا يُحسن القراءة فقرأها عليه قراءة نثر فظنها الشيخ من النثر فكتب إليه مجيباً بنثر وهو قوله: بعثوا لك يا مولاي بما يشبه في اللين دماثة أخلاقك وفي الطيب نداء صولتك وأعراقك، وفي العذوبة ما تجده النفس عند ارتشاف أذواقك، فلئن بعثوا لك راحة الحلقوم فلأنت راحة النفوس، ولا غرو أن ما فعلوا معك ذلك فلا عطر من عروس[3].

ومن لطائف شعره ما كتبه إلى شيخ الإسلام متشفعاً في بعض المسجونين من العدول فقال:

---

(1) في الأصل: إن لي.
(2) في الأصل: فتداركوا.
(3) لعله بعد عروس.

[البسيط]

أعيـذ أيـديَ للنعمـاء مـوجبـة ... أن يظهر السلب يوماً في مَبانيها
وطلعـةٌ قُـرنت بـاليمن مسفـرةً ... أن يرهق اليأس يوماً من يعانيها
يـا سيداً منـه للأيـام إذ عسفت ... أسنى شفيع فلا تحفل بلاحيهـا
نُبئت أن قـد أتى نعمان واقعـة ... يستـوجب الزجـرَ بالتعزيز آتيهـا
لكـن له[1] صبيـة باتت مـروعـة ... ذرف العيـون بما تبكي بـواكيها
فـانـظر لهن رعـاك الله مُقتصـداً ... فـأنت من أنت إجلَالاً وتنـويهـا

فأجابه شيخ الإسلام البيرمي الرابع بقوله:

[البسيط]

وافت تساقط در القول مِنْ فيهـا ... وتخلب العقل بالسحر الذي فيها
وتسلب الـفلك الأعـلى دراريـه ... وتستفيـد بهـا حَلْيـا يُحَلّيـهـا
تـالله ما طـرقت سمعي لطافتهـا ... فـلا أطيق لهـا وصفـاً وتشبِيهـا
وأبرزت في مدى استعطافها جُملاً ... لم يأت في بابها شيءٌ يدانيهـا
فما لها من جـواب غير رجعتهـا ... بنجـح مـا علقت فيـه أمـانيهـا
أما البلاغة فالإنصـاف يشهد أن ... لا قِرن في سبقها يوماً يجـاريها

وكان مع ذلك ملازماً للإفادة بجامع الزيتونة وتلاميذه بين يديه يسردون له، وتحقيقاته يضرب بها المثل، وقد أدركت جامع الزيتونة وجميع شيوخنا فيه لهم به سَند في العلوم رضي الله عنه.

ولما توفي الشيخ الشاذلي بن المؤدب صار مفتياً رابعاً، ثم بوفاة الشيخ محمد المحجوب صار مفتياً ثالثاً، ثم بوفاة الشيخ محمد بن سلامة صار مفتياً ثانياً. ولما توفي الشيخ إبراهيم الرياحي كبير أهل الشورى تعلّل المشير أحمد باشا في عدم تقديم صاحب الترجمة لكبره وضعف بصره فقدم عليه الشيخ أحمد ابن حسين وبقي هو على خُطته. وكان طويل القامة كثير النشوق محبباً إلى الناس

(1) في الأصل: به.

ملازماً للتدريس إلى أن توفي في ذي القعدة الحرام سنة 1267 سبع وستين ومائتين وألف عليه رحمة الله آمين.

- 34 -

الشيخ محمد بن سلامة[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن الطيب بن أحمد بن علي بن الباهي بن سلامة الطرابلسي المحمودي من بني سليم قدم جده الباهي من سلامة من طرابلس إلى حاضرة تونس وكان بها مؤدّباً.

ونشأ ولده الشيخ أبو الحسن علي في خدمة العلم الشريف وقرأ على فحول العلماء وتصدى لبث العلم في جامع الزيتونة فأخذ عنه علماء كثيرون منهم شيخ الإسلام البَيْرمي الثاني وغيره وتقدم إماماً وخطيباً بجامع التَّوفيق فزان المحراب والمنبر بعلمه وفصاحته، وتقدم لخطة قضاء باردو المعمور فقام بها أحسن قيام وأنصف في إبرام الأحكام إلى أن سار لرحمة المالك العلام وأرخ وفاته الشيخ محمد المولا الحنفي بقوله:

[المتقارب]

ألا كل شيء ملاقٍ حِمامهْ ... بذا الربُّ في اللوح خطَّ ارتِسَامهْ
فطوبى لمن كان مستعتباً ... غداً سالكاً لسبيل[2] السلامهْ
كهذا الإمام الزكي مَنْ عليه ... قد انتشرت للقبول علامه
وقضّى الزمان بحسن قَضَاهُ ... وخصّ بدرس العلوم كَلَامه
ولبى مجيباً لداعي الحِمام ... فحَلَّ القصور بدار الكرامه
فأغمره الله من فضله ... وأعطاه رب البرايا مَرَامه
فمن أجل ذاك الورى أرخوا ... ببيت كسمط أجادوا انسجامه
حوى كل رفد وكل المُنى ... عليٌّ الإمام هو ابن سلامه

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 77) وفي الشجرة (ج 1 ص386).
(2) في الأصل: سبيل.

وترك ولدَه الشيخَ أبا العباس، متحلياً من العلم بأفخر لباس، أخذ العلم عن والده وعن الشيخ صالح الكوَّاش، وتصدى للتدريس فزان جامع الزيتونة. ولما توفي والده تقدم عوضه لإمامة جامع التوفيق وخطب على منبره كوالده ثم قدمه الأمير حمودة باشا قاضياً ببنزرت فأقام فيها مدة ثم حنّ إلى منبت غرسه فاستقال من الخطة وولي عوضه فيها الشيخ حمزة الجَبَّاس سنة خمس عشرة فأقام هنالك نحو الخمسة الأشهر ثم استقال فرجع مصحوباً بمرض لازمه إلى الوفاة.

وأمَّا الشيخ أحمد بن سلامة فإنه لما رجع إلى الحاضرة أقام على التدريس بجامع الزيتونة وتقدم شاهداً على أوقاف الحرمين الشريفين يوم الأحد الثامن عشر من جمادى الأولى سنة 1216 ست عشرة ومائتين وألف ولما تُوفي الشيخ صالح الكَوَّاش قدمه الأمير لمشيخة المدرسة المنتصرية عِوضه فزانه بدروسه ولما تُوفّي الشيخ الطاهر بن مسعود أواخر صفر الخير سنة 34 أربع وثلاثين تقدم عوضه مدرساً بجامع الزيتونة بدرس مراد باي وكانت دروسه بجامع الزيتونة بين فقهٍ وحديث مع القيام بشهادة الحَرمين الشريفين غير أنها كانت سبب محنته التي أصيب بها في آخر عمره وذلك أن الأمير حسين باشا كان يبلغه عنه ما يسوؤه من ذم دولته ومدح أبناء عمه السالفين وكان يغض الطرف عن ذلك حتى اتفق أن عرضت نازلة زيتون أوصلته الوراثة للشيخ أحمد بن سلامة وهو في شركة ابن الأمير محمد باي فأراد الأمير أن يضم لابنه الجزء الذي بيد الشيخ ورام أن يرسل إليه في طلب بيعه فامتنع رجال الدولة كلهم من طلب الشيخ في ذلك متعللين بتشدُّدِه وعدمِ ميله للدولة فتأكد عند الأمير ما كان يبلغه فأرسل إليه وأحضره بين يديه وسأله بيع الزيتون بما يريد من الثمن فلم يتهيب أن تجاسر عليه بكلمات لا يخاطب بها الملوك بعد التمنع من البيع وتزايد أمامه في التفاوه حتى أمر بقتله فأخرج من بين يديه وترامى أحد أعيان الدولة على الأمير متوسلاً في حفظ دمه لعلمه فقبل شفاعته وأمر بعزله من جميع وظائفه وهي شهادة أوقاف الحرمين الشريفين ودرس مراد باي بجامع الزيتونة وجراية ثلاثة أرباع من الجزية ومشيخة المدرسة المنتصرية التي قد وليها بعده الشيخ محمد العذاري قاضي المحلة وأمر بسجنه ومحاسبته عما تعاطاه في أوقاف الحرمين الشريفين فأجْلَتْ المحاسبة على

أن عند الشيخ أموالاً باهظة أخذ فيها جميع كسبه الذي منه جزء الزيتون الذي امتنع من بيعه وبقي ولده يجمع المال ويدفع عن والده إلى أن أصابه مرض الطاعون العام فتوفي في سجنه يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة 1234 أربع وثلاثين ومائتين وألف ورثاه الشيخ أبو عبد الله محمد بيرم الثاني بقصيدة قال في آخرها:

[الطويل]

فيا زائراً إنْ حمت حول ضريحه ... فزوده مما كان يُبديه في الدَّرْسِ
وقل يا أبا العباس وابن سلامة ... عليك سلام ما بقيت بذا الرَّمْسِ
وما قرأ المجتازُ قول مؤرخ ... (ليهنيك ما قد نِلْت من أطيب الأنس)

(1234)

وأما ولده الشيخ الطيب فقد كان ثقة عدلاً تقدم لشهادة الحرمين الشريفين وامتحن بفقد ولده في حياته وتوفي سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين وألف.

وأما ولدهُ صاحبُ الترجمة فقد ولد عام 1216 ستة عشر ومائتين وألف، وتبناه جده واعتنى بتعليمه، فأخذ عنه كثيراً من كتب المبادىء إلى أن ختم عليه المكودي على الألفية وحفظ على يده كثيراً من المتون وجلس للأخذ عن علماء جامع الزيتونة، فقرأ على الشيخ محمد بيرم الثالث علم البيان، وقرأ على الشيخ الشاذلي بن المؤدب الكفاية وشرح الشيخ السنوسي على العقيدة، وقرأ على الشيخ محمد السقاط، وقرأ على الشيخ محمد المناعي شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي، وقرأ على غير هؤلاء كتباً كثيرة من المعقول والمنقول حتى قرأ تفسير القاضي البيضاوي على الشيخ إبراهيم الرياحي واستجازَه فأجاز له بقوله:

[الكامل]

حمداً لمن جعل الإجازة سلما ... يرث المجاز بنيلها نسباً سما
وصلاته وسلامه أبداً على ... خيرِ الورى متعلّما ومعلما

ولآله وجميع أمته الرضى لاسيما علماؤهُم لا سيما
هذا وإن الفاضلَ ابنَ سلامةٍ ذاك الذي متْن الكمالِ تسنَّما
هشَّت إلى نيل الإجازة نفسه لما رآها للأفاضل مَغنَما
فمن الفقير لها ارتجى مَعْ أنني ما كنت للظمآن فيها مَعْلَما
لكنْ رجوتُ تشبهاً برجالها آبائنا العلماء ومن يشبه فما
فأقول إني قد أجزت له بلا ثنيا رواية ما يصح ليَ انتمى
من كل ما أدريه أو أرويه لا الـ ـجعفيَّ أقصده فقط أو مُسْلِمَا
مُوصي كما أوصيتُ بالتقوى التي أوصى بها القرآن نصاً محكما
وبدعوة منه بقلب حاضر أرجو بها حسن الختام مكرَّما
والله إبراهيمُ يَحمدُ مبدياً أزكى الصلاة على الرَّسول مسلّما

وتصدى للإقراء فأخذ عنه كثيرون وفي سنة إحدى وخمسين أولاه الأمير شهادة أوقاف المارستان والتكية فقبل الأولى وامتنع من قبول الثانية حيث كانت ولايتُها بيد الشيخ محمد المساكني صهر الشيخ الشاذلي بن المؤدب مراعاة لشيخه ثم في رمضان المعظم سنة 53 ثلاث وخمسين ولي إمامة جامع سبحان الله ومشيخة المدرسة المنتصرية وخطب من إنشائه فزان بأدبه وفصاحته المنبر ولما تقدم الشيخ الخضار للفتيا قدمه المشير أحمد باشا باي قاضي المحلة المنصورة يوم الجُمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة 53 .

وكان ملازماً للشيخ محمد البحري فأخذ عنه فقه القضاء ولما توفي الشيخ المذكور وترقى للخطة جَدّي الشيخ مَحمد السنوسي تقدم صاحب الترجمة لقضاء باردو أواخر ربيع الأول سنة 1254 أربع وخمسين ومائتين وألف فحضر في المجلس الشرعي وعَلَّق همته بمزاحمة الشيوخ وتكلم في المجامع العلمية.

ولما توفي جَدّي المذكور قدمه المشير قاضياً بالحاضرة أول شهر رمضان المعظم سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين وألف، وكان عالي الهمة فشمر عن ساعد الجد واستعان عل الخطة بفحول أهل عصره وجمع العلماء بداره للمسامرة على المسائل فلم يلبث أن صار فقيهاً ذا خبرة بفقه القضاء.

وصار من فحول العلماء مع ما عنده من الميل إلى الدنيا وحب متاعها وقد ساعده على ذلك البخت فتمكن حبه من نفس المشير أحمد باشا وأفاض عليه سجال نعمه وأعطاه العطايا العباسية حتى صار يدخل عليه إلى بيته بدون إذن ولا يتخلف عن زيارته ومسامرته. ولما استحكم أمره عنده استظهر بحجج جده في ذلك الزيتون الذي أخذه منه المقدَّس حسين باشا وطلب من المشير أن يُملِّكه جميعَه فأرسل المشير في الحال إلى ابن عمه وولي عهده محمد باي وطالبه برسوم جميع الزيتون المذكور التي على ملكه، فلم يسعه إلا أن أرسلها إليه وصدر أمر في تمليك جميعه له ولم يكفه ذلك حتى طلب من المشير استغلاله عن جميع السنين الفارطة من يوم خروج جزئه[1] من يد جده إلى ذلك العهد وآذن المشير بتحرير ذلك من دفاتر بيوعات الزيتون وأعطاه في مقابلة ذلك كثيراً من الربع والعقار وكفى بهاته الواقعة شاهداً على نفوذ كلمته وسطوته وعلو شأنه وكان العقلاء ينكرون عليه ذلك خشية سوء عاقبته التي وقع فيها ولده من بعده لولا أن تداركه حلم المشير الثاني وذلك أن المولى مَحمد باشا باي لما استقلّ بالملك آذن بوضع اليد على جميع ملك الشيخ ابن سلامة الذي أعطاه المشير أحمد باشا باي حيث إنه ملك الدولة أخذه بدون حق وإن رجوعه لبيت مال المسلمين أولى وتصرفت الدولة في جميع الربع والعقار الذي انتزعه من ملكه وأصبح ولده لا كسب له ومع ذلك طولب بدفع ثمن ما فوَّته الشيخ بالمبيع وعظم الكرب بذلك لولا أن تداركت عناية الله وحلمُ المشير وكرمُ نفسه فتفضل أولاً بإسقاط الطلب فيما فات ثم اتفق أن وكيل البايليك تجاهر بالشكاية بمطالبة ولد الشيخ في المحكمة وكان ولد الشيخ جالساً بها في أثناء الكتاب فرأى المشير حال ولد الشيخ من الخَجَل والوجل والانكسار ووجد من نفسه ما يجد أبو الأبناء عند رؤية الخطوب، فرحم ذُلَّه وأصدر أمراً بإرجاع جميع ما كان في تصرف الشيخ إلى ولده رحمة منه وشفقة وهو أهل الفضل والكرم والله لا يضيع أجر المحسنين.

ولنرجع لما نحن بصدده من الكلام على صاحب الترجمة فنقول: إنه قد

---

(1) في الأصل: جزية.

استصحبه المشيرُ الأول في سفره لأطراف المملكة، وأظهر في ذلك السفر من البذاخة والبذل والإطعام ما لم يزل حديثه يتلى في كل جيل، كل ذلك بمساعدة مودة المشير إليه، واستحسان ما يقع منه وإعانته عليه.

ومكث في خطة القضاء نحو ثماني سنين انتهى إلى رتبة عالية في التفقه ثم إنه طلب من المشير أن ينقذه من ربقة القضاء بسبب رؤيا رأى فيها أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها تَنْهَاه وتحذره القضاء وأقام في داره متعللاً بالمرض وأرسل مكتوبَ استعفائه وهذا نصه:

أما بعد فلا يخفاك أن طاعتك فريضةٌ وأن من جزئياتها النصيحة لك كما قال عليه السلام: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأيمة المسلمين وعامتهم وها أنا ممن ألهمك الله في تقديمه لهاته الخطة التي بها قوام حال العباد والبلاد، وإلهامه لا يمنعك من إمعان النظر في صلاح القوم وعدمه إذ لا معارضة بين المن ووقوع المقدور على وفق مراد القدر والذي يجب علي أداء للحق نصيحةُ نفسي ونصيحتك أني لها لا أليق، ولِحَمْلِ أعبائها غير مطيق، لا من جهة الأهلية ولا من جهة ضعف البدن الذي قام عليه دليل العيان، وفي الحديث لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غَضْبان، قال العلماء كافة لا مفهوم لهذا الوصف بل هو إشارة إلى كل مشوِّش حتى الصيام فالمرض محل اتفاق أنه مُدْخَل في حديثه عليه السلام وإذا كان صاحب الشريعة قال[1] لي: لا تقضِ فكيف أعصيه فيما أنا أزعم كاذباً أنا نَائبه فيه حاشا لله أكون أهلاً للنيابة عنه وأنا المجروح، والملفوظ من رحى العدالة المطروح، فسألتك بجاهه الذي لا يرد إلا ما أقلتني وعن رضى منك عافيتني وهذا ربنا تعالى الملك الأكبر، لم يرد هنا الجاه فأنت يا ملك الأرض أحرى وأجدر، ولست أخادعك بالتمويه فإني لا أرضاه، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وقال تعالى بل الإنسان على نفسه بصيرة ثم ليكن في علمك أني لست على حَرْف في خدمتك ولا ممن تقرّبه الولاية أو تُبعده العزل عن حومتك بل ضعني من المنازل حيث شئت غير هاته الخطة فإني راض

(1) قال ساقطة من الأصل.

لأني لا أصلح للنيابة عن الله ورسوله في أحكامه والتحية معادة من فلان.

ثم إن الأمير راجعه وامتنع عن قبول استعفائه فأعاد إليه الطلب وألح على الخروج من الخطة وعند ذلك قبل الأمير استعفاءه وقدمه مفتياً ثانياً من أول وهلة وتقدم بذلك على من سبقه في الخطة وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة 1261 إحدى وستين ومائتين وألف وعند ذلك تصدى للإقراء بجامع الزيتونة فأقرأ شرح التاودي على العاصمية وألزم جميع مدرسي الجامع بالحضور عليه فحضروا وكان فيمن حضر بين يديه العالم الشيخ حمدة بن عاشور وكتب حاشية على الشرح المذكور مملوءة فقهاً وتحريراً وصل فيها إلى الرهن وقرظها جدي الكاتب الشاعر الشيخ محمد ابن الشيخ محمد السنوسي بقوله:

[البسيط]

زارتْ بتيهٍ ولم تخطر على بالي ... رغماً على أنف حُسّادي وعُذّالي
وأقبلت وعليها للبها حلل ... تختال في أرج منها وإجلال
وَسَكَّنَتْ قلب صب مغرمٍ دنفٍ ... بعد التمنع مشحوناً بإمطال
بتنا وللشهب غارات ومزدحم ... كأنها افتقدت قطباً وبرقال[1]
وقد خلوت بها واللّيل منسدل ... وحدي وقد ظفرتْ بالوصل آمالي
مددت كفّي لأحظى من تمتعها ... والنفس طاغية من فرط إملال
فصادفتْ عقدها المنضود فانتثرت ... منه الجواهر فافترَّتْ بإقبال
فَبِتُّ ألتقط الدر النفيس إلى ... أن أقبل الصبح أوْمَتْ لي بإنزالي[2]
فقلت من أنت قالت وهي ضاحكةٌ ... أنا ابنةُ الفكر مضروب بأمثال
أنا ابنة الثاقب الذهن الذي نشأتْ ... بين الأكارم في عز وإفضال
أنا اليتيمةُ في دهري ولا عجبٌ ... جسمي من الدر فاستبصر لإكمال
بحري محيط ولا يُخشى لراكبه ... بأس ولا عطب في خير أحوالي

---

(1) الصواب البرقيل ثم لام القافية مكسورة وها هنا تكون مفتوحة لأنها معطوفة على «قطبا» مفعول «افتقدت».

(2) في الأصل: بمرذالي.

إذ ذاك نبئت أن الـدرَّ مـنشـؤُه بحر السلامة فاسبح واتل أقوالي
ذاك الهمامُ الذي جالت قريحته بخـالص القَول إذ حُفّت بـأنْوَال
ذاك الذي عز عن شبه النظير له إذَا طمـا بحـر إعْمَـالٍ وإهمـال
بحر العلوم فلم يدركه ذو شرف سـواه يسبـح في فهم وإشكـال
في غامض الفقه يروي عن جهابذة لم يرم مرماه ذو سبق ولا تالي
حارت عقول النهى عن نيل مُدركه وفـاز عنهم بتحـريـر وأعمـال
يـا من تحكم بـالإبـداع رونقُـه وزانـه حسن تقـريـر كَسَلْسَـال
خذ هذه خردا تحكي فضائل ما صاغته أفكـاركم من غير إمـلال
لا زلت أيَّ سـراج يستضاء بـه إذَا دجـا مشكلُ يـوفي بـإجمـال

وكتب حاشة على خطبة القاضي البيضاوي تبلغ نيفاً وعشرين كرَّاساً، وشَرَح قصيدة البكري.

وأنشا قصيدة في فضل النعال الشريفة وشَرَحها.

وكتب تاريخاً تونسياً خصَّ به مخدومَه المشيرَ أحمد باشا باي أودعه ما شاء من أخباره معه وما قيل فيه من المدائح والأشعار.

وله رسالة في الحرب[1] بديعة سمّاها العقد النفيس وقدمها لمخدومه.

وقرَّظها الشيخ أبو عبدالله محمد بن الخوجة بما نصه:

يا حاملَ لواء مذهبِ مالك على كاهله، ومن لا يزول الصدى إلا بالكرع من عذب مناهله، الجهبذ الذي بيديه مقاليد اليراعة، الحائز قصبة السباق في ميادين البراعة مولانا سيدي محمد بن سلامه، كان الله له في الظعن والإقامه، أما بعد سلامٍ أرق من النسيم وأروق من محادثة الوسيم فقد زارني من بنات فكرك ما يخجل البدر، ويحاكيه في جلالة القدر.

[الكامل]

أندى على الأكباد من قطر الندى وَأَلَذّ في الأجفان من سِنَةِ الكَرَا

(1) لعلها في الحبس، وهي المعروفة برسالة القنديل.

غرض انفردت بمضماره، وتجردت لحماية ذماره، ومقصدٌ تتطأطأ له الرؤوس، وترتاح إليه النفوس، ويقول ناظره لاعطر بعد عروس، فحق لمولانا الملك المجيد، أن يحل هذا العِقد النفيس محل القلادة من الجيد وبالجملة فإن شأوَك لا يدرك وشعبك لا يسلك بحيث إن الحبر الماهر يعجز عن أن يأتي بمثاله أو يحوك على منواله.

[الطويل]

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويزعُم أن يأْتي لَها بضريب

فالله تعالى، يبقيك ويقيك، ونسأله أن لا يجري دمع الحزن في مئآقيك، والسلام ختام وقد أجابه صاحب الترجمة بما نصه:

يا أميرَ المذاهب كلها، وواضع ألويتها بمحلها، إن بتقليدك تلك الولاية، استطعت حمل تلك الراية ثم خافت بهمتَك الناظرة إليها سقوطاً، ولاحت بوصل من إشاراتك عليها لا صعوداً ولا هبوطاً قد حركت عزماتها بشائر طلائع إمدادك فأزالت عنها الفشل، فرواها ثناؤك عللاً بعد نهل، ولَعَمْري إنها التناعس انزوت بالنشاط وطالت، ودخلت بحومة النزال فجالت وقالت آذنني المولى الهمامُ شيخُ الإسلام، أن أتقدم بهذا الفضا، وأقول لكل مُصَلّ خلفي صلاته قضا منذ قدمني ركن الإسلام، محمد بن الخوجة الهمام وَاحد الدنيا والسلام.

[الطويل]

إذا قيل من في الناس يعدل كلَّهُم؟ فقل معلناً هُوَّ الإمامُ محمدُ
فما كان عن تعطيله فمعطل وما كان عن تقليده فمقلد

هذا وإن السلام لولا إنه تحية الإسلام لكان عدمُ الرد مقتضى المقام إذ بماذا أجيبك وأقول فيك وما ملأ الكَون يكفيك إن قلت أرق من النسيم فلطفه منك إليه سرى، أو قلت أروق من محادثة الوَسيم، فَعَسل بلاغتك في ريقه جرى، إذ لم يكن لولاك وأنت أنت وما أدراكَ لم يكن رد تحيتك إلا حياك مولاك، لله أبوك، لافض فوك، ولقد أرسلت بنتي على أن تستمد منك بختاً،

وتستعبر من قبولك ما تتخذه تختاً، فأتت بأكثر من الأمل ترفل في حلي وحلل، مع احتياجها أي احتياج، لأن العروس لا بد له من ملابس الابتهاج، فكانت إلى ما حليتها به من نيل الراجي ما شط من طلبه.

[الكامل]

أشهى إلى الراجين من نيل المنى وألـذُّ من وصل الحبيب لعـاشقِ
وأعـز من رؤيا العيـون محاسنـاً وأجـل من تـأكيـد ودّ سـابق

وليت مولانا يكتفي بتحليتها عن تحليتي فلم يفضحني في عجزي عن ثواب هديتي.

[البسيط]

مـا كلف الله نفساً غيـر طاقتهـا ولا تجـود يـد إلا بمـا تجـد

وما غرني ما ذكرته من شأني ورَفَعْت به مكاني، فكلنا في الأمر معذور، أنا على نفسي بصيرة وأنت بذاتك عند التحقيق مستور، نظرت في ذاتك، فانطبعت فيه محاسن صفاتك، وأنا في هذا المعنى أقول (شعر):

[الطويل]

وأحمق خلق الله من غـره أمْـرٌ رأى منه ما قد كان فيه انطباعه
فكـل فتى مـرآتـه عين ذاتـه فمـا غرني ممـا ذكرت سمـاعـه

أعزك الله وأجلك، وشَيد قدرك وأعلى محلك، وأجاب فيك ما يعود على كل مسلم نفعاً، اللهم لا تثلم الدين بفقدانه، ولا تزلزله فإنه أعظم أركانه، وأقر عينه في بنيه، وأريه فيهم ما رآه أبوه فيه، والسلام، ختام.

وقد طلب المشير الأول أحمد باشا باي معاوضة أرض وقف القنديل خارج باب سعدون في ربيع الأول سنة 1261 إحدى وستين فامتنع القاضي أبو عبدالله محمد البنا من ذلك حيث رأى فساد المعاوضة المذكورة فحرر صاحب الترجمة رسالة في صحة المعاوضة المذكورة نحا فيها عدة أنحاء واستشهد فيها بعمل

متأخري فحول المالكية والحنفية مثل القاضي إسماعيل والمولى الجد القاضي السنوسي وساق فيها من نظمه لقط الدرر، ما زان به تلك الطرر، وجرى عمل المشير على مقتضاها.

وقد قرظها شيخ الإسلام أبو عبدالله محمد بيرم الرابع بقوله:

[الطويل]

تبدت فأبدت للمعاني جُمانها ... فقال الهوى للحق كن ترجمانَهَا
ومن مفصح عما حوته طروسها ... فما أطلقت إلا بصدقٍ لسانَها
ألم ترها قد أبدعت في اجتنائها ... ومدت بما تهوى النفوس خِوانَها
وجاءت ببرهان لو احتملت به ... شناخب صم الصخر يوماً ألانها
فلله من أبْدَى جواهر عقدها ... ونظّم في تلك النصوص حسانها
وأبدع في تحقيقه غير منشئٍ ... لمسألة لم تُثن يوماً عنانَها
فما سألت غير الرِّضى ابن سلامة ... وقد كررت في خاطبيها امتحانها
وكانت حَروناً لا تطاق فراضها ... بإرشاده حتى أزال حِرانها
ومحجوبة عن طالبي لَمْحِ حسنها ... فأبدى لهم من حُجْبِهَا لَمَعَانَهَا
فلا زال مهما وجه الفكر كاشفاً ... لمشكلة إلا وأصلح شانها

وقرظها الشيخ أبو عبدالله محمد الخَضَّار بقوله:

[الطويل]

يميناً بمن بالحق شيَّد شانها ... لقد ودت الأفلاك تحوي مكانَها
وقد أبرزت شمس المعارف للورى ... ومدّت على أفق العلوم حِسَانَها[1]
فلا زلت عزاً للشريعة ملجأً ... إذا سامها التغيير كنت أمانها
إليك إمام الدين والعلم غادة ... كساها النهى ثوب الحياء فزانها
فإن قصرت فالصفح فيك سجية ... وإن كملت فالفضل منك أعانها
ولا زلت بحراً مستمراً ومورداً ... لتحقيق آيات تفيد بَيَانَها

(1) في الأصل: أزاحت على أفق النهاد برانها.

وقرظها العالم الأديب الشيخ محمد الأمين بن أحمد الكيلاني بقوله:

[الطويل]

طروس عقود بالنفائس زانها ... وجنّبها عما أضرّ[1] وَشَانَها
وأودع في تحقيق ما قد أتى به ... مباحث من حُرّ الكلام أبَانها
فلله ما أبدت قرائحُ فكره ... بوارق قد أجلت لها لمعانَها
وقد قبلت أعلام تونس ما أتى ... به من نقول قد أشاد بيانها
وسلمت الآراء لابن سلامة ... نفائس أبحاث من القدح صانها
وأثنوا على تحريرها وطرازها ... وما صاغ لفظاً في حُلاها وزانها
فَلَا بِدْعَ أن أمست تجرّ رداءها ... وقد فوقت للعاذلين سِنَانها
وقام لسان الحال عنها مترجماً ... فكن[2] كاشفاً للمشكلات فكانها
فلا أنسى لا أنسى عقوداً تنظّمت ... فرائد قد أجلت إلينا بَيَانها
فلا زال يهدي للعويصات فَهْمُه ... إذا حارت الأفهام يوماً أعانها

وقرظها الأديب الكاتب الشيخ محمد ابن خوجة الجلد الجزيري بقوله:

[الطويل]

تجلت فأجلى الحق فيها بيانها ... رسالة لا يلوي الزمان عنانها
فجاءت بإذن أن نعوض ملكنا ... نعم بالنفوس العوض اللَّذّ أزَانَها
حوت من نقول قاطعات فقل لمن ... يريد انتقاداً شامِخُ العلم صَانَها
هو العلم النحرير وابن سلامة ... به تصلح الأحكام مما أشانها
فلا استعصت الأقوال إلّا ألَانَها ... ولا خَفَتِ الأشياءُ إلا أبانَها
فناهيك من طود به يهتدي النُّهى ... وللسمحة البيضاء كان أمانها
فلا زال يرقى في المعالي وهكذا ... معاليه من فوق الثريا أصانها[3]

---

(1) في الأصل: أعاد.
(2) في الأصل: بكل.
(3) في الأصل: مكانُها.

وختم الشّفا للقاضي عياض بجامع الزيتونة وحضر في الختم المذكور كل من الأمير والمأمور ولم يتخلف عنه من الشيوخ غير الشيخ إبراهيم الرياحي.

وأنشد في آخر الختم من نظمه قوله:

[المتقارب]

بجاه الرسول النفيس الأجلْ ... فريدِ المعالي عزيزِ المثلْ
سألتك يا من بدا ذاته ... وحاشاه من كل عيب أخل
وأجلى به النورَ بعد العمى ... فكان الحري بوطء المقل
تفضل علينا بنيل المنى ... وإخلاص ما كان لي من عمل
قرأت الشفاء لكي أشتفي ... فكان الشفَاءَ لكل العلل
خدمت به حضرةَ المصطفى ... وإن كان منها بقدري أقل
أيا سيد الرسل يا من به ... إلى الله كلُّ خديمٍ وصلْ
تفضل بعدِّك لي خادماً ... فما بعد ذا مطلبٌ إن حصل
وجاز الأمير على صنعه ... بإعلاء مدحك أعلى القلل
فكان لإقراء ذا سبباً ... فَصِلْ منه حَبْلاً بِكُمْ قد وَصَلْ
وسهل سَبيلي إلى زورة ... وأنعم بإذنك لي عَنْ عَجَلْ
وذاك جزاءي لتدريسه ... لظنِّيَ محو الخطا والزلل
وحسنت ظني فأرخته ... تَمَّ الشفاء وراق العَملْ

1264

ومدحه في ذلك الختم الشيخ الطاهر بن عاشور بقصيدة بديعة وهي قوله:

[الطويل]

لَكَ الله من برق بَدَا متبسماً ... تألق ما بين المَنازِلِ والحِمَى
أضاء لطرفي بالعقيق معاهداً ... فهيج أشواق الفؤاد وتَيّما
فَديناك هل من ماءِ رامة رشفةً ... تَعَافَى بها القلب الجريح من الظما
وهَلْ تُحْسَن الأخبار عن عُرْب النقا؟ ... فَشَنِّفْ بها سمعي وإن كنت أعْجَمَا

هُمُ خَيّمـوا بالرَّقْمَتَيْنِ وَجَوُّهُمْ[1] على البُعد ما بين الترائب خَيَّمَا
عَـذُولِيَ دعني والتصابيَ والنَـوَى فَمَا نَفع التِـذْكَارُ سَمْعـاً مُصَمَّمَا
أيُرجْىَ سُلُوِّي بعد ما عاهدت يدي أهيل ودادِي عَهْد صدق مُحَكَّمَا
ومِن شِيمتي حفظ العهود وَصِدْقُها وما كل عهـد[2] بالـوفاء متممـا
من الماجد الأسمى الذي قد علت[3] له همة فوق السماك وإن سما
جليل كَسَا ركن الجلالة مفخـراً وأوضح من معنى السيادة مبهما
هو الحبر والعلاَّمة الفرد من غدت مـآثـرهُ في غـرة الـدَّهـر أنْجُمَـا
هو البحر لكن ساغ عذب زُلالـه هُو البدر إن ليل الجهالة أظلما
إمام محا رسم الضلال بهديه وأحْيَـا سبيـلاً للهـدايـةِ قَيِّمَـا
إذا ثـار نقع للخـلاف وأشكلت مسـالكه كـان الرّئيسَ المحكمـا
وإن حُمْت يوماً نحوَ ساحلِ دَرْسِه رَأيت مِن الياقوت عِقْداً مُنَظَّمـا
جواهر تبدو كالزواهر في الدجى لقـد أبدع النِّـظَام فيها وأحكمـا
وكم من مزايا دون معشارِ عُشْرها تـخـرس منـطيق الثنـاء وألْجِمـا
ولا سِيَّما هذا الخِتَامُ الَّذِي غَدَا على فخره سعد السعود مترجما
ختام به كان الشفاءُ من الهـوى وحازت به الخضراء مَجْداً مُعَظَّمَا
محـا غَيْهَبَ الأفكار طـالعُ نـوره وأضحى به العرفان عَضْبا[4] مقوما
تبـاشرت الأرجـاء منها وأشـرقت وغنى بـه طيُـرُ الفـلاة ورنَّمَـا
وكم رام قـطب الجد تهنئـة بـه رأى مـا قـد رآه فـأحجمـا
رَأى طلعة الباشا المشيرِ تحفهـا سـرادق عِـزٍّ مـا أجـل وأنجمـا
مَليكٌ يُقاد النصـرُ طوعـاً لعزمـه وإن عدت الأقْيَالُ كان المُقَدَّمـا
تصدى لحفظ الدين بالحزم والنهى فشيَّـد أركـانـاً وأوضـح مَعْلَمَـا
وأحيا رسـوم العلم بعدَ اندراسها وَجَيَّشَ في قهـر البغاة عَـرمْـرَمَـا

---

(1) في الأصل: وجوههم.
(2) في الأصل: المجهد.
(3) في الأصل: من الماجد الهمام الذي علت.
(4) في الأصل: عضيا.

بكل كمي الدرع صارم[1] سيفه ... ترى فيه[2] في يوم الوقيعة ضيغما
فـأرهب أعـداء الإلـه بَصْـولـة ... لوانبسطت لم تُبق في الأرض مُجْرما
سَرَى صيتهُ في الخَافِقَيْنَ فلن ترى ... لِهَيْبَتِـه إلّا مُـطِيـعـاً مُسَـلِّمَـا
ومن كان في نصر الشريعة حزمُه ... حري بأن يُحْمىَ حماه وَيُعْظما
تَهنّى ملاذ العصر بالمفخر الذي ... ملأتْ به الآفـاق بشرى وأنعمـا
يهنى به الإسلام والعلْم والهدى ... ودهـر زهـا من نشـره وَتَبَسَّمـا
ومـا هـذه أولى أيَـاد منحتهـا ... تسـر الليـالي منّـةً وتكـرمـا
أيـاد يغـار الغيث من نفحـاتهـا ... ولا غرو إذ كانت أعـزَّ وأعْظَمـا
كفى بـك فخراً للمـريد وملجـأً ... وحسبـه أنَ والَى عُـلاَكَ وَيَمَّمَـا

ومدحه أيضاً الشيخ الباجي المسعودي بقصيدة نحا فيها منحى الأستاذ وهي قوله:

[المتقارب]

لقـد سـاعفتنـا بنيـل الأمـل[3] ... وزارت على رغم من قـد عذلْ
وحيّت وأحيـت حبيبـاً بـه ... من الشـوق مـا لفـظه لم يُقَـلْ
تبـدلت الغنـج عـن كحلهـا ... وبالـدل عـن حَلْيهـا والحُـلَلْ
وتَبسم عن مثـل نَظْم الجمـان ... وترمي المنـاوي بسيف المقـل
حـديث المُتَيِّم فيهـا صحيـح ... فحـدث ولا تخـش فيـه ملَلْ
لحى الله لاح عـلى حـبـهـا ... أمـا يعـرف الـوجـه أو يستـدل؟
دليـل عليهـا كمثـل الشهـابْ ... ومثـل الشفـاء بـإثـر العـلل
وكـابـن سَـلاَمَـة فـي فضـله ... وقد سار في الناس سَيْرَ المثـلْ
إمـام تـسـامـت بـه تـونسٌ ... وأبـدت بـه زينـةَ المُحْتَفـلْ
وبَـوّأه الله سُـبْـحَـانَـه ... من العلم والحلم فَـوقَ الأمَـلْ
إذا مـا تـصـدر في مـجلس ... ترى الناس حلت ببـرج الحَمَل

---

(1) صارم سقط من الأصل.
(2) في الأصل: به.
(3) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا: ساعفت بالوصول ونيل الأمل.

وإن بَسَطَ القولَ في درسه ... ترى كيف يُبسط رَقمُ الحُلَل
وإن أخذت خُمْسه ليراع ... ترى أهله حوله كالْخَول
أيا عضدَ الدين يا سَعْدَه ... ويَا ناصر الحق سامي المحل
ومالك ما قاله مالكٌ ... وتاليه في علمه والعَمَل
ومُوفيَ ما دونته الكرام ... ومُمْلِي أحاديث قطبِ المِلَل
لك الله من سيد رأيه ... هدى من تَحَيَّر أو من يَضِلْ
هنيئاً بما نلت من رتبة ... فأنت المكافي لها والأجل
وهُنّئتَ خَتْم كتاب الشفا ... وفزت بنيل المنى عَن عجل
ولاقيت رضوان رب العباد ... ورضوانَ أحمد خير الرسل
ولا زلت كهفاً منيعاً لمن ... يلوذ بعلياك شَمْسِ الدول
وفضلك قاض بذا كلِّه ... وأرخ بنيل شفاءٍ حصل

ولم يزل الشيخ بعد ذلك ملازماً للإفتاء والتدريس وكان عالماً فاضلاً ذا همة عالية، ووقار وكرم نفس، وجمال سمت وهيئة، وآمال عالية أودع منها ما شاء في تاريخه، شاعراً ناثراً كثيرَ النظم، أغلب شعره في مدح مخدومه وشُكر عطائه. غير أنه لم يساعده الزمان بنيل الرئاسة، وجميع الشيوخ ينقمون عليه تَقَدُّمه عليهم.

عاجلته المنية قبل بلوغ الأمنية فتوفي بمرض الكوليرة الوبائية ليلة الجمعة الثاني عشر من شعبان الأكرم سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف بجبل المنار، وأوصى بدفنه جوار ضريح سيدي عبدالعزيز المهدوي رضي الله عنه، ورثاه الشيخ أبو العباس أحمد الكيلاني بقوله:

[الطويل]

صروف الليالي لم تزل في تجدّدِ ... تروح علينا كل حين وتغتدِي
وما ثمر الأيام إلا بوارقٌ[1] ... وطيب جناه زائل لم يخلد
فَفَوْز لمن لم يلتفت لنعيمها ... كصاحب ذا الرمس الهُمَام مُحَمَّد
هو العالم النحرير وابن سلامةٍ ... سري جواد ذو علاء وسُؤدد

(1) جاء هذا الصدر في الأصل هكذا: وما نر الأيام إلا بوارق.

سليم فؤاد من سليم[1] نِجـاره ... له حسب يعلو على كل مِنْجَـد
إمـام لـه في العلم أرفـعُ رتبـة ... يلوح سنـاها فـوق نِسْر وفـرقـد
فقد كان مصباحاً مضيئـاً لذاهبٍ ... به في دياجي الشك للرشد مهتدي
وقـد كـان مِفْتـاحـاً لـك مُغَلَّقٍ ... فيفتـح من أبوابـه كل مُـوصد[2]
به بهرت في الفقه أقوال مـالك ... وصارت به الأعلام في الفهم تقتدي
ومن لدروس العلم من بعد عالم ... يَحِـلُّ من الأبحـاث كـل مُعَقَّـدِ
فواها لأصحاب الدروس تعطلت ... مراتعهم عن طيب مرعى وَمَوْرد
تـآليفـه في كـل علم مفيـدةً ... بتحـريـر أبحـاث وفهمٍ مُسَـدَّدِ
فَمن قـال إنَّ الدهـر يأتي بمثله ... فَقَـدْ جَـاءَ زُوراً بـالمقَال المُفَنَّـد
وما كنت أدري قبل ما حَلَّ في الثرى ... بأن الثرى يحوي محاسن فَـرْقَد
فَـراح شهيـداً يـرتجي عفـو ربـه ... ومـا راح منـا بـالثنـاء المُخَلَّد
فطوبى لرمس ضم أعْـظُمَهُ التي ... سقتهـا شآبيب الغمـام المسرمـد
فأكرمْ بـه رمساً لقـد حاز رِفعـةً ... لمقبـرة فـازت بفضـل مُشَيّـد
وأمسى لـرمس المَهْـد مجـاوراً ... يضيء بنـور مشـرق متـوقـد
فيـا ربنـا أجـزل قِـراه وجَـازِه ... بعفـوك والغُفْرانِ والحِلْم في غـد
وحقق بفضـل منك قَـولَ مؤرخ ... (ففي نُزُلِ الفردوس نُزْلُ مُحَمَّدِ)

- 35 -
الشيخ محمد البَنّا[3]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد البنـا أخذ والده العلم عن الشيخ صالح الكواش ومن عاصره، وتقدم للإشهاد فكان من ثقات العدول وولي شهادة الغابة فحَسن فيها سيره إلى أن توفي في رجب الأصب سنة 1251 إحدى وخمسين ومائتين وألف.

---

(1) في الأصل: من تسليم.
(2) في الأصـل: مرصد.
(3) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 143) وفي شجرة النور (ج 1 ص 391).

وأما ولده صاحب الترجمة فقد جد في خدمة العلم الشريف فقرأ على فحول الرجال منهم أبو محمد حسن الشريف، والشيخ الطاهر بن مسعود، والشيخ إبراهيم الرياحي، والشيخ محمد السنوسي والشيخ أحمد الأبي وغيرهم وتضلع بعلوم الشريعة وتصدَى للإقراء بجامع الزيتونة فأخذ عنه كثيرون وأكثر ولوعه بالفقه وقد أقرأ منه كثيراً.

وتقدم لخطة قضاء باردو ومشيخة مدرسة النَخلة عند وفاة شيخه المولى الجد قدس الله روحه أوائل شهر رمضان المعظم سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين وألف، فقام بخطتها وواظب على الحكم بباردو يخرج في بعض الأحيان راجلاً من تونس إلى باردو شأن أخلاق الصَّالحين وتقدم مدرساً في الرتبة الأولى عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان سنة ثمان وخمسين.

ولما استعفَى من قضاء الحاضرة الشيخ محمد بن سلامة قدَّمه المشير أحمد باشا باي قاضياً بالحاضرة عِوضه يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة 1261 إحدى وستين ومائتين وألف، فكان من قضاة العدل وأنصف وتحرى لدينه وحُمد في ذلك سعيه.

ولما تُوفي الشيخ الشاذلي بن المؤدب قدمه المشير مفتياً خامساً وإماماً ثالثاً بجامع الزيتونة في الحادي عشر من صفر الخير سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين وألف، فأعاد على الجامع حلية تدريسه، وزان محرابه بحسن رنته التي تخشع لها القلوب، ولم يزل يتقلب في مراتب الفتيا فصار مفتياً رابعاً عند وفاة الشيخ محمد المحجوب وصار مفتياً ثالثاً عند وفاة الشيخ محمد بن سلامة.

ولما توفي الشيخ إبراهيم الرياحي قدمه المشير خليفة بجامع الزيتونة مع الإمام الأكبر الشيخ محمود محسن أواخر شهر رمضان المعظم سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف ولما توفي الشيخ محمد الخضار صار هو المفتي الثاني يفيد الطالبين والمستفتين ويزين المحراب والمنبر بحسن رنته وتلاوته وخطب من إنشائه كثيراً ما يحضر الجامع أول الوقت بحيث لم يجده وقاد الجامع ليس على

وضوء في أول وقت صلاة الصبح دائماً بمجرد ما يقرع عليه الباب يسمعه خارجاً على أكمل هيئة رضي الله عنه.

أدركته بجامع الزيتونة يُقْرىء شرح الكفاية على رسالة سيدي عبدالله بن أبي زيد فسمعته يوماً في باب ما تنطق بـه الألسنة وتعتقده الأفئدة بألطف عبارة وأحسن أناة وسكينة مع حسن التعبير الذي يستوي في فهمه المبتدي والمنتهي وكان عالماً عاملاً فقيهاً ورعاً عفيفاً نقي العرض حسن الأخلاق مهيباً وقوراً عزيزَ النفس كريم السجية كامل القامة طويل الذقن خالص الشيب يلازم غضّ البصر كثير الأناة حسن اللباس ولم يزل ثُنْيان الفتيا والإمامه إلى أن ادرك حمامه فتوفي في يوم الأربعاء السادس عشر من المحرم سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين وألف ودفن في طريق المغارة الشاذلية على يمين المار إليها عليه رحمة الله ورثاه الشيخ أبو الوفاء الصادق ثابت بقوله:

[الكامل]

عمَّ الأسى إذ راع كـلَّ جنـان ... خـطب ألم ففـاضت العينـانِ
هـدَّ الردى للعلم طـوداً شامـخاً ... وأراك كيف تَضَعْضُـعُ الأركـانِ
فاعجب لخطب هائل عظمت به ... شمسُ الكمـال بمغرب الأكفـان
مـا كـان إلا دُرَّةً صينت لـدى ... فقـدانهـا من لحـده بـصيـان
صدر الصدور محمد البنا الذي ... أربت فضـائله على الحُسبَـان
علم تـقربـه العيـون فكيف لا ... تبكيـه دومـاً بـالنجيـع الغـانِي[1]
قـد كان سيفـاً للشريعـة صارمـاً ... لم ينب صارمه [2] طويـل زمان
مستبـدلاً ثوب العفـاف مـراقبـاً ... لله فـي الإسـرار والإعـلان
ومواقف[3] العلم المـرفـع أهلها ... قـد كان من أبـطالهـا الشجعـان
وإذا دجـا إيهـام مشكلة عـرت ... وأبى انبـلاج صبـاحهـا ببيـان
وجـرَت بها الأفكـار ثم تسابقت ... جُـلَّى فكـان مـجلي الـمَيـدان

(1) في الأصل: القاني.
(2) في الأصل: مشربه.
(3) في الأصل: موافق.

لله فـذ فـاضـل قـد زانـه ... بُحَلى خـطير جـواهـرٍ عقِـدان
نسب إلى الهادي المشفع ينتمي ... ورحيب عـلم نـيط بـالإتـقـان
كم أمَّـهُ مستـرشـدٌ بـإفـادة ... بغـزيـر علم من صحيـح مَبَان
مـوت الفحـول رزيـة بحلولها ... حقـاً تكـون تضـاعف الأحـزان
لا ينـزع العلم انتـزاعـاً إنمـا ... فِقْـدَانُـه لـذهـاب أهـل الشَّـانِ
لهفي على فـذ المعـالي والتقى ... ركن الفخـار ومـورد الْـظَّمـآن
هـو بَحْر علم كـل من قد أمَّـه ... نـال اقتنـاء الـدر والمـرجـان
وإذا رأيت عـجـائبـاً يـومـاً بـه ... وَافَتْـكَ أضعْاف لَهـا في الثَّـانِي
فـالجامـع المعمور يشكـو فقـده ... فلكم أفـاد بـه من العـرفـان
يبدي الغريب من النقول محققاً ... مـا صحَّ فيهـا من ذوي التِّبيـان
ولكم بمنبـره أبـان مـواعـظـاً ... إذ كان من فرسـان هذا الشَّـان
يَجْلُو صدى رَيْنَ القلوب بزجرها ... ويُـرغِّبُ الألبـابَ في الإحسـان
ويحـذر الناس الـدُّنا ويقـوم في ... محـرابـه بـالـذكـر والقـرءان
يـأتيه من بعـد المسـافـة راجـلاً ... يَـرْجُـو ثـواب الـواحـد المنـان
ووفـود أصحاب الفتـاوي نحـوه ... تحـدو المـطي قَصّيـه والـدانِ
كم أسهرت منه الجفـون لأجلها ... وجرى على القرطـاس رقم بنان
أمـا مجـالسـه البهيـة فهي لا ... تَخلو دوامـاً عـن دقيـق معـان
فهي الـرياض تفتحت أزهـارهـا ... ودنـا قـطاف ثمـارهـا لِلْجَـان
أورد بهـا ما شئت تلف جـوابَـه ... بصحيـح عـارضـة وثَبْت لسـان
مستبشـراً يَلْقى العـويص كـأنمـا ... أتحفتـه بـالـورد والـرَّيحـان
ويـريك منـه مـا يـروق وينتحي ... في حَلِّه طُـرُقـاً مـن التبيـان
وَيـجُـرُّ أشـتـات الشـوارد فِكـرُه ... شبـه العتـاق تقـاد بـالأرسـان
فـإذا ظفِـرت بغُـرِّ تحـرِيـراتـه ... فاشدد يديك على فـريد جُمَـان
أسفي عليـه كمـا انتفعت بقربـه ... ورأيت شخص الفضل رأي عيان
وذهبت عـطـشاً فـالمـورد علمـه ... ورجعت منـه بحـالـة الـرَّيـان

فيحق لي فيه التفجع والرِّثا ... جهد المقل وحيرة[1] الولهان
عَلّي أكون من الحقوق مؤديّا ... بعضاً وهل لي بالوفاء يَدان
خَطَب دَهَى قلبي فَسَحَّتْ أدمعي ... يجري لريّ للثّناء لِساني[2]
إن كَان في فَن البَلاغة قاصراً ... باعي ولستُ به من الفرسان
وغدت معاني ما أفوه بنظمه ... أولى ففيه من حُلاه ثواني؟
جازاه ذو الجود العميم بفضله ... وسقاه صوب سحائب الرضوان
بالمصطفى خير البرية جَدّه ... طَهَ المُشَفَّع رحمة المَنّان
صَلَّى وسلَّم ذو الجلال عليه ما ... بَكَت السماء وَحَنَّ قَلْبٌ عان
والآل والصحب الكرام وتابع ... ما ناح قُمْريٌّ عَلى الأفْنَان
شَيْخي أبا عبد الإلٰه تصدَّعت ... منا القلوب لحادث الفقدان
لكنه أمر الإلٰه وحكمه ... سبحانه الباقي وكلّ فان
فالله يجبر صدعها وينيلها ... أجر المُصَاب بجوده الهَتَّان
قد كنت لي بَدْراً فغبت فأظلمت ... لمغيب ضوئك منيَّ العَيْنَان
حسبي الدعاء بأن تكون منعماً ... بالفوز والرضوان وسط جِنَان
وأقول إذ ليلي بتاريخي دجا ... نلت المُنى من ربنا الرَّحْمَان

- 36 -
الشيخ سليمان المحجوب[3]

هو الشيخ أبو الربيع سليمان بن عُمر بن قاسم ابن الحاج المحجوب الشريف المساكني وهو المفتي ابن قاضي المسلمين وحفيد كبير أهل الشورى من السادات المالكية وابن أخي كبير أهل الشورى أيضاً وابن عم المفتي المالكي وابن ابن عم القاضي المالكي فهو ثالث سلسلة آبائه وسادس آل بيته في الخطة الشرعية وهو آخرهم من كنانتهم ناهيك من حسب زانه شرف النسب.

(1) في الأصل: وشيخه.
(2) في الأصل: يجري فجر للثناء لسان.
(3) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 81).

وقد أخذ العلم عن والده الشيخ عمر المحجوب وقرأ على عمه الشيخ محمد المحجوب والشيخ أبي محمد حسن الشريف وغيرهم.

وتقدم بعد والده لمشيخة المدرسة المرادية غير أنه عاقه عائق الإشهاد لكنه كان من فحول الموثقين نسجاً على منوال آل بيته وكان فصيح القلم ومن يشابه أبـه فما ظلم وبذلك استَكتبه الأمير مصطفى باي وسافر معه بالأمحال المنصورة. وبعد ذلك ترقى في خطة الكتابة بديوان الإنشاء، وتصرف بفصاحة قلمه كيف شاء، وتدرج في مراقيها إلى أن صار كاهية لسان الدولة الأصرم.

وكان مع ذلك يُقرىء في بعض الطالبين بجامع الزيتونة حتى أنه لما جمع الأمير حسين باشا المدرسين بالجامع وأمرهم بالإقراء حضر هو وأقرأ مختصر السعد وهو متعمم بعمامة مطروزة بالحرير غير أنه أرهقه دين تعسر عليه الخلاص من أوحاله حتى سجن ببيت الضياف بباردو إلى أن عزل من وظيفته.

وقام في كنّ بيته متجملاً بالقناعة إلى أن توفي ابن عمه فأرسل إليه المشير الأول أحمد باشا فحضر بين يديه بباردو لابساً اللباس الطويل لباس الكتابة وقدمه لخطة الفُتيا فلبس لباس الخطة الشرعية فوق لباسه الطويل وصار مفتياً خامساً في أواخر ذي القعدة الحرام سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين وألف، ولما توفي الشيخ ابن سلامة صار مفتياً رابعاً، واستمر على ذلك ولازم القناعة والمحافظة على ناموس شرفه إلى أن حضر أجله فتوفي أواسط رجب سنة 1267 سبع وستين ومائتين وألف عليه رحمة الله.

- 37 -

الشيخ أحمد بن حسين القمَّار[1]

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن حسين بن محمد بن حسين القمَّار الكافي ولد ببلد الكاف عام اثني عشر ومائتين وألف، ونشأ في رفاهية أهل بيته وكان آباؤه ذوي شأن يتولون الأعشار ونحوها من متعلقات الدولة.

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 171) وفي شجرة النور (ج 1 ص 392).

وحفظ القرآن العظيم في بلده ثم قدم إلى تونس في طلب العلم، ونزل بالمدرسة السُّليمانية وقرأ على شيخها الشيخ الطاهر بن مسعود مختصر السعد والأشموني والخِرشي، ثم تنقل لمدرسة جامع صاحب الطابع فقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي البخاري والمختصر الخليلي بشرح الدردير والسعد والدرة والبيضاوي، وقرأ على الشيخ أحمد الأبي مختصر السعد والمحلي، وقرأ على الشيخ محمد بن مَلُوكة الدرة، وقرأ عليه الأشموني ومختصر السعد. وقرأ بجامع الزيتونة على كثير من العلماء منهم الشيخ محمد بيرم الثالث ومنهم الشيخ حسن الشريف قرأ عليه الخِرشي والأشموني بمدرسة حوانيت عاشور، وقرأ على الشيخ محمد المَنَّاعي والشيخ إسماعيل التميمي نبذة من شرح الشيخ عبد الباقي، وقرأ على المولى الجد الشيخ مَحمد السنوسي كتباً من المعقول والمنقول وقرأ مختصر السعد على الشيخ أحمد بن الخوجة نقل عنه أنه عرض لهم مبحث أطنب فيه السعد في مطوله ولما استوفى الشيخ تقرير كلام المختصر قال له بعض الحاضرين إن المطول فيه مسودة مهمة وناوله نسخة المطول فطالعها الشيخ وتريث قليلاً ثم قررها بجميع ما كتب عليها من المحشين وحسبك بذلك دليلاً على تحصيله.

ثم إن صاحب الترجمة آذنه الشيخ إبراهيم الرياحي بالإقراء بمسجد بالحلفاوين وكان فيمن قرأ عليه هنالك الشيخ حمدة بن عاشور والشيخ الطيب الرياحي وختما عليه الخبيصي وغيرهَ وشرح المكودي على الألفية وأنشد بين يديه في الختم الشيخ الطيب الرياحي قصيدة مثبتة في شعره قال في مطلعها:

[الطويل]

أحنّ إلى لقياكم جيرة السَّفْح عسى أن أداوِي جُرح قَلبيَ بالشرحِ

ثم في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف قدَّمه الأمير حسين باشا قاضياً بالكاف وشاع له صيت في الفقه والإنصاف وله مراجعات مع شيوخ الحاضرة في كثير من المراسلات أنبأت على رسوخ قدمه في المعاملات وبعد حينٍ وُلّي الإمامة والخطبة بالجامع الكبير كما وُلّي مشيخة المدرسة الحُسَيْنية هنالك وأقرأ كتباً كثيرة

منها البخاري بالمدرسة والدردير بالجامع وكتب في النوازل الفقهية كتائب محررة.

ولم يزل صيت علمه يعظم وهو متلبس بالخطة المذكورة ببلده إلى أن توفي كبير أهل الشورى الشخ إبراهيم الرياحي فرأى المشير أحمد باشا باي أنه لا يسد ثلمته غيرُ تلميذه المذكور، فأرسل إليه وأحضر المجلس الشرعي بباردو وقدمه من أول وهلة كبيراً لأهل الشورى في شوال سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف.

وهنأه بذلك الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الضياف بمكتوب نصه:

لم أقدر[1] والله نهني الخطة أو نهنيك، وبماذا أثني عليك والذي ملأ الأكوان يكفيك، أبقدمك الموجب تقديمَك، أم بحديثك الموجب حديثَك، ومن لي بجامع كلمة العلم بعد انتشارها، ومقيل عثارها والآخذ بثارها، والمخلد لآثارها، علم التقوى، وعماد الفتوى، بل ركن العلم الأقوى، الذي أخذ رايته باليمين، أبي العباس أحمد بن حسين، رئيس فتوى المالكية بهذه الحاضرة التونسية لا زالت أراؤه سديدة، وتصرفاته حميدة، وأزمة النفع به مديدة، ميمونة سعيدة.

أما بَعد السلام التام، المؤدي لحق المقام، كل ما حنَّ مشتاق إلى اللقاء ومَال، وبلغ من ذلك الآمالَ وحمد غب الأعمال، فإن الإنسانَ كما علم سيدي أسير الأقدار، مسلوب الاختيار يقلبه الفاعل المختار، إلى كل ما يختار، وقد اختارك لهذا المنصب الشريف وهو أعلم باختياره، ولا ينازع في مقداره، وقدَّم على مصلحتكم مصلحة عباده، وهو أعلم بمراده، فطب سيدي نفساً، ودُم سروراً وأنساً لا تحرك في ذلك حدساً لأن من قلدك لهذه الأمانه تكفل لك سبحانه بالإعانه حيث لم تُطلب بلسان مقال، بل ولا بلسان حال بل كرهتها والترحال، قال الله تعالى فى كتابه المنزل على من أرسله بشيراً ونذيراً ﴿**فعَسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خَيْراً كثيراً**﴾ [النساء: 19] ونحن نحمد الله ونشكره على بلوغنا المراد حيث لم يرنا في مَقَام شيخنا إلاَّ أعز تلامذته الجهابذة

(1) في الأصل: لم قدر.

النُّقَّاد، وما حصل لنا في ولايتكم من البشرى كاد أن ينسينا مصابه الذي هو الطّامَّةُ الكُبْرَى وأشهد أنه كَان قُدِّس سِرُّه يَتَوَهَّمُ في أوصافك الحسنى، ما أوتيته من المقام الأسنى، وأنه كان يَدْعُو لك على ظهر الغيب ومات راضياً[1] عنك بلا ريب وهذه بشارة أقدمها بين يَدَيْ تَهنيتكم بالوِلَاية، وتهنيتها بكم لكمال العناية، فإنك بحمد الله من رجالها وفارس مَجَالها بل أنت نادرة الدهر، وكفوها المُولي لها بالمهَر ولولا أن الله يقول ﴿فَذَكِّر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: 55] سيدي بنعم الله تعالى عليه التي تُعجز شكر الشاكرين، ولولا عائق المرض، ومنع الطبيب من كل غرض، لأعملت قدمي قبل إعمال قلمي، ولكن ما لا يدرك كلُّه لا يترك قُلُّه، فهذا حفيدي فلان وصحبته فلانَ تلميذيكم [2] إن شاء الله ينوبان عن خالهما في الحضور الآن إلى بابكم وتهنئة جنابكم، وإن كنت أنا أحقّ بالهنا، والخطة أولى بذلك مِنّا والله يعينكم على ما أولاكم كما جعل أوصاف الكمال حلاكم والسلام من معظم قدركم كاتبها بحمام الأنف غرة ذي القعدة الحرام سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف أحمد بن أبي الضياف.

وتقلد عند ذلك مشيخة مدرسة جامع صاحب الطابع، ولما توفي الشيخ محمد الخضار تقدم لإمامة جامع الهواء ومشيخة المدرسة التوفيقية، ولما توفي الشيخ علي الرياحي تقدم عوضه إلى إمامة جامع أبي محمد[3] وكره الناس تقدمه للخطط المذكورة وبعضهم ينسب تقديمه عليهم لعدم حضور الشيوخ جنازة الشيخ محمد بن سلامة فتقدم صاحب الترجمة للخطط المذكورة ولازم داره منكمشاً في المراجعة والمطالعة، ثم خرج وأقرأ بجامع صاحب الطابع تفسير القاضي البيضاوي وشرحَ البخاري والمختصر الخليلي قراءةَ تحقيق وأقرأ غير ذلك. وظهر صدق الظن به فكان أفقه رجال عصره وهو عمدتهم في المجالس الشرعية إذا قال لم يترك مقالاً لقائل، وصار الشيوخ يحضرون داره في عويصات النوازل وهو يفيد بحسن فتاويه وتحريره.

---

(1) في الأصل: راض.

(2) في الأصل: تلاميذكم.

(3) في الأصل: جامع باي محمد.

وقد وقفت له على شرح الإحدى عشرة قاعدة التي انبنى عليها عهد الأمان الذي أصدره المشير الثاني مَحمد باشا باي فإذا هو عـنوان تضلع في أصول الدين والقواعد الفقهية.

وله رسائل وتحريرات مسائل أجاب بها الشيوخ في النوازل العارضة منها ما كان مع الشيخ محمد البَنَّا والشيخ محمد النيفر الأكبر وكتب حاشية على شرح الشذور لابن هشام تبلغ أكثر من عشر كراريس تعقب بها مباحث الشيخ الأمير، بما به التحرير، وكتب هوامش وحواشيَ على شرح التاودي على العاصمية تبلغ أيضاً عشر كراريس، وحواشي على عقائد الرسالة للشيخ ابن أبي زيد، وهوامش على بقية الكتاب كما كتب حواشي على شرح الخبيصي وحواشي على مقدمة ابن هشام كل ذلك عند إقرائه للكتب المذكورة.

وله في النوازل الفقهية كتائب كثيرة تصدى ولده الأكبر المدرس الشيخ حسين لجمعها كما جمع حواشيه السالفة.

ولما أراد والدي جمع منظومة جده لقط الدرر وقد كادت أن تتلاشاها الأيدي ساعده على ذلك فجمع تلك المسائل مسألة مسألة كل واحدة في بابها لأن الناظم نظمها على حسب ما عرض له من المسائل بدون ترتيب، وواظب في هذا الصنيع الجميل نحو سنتين يرتبها وكان اتفق له أن توقف في بعض المسائل في أي باب يجعلها فرأى الناظم في النوم وأعلمه بأن المسألة من باب التجهير ولما راجع وجدها منه فكان هو صاحب مزية جمعها جزاه الله خيراً.

وقد أنجب في العلم ثلاث أولاد وهم الشيخ حسين والشيخ محمد والشيخ الطيب وعلى يده كانت ترقية ابنيه الأوّلين لخطة التدريس فبلغ أولهما الرتبة الأولى في التدريس بجامع الزيتونة وظهر منه الجِدّ والاعتناء وأقرأ بالجامع كتباً مهمة مثل المحلي وغيره، والثاني في الرتبة الثانية من التدريس وله مواظبة على دروسه ولوالدهما بهما أعظم اعتناء.

وكان عالماً متضلعاً في الفقه ومعرفة فقه القضاء عفيفاً حسن الملتقى، متثبتاً في النوازل له قدم راسخ في المعقول ويد طولى في الأصول وجمال سمت

وكمال هيبة وقد أدركه الأجل غرة شعبان الأكرم سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف وتبرك الأمير والمأمور بحضور جنازته ودفن بتربته من ربض باب السويقة عليه رحمة الله آمين.

- 38 -
الشيخ محمد النَّيْفَر[1]

هو الشيخ أبو عبدالله مُحمد بن أحمد بن قاسم بن مَحمد بن مُحمد بن أبي النور النيفر، نَاهيك من عالم عامل، وقدوة كامل، نشأ في بيتهم الرفيع، وأسس بالعلم مجده البديع، وقد سبق لنا ذكر منشأ هذا البيت الذي كرم منه كل حي ومیت في ترجمة أخي هذا الهمام الصالح الإمام، وذكرنا هنالك نسبتهم إلى شيخ الطريقة الرفاعية مولاي أحمد الرفاعي المصري بناء على أن مقدمهم إلى صفاقس كان من مصر القاهرة[2].

وأما القطب الرفاعي المشهور الذي تنتسب إليه الطريقة المذكورة فقد رأيت بخط المحدّث الشيخ صالح الفُلّاني نقلاً عن المُناوي في ترجمته أنه القطب أحمد بن علي بن يحيي بن حازم بن رفاعة الزاهد الكبير، أحد الأولياء المشاهير، أبو العباس أحمد الرفاعي المغربي شريف نما روضُ شرفه وهمى على العالم غيث سلفه، كان سيّداً جليلاً، وصوفياً نبيلاً، قدم أبوه من المغرب إلى العراق وسكن بأم عَبِيدة من أرض البطالح وولد له صاحب الترجمة سنة خمسمائة ونشأ بها وتفقه على مذهب الشافعي ثم تصرّف وأعرض عما في أيدي الخليقة، وأقبل على اشتغاله بالحقيقة، مات ببلده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ولم يعقب وإنما المشيخة لابن أخيه ا هـ.

قلت الذي في كلام الرفاعية عن صاحب الترياق أن الشيخ كان كثير

---

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 111) وفي عنوان الأريب (ج 1، ص 108) وفي شجرة النور (ج 1 ص 390).

(2) هذا خطأ من المؤلف وقد قدمت التاريخ الصحيح عن نشأة عائلة النيفر في ترجمة الشيخ صالح النيفر في القسم الأول في تراجم أيمة جامع الزيتونة.

التزوج وله من الولد اثنا عشر وبنتان، وعَدَّهم، وذكر من انتشر عَقبُهُ منهم بما يطول ذكره.

ثم رأيت في تقريب النفحات للشيخ تاج أن الشيخ أحمد الرفاعي من أولاد الإمام موسى الكاظم ورأيت نسبه في مناقبه لبعض السادة الرِّفاعية في مجلد لطيف عند الشيخ محمد المشطاوي المغربي بمكة المشرفة قال هو أحمد بن علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن علي بن حسن بن المَهْدي بن محمد بن حسين بن أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى المشهور بالمجاب ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وذكر له اثني عشر ابناً وبنتين وسرد أسماءهم وانتشارهم في البلدان وأن منهم إبراهيم وله عقب في الشام ومصر والحجاز إلخ ما ذكره اهـ ما وقفت عليه بلفظه.

والظن أن انتساب آل بيت صاحب الترجمة إنما هو إلى هذا القطب الشهير فيما يذكرون وهم من ذرية من كان من أبنائه في مصر على ما نقله الشيخ صالح الفُلَّاني من وجود عقبه أيضاً بمصر، ومنها تنقلوا إلى صفاقس ثم تنقل منها أبو النور النيفر إلى حاضرة تونس ونشأ في بيت شرفَهم صاحب الترجمة مؤسس دعائم بيته بالعلم والعمل فهو مشيد بناء مجدهم.

وكانت ولادته عام 1222 اثنين وعشرين ومائتين وألف ونشأ نشأة صالحة وجمع القرآن على المؤدب الصالح الشيخ محمد القسنطيني، وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة ومع ذلك استمر على حفظ المتون بين يدي مؤدبه سنتين وتصدى لقراءة العلم الشريف.

وجوَّد القرءان على الشيخ محمد المشاط، وقرأ على الشيخ محمد معاوية بمسجد حوانيت عاشور شرح الأزهري على الآجرومية والأزهرية وقرأ عليه بجامع الزيتونة شرح الشذور، وقرأ على الشيخ عمر بن المؤدب شرح الأزهري على الآجرومية وقرأ على الشيخ محمد البَحْرِي شرح الجربي على إيساغوجي، وقرأ على الشيخ محمد الخضَّار شرح القطر، وقرأ على الشيخ أحمد الأبي شرحي

الماكودي والأشموني على الألفية، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرِّياحي شرح الشيخ ميارة على نظم ابن عاشر وشرح الفاكهي على القطر وتفسير القاضي البيضاوي، وقرأ على الشيخ محمد بن ملوكة قطعة من الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي ونحو النصف من شرحه على الدرة، وأتمه هو بالإقراء لبعض من حضر معه من الطلبة بإذن شيخه، وقرأ على الشيخ محمد بَيْرم الثالث مختصر السعد البياني ومختصر السنوسي المنطقي، وقرأ على الشيخ إسماعيل التميمي قطعة من شرح الشيخ عبد الباقي وقرأ قطعة على الشيخ الشاذلي بن المؤدب، وقرأ على الشيخ محمد المنَّاعي قطعة منه وقطعة من العضد، وقرأ على الشيخ محمد بن الخوجة[1] مختصر السعد، وقرأ على والده الشيخ أحمد بن الخوجة شرح المحلى على جمع الجوامع، وقرأ على المولى الجد الشيخ مَحمد السنوسي ربع الزكاة من شرح الشيخ الخِرشي على المختصر الخليلي وتضلع بالمعقول والمنقول حتى أصبح آية الله في التحصيل والذكاء.

واعتكف على بث العلم في صدور الرجال وتقدم لإمامة مسجد السَّبْخَة أوائل شعبان سنة 1254 أربع وخمسين، ولما ولي الشيخ أحمد بن حسين خطة القضاء بالكاف تقدم عوضه لمدرسة جامع صاحب الطابع وعند وفاة الشيخ محمد السَّقَّاط تقدم عوضه لمشيخة مدرسة بئر الحجار ثم تقدم مدرساً بجامع الزيتونة في الرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي.

ثم إن المشير أحمد باشا قدَّمه لخطة القضاء بالمحلة المنصورة عند عزل الشيخ أحمد بن الطاهر محشي شَرْح التَّاودِي لنظم ابن عاصم. وقد كان عالماً فاضلاً غِرّاً أتاه أحد الشيوخ بنسخة رسم حُبُسٍ افتعل فيها ما شاء فعقد عليها ظناً منه أنّها كأصلها وختم على عقده يومئذ الشيخ الشاذلي بن المؤدب نائب القاضي إذ ذاك لغياب القاضي ابن سلامة صحبة المشير أحمد باشا، ولما رجع القاضي ابن سلامة ونشرت النازلة لديه اطَّلع على اختلاف النسخة مع أصلها وأنهى ذلك إلى المشير فتبرأ الشيخ الشاذلي باعتماده على وجود عقد قاضي

(1) في الأصل: أحمد بن خوجة.

المحلة الشيخ أحمد بن الطاهر واعتذر الشيخ أحمد المذكور بالاغترار فكانت نتيجة النازلة قطع يد الشاهد الأوَّل وعزل الشيخ أحمد بن الطاهر من العدالة وقضاءِ المحلة في ربيع الأول سنة تسع وخمسين ومائتين وألف، ولما حان سفر المحلة الاعتيادية تقدم صاحب الترجمة لِقضاء المحلة في شهر رمضان المعظم وباشر الخطة بعلمه وعمله وسافر لها مع الأمير مَحمد باي نحو ثلاث محال، غير أنه في آخرتها رفعت إليه نازلة في التشكي من الكاهية صالح بن محمد فأحضره وحكم عليه فامتنع من الحكم فعاقبه ولم يتوقف انتصاراً لحق الله وشريعة الإسلام.

ولما رجعت المحلة أخره المشير من الخطة ، لكنه ندم على صنيعه في تأخيره قاضياً لعدله، ثم تدارك أمره فقدمه لخطة قضاء باردو يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة 1261 إحدى وستين ومائتين وألف، فسار فيها سيرة أهل الفضل من قضاة العدل.

ثم تقدم لخطة قضاء الحضرة في الحادي عشر من صفر الخير سنة 1263 فزان الخطة بديانته وإنصافه وتحريه، وتدارك أمر الاحتساب على المعاش أحسن تدارك.

ثم تقدم للفتيا فصار مفتياً رابعاً في الخامس والعشرين من رجب سنة 67 سبع وستين، ولما توفي الشيخ محمد الخَضَّار صار مفتياً ثالثاً. واستمر على ذلك وأعاد على جامع الزيتونة حُلي تعاليمه بطريقته التي لم يَنسج أحد على منوالها، كان درسه يحسبه سامعه تأليفاً مستقلاً في المسألة وذلك من غاية تحصيله وسهولة إلقائه بحيث يلقي الدرس وهو كأنما على رأسه الطير لا يستعين بحركة مع ما في درسه من التحقيق والتحرير.

ومن أعز ما كتبه رسالته في مذهب الشيخ عبد القاهر في «ما أنا قلت هذا» في علم البلاغة حرر فيها المسألة تحريراً يعز على غيره.

أما رسالته الفقهية في منع النساء من الخروج إلى الحَمّام وجواز التيمم لهن فقد نسجَ فيها على منوال غريب من أبدع الأساليب، وحرر فيها من نصوص

الأمهات ما بلغ في تحقيق المسألة إلى أبدع الغايات، وقد أنهاها في ذي الحجة سنة 47 سبع وأربعين وقد وقفت على مسوَّدَتِها بخطهِ المبارك مفتتحة بقوله أحمد الله حق حمده وأشكره وفاءً بعهده وأصلي وأسلم على رسوله وعبده وعلى آله وأصحابه فرائد عقده إلخ. وكفاها شهادة القاضي إسماعيل[1] بأنه لو كتب في المسألة ما زادعلى ما تضمنته هاته الرسالة، ووقفت له أيضاً على رسالة في إثبات البسملة في أول الفاتحة في الصلاة حررها سنة خمس وستين.

ووقفت له على أوائل رسالة حكمية انتصب فيها للحكم بين العلامة الشيخ محمد بن سعيد النجم التونسي والشيخ ابن عمار الشريف في الاختلاف بينهما في العقل هل هو جوهـر أم عَرَض وكثرت بينهما المكاتبات في ذلك ولما وقف على مختار كل حرر في المسألة تحريراً حكمياً في رسالته المذكورة.

أما أختامه التي حررها وبالبدائع حبرها فقد وقفت منها على ختم كتب فيه على حديث سؤال جبريل عَن الإيمان والإسلام والإحسان وعِلْم الساعة وقد حرر فيها مباحث من علمي الكلام والبلاغة يَعِزُّ على سواه تحريرها.

وقد ختم بالتدريس كثيراً من مهمات المعقول والمنقول، تخرَّج بها عدَّة من الجهابذة الفحول، وشاع له بذلك صيت عظيم.

ولما خَتَم منهامختصر السعد البياني، تسابق في حَلْبة درسه كثير من فرسان البلاغة والمعاني، فأنشدوا بين يديه قصائدَ مديحهم البليغ، فكانت عدة قصائد في هذا الغرض، نوشح ترجمتَهُ بما حضرنا منها.

القـصيدة الأولـى

من إنشاء الوزير العالم لِسان الدولة الشيخ محمد العزيز بوعتور وهي قوله: **[الطويل]**

طريق لنيل العـز حرز المـطالبِ وغور لأسنى القصد صدر المراتبِ

(1) هو الشيخ إسماعيل التميمي.

(2)، جاءت هذه في عنوان الأريب (ج 2 ص 184) في ترجمة ناظمها الوزير محمد العزيز بوعتور.

وَشُمَّ نفوسٍ للمعالي مآثرٌ ... وحوز خصال[1] من تمام المتاعب

ولو كان إحراز الفضائل هيناً ... لساد بمحض القول من لم يضارب

وشيئان في الأذهان حسم اجتماعها ... طريد اجتهاد واختيار الملاعب

فلا وأبي لا يبلغ المَجدَ عاجزٌ ... يعلل نفساً بالأماني الكواذب

ولكنَّما ذو العزم من ساد قِرْنَه ... لِشَأو العُلا دون اقتناء الصواحب

وحزمُه لا تلوي الحوادث قَصْدَهُ ... فإما لحتف أو لنيل المَنَاصِب

وليس مُثار الحزم إلّا عزائم ... تريه كميناً من عزاز المواهب

إذا كانت السَّادات تصبو لرفعة ... فإني ملكت المجد جد الرغائب[2]

وإني لِمِقْدَامٌ وغيريَ جازع[3] ... وإني لقوال بأي المواكب

نشرنا على متن السِّمَاك مراتباً ... تؤمّ لها[4] الركبان من كل جانب

ويَا رُبَّ ليلٍ يثبر الصلد حزنه ... أضاء الدياجي من يراع وقاضب

ورُبّ عويصٍ قد أزلنا لثامه ... له الناس فوضى بين راد وذاهب

لقد كنت قدماً بالأوابد مُولَعاً ... وأين من العلياء طول الشَّناخِب

فَخَارُ بَنِي الدنيا رحيب الجوانب[5] ... وعز سراة المجد شُم النجائب

أبو المجد مهطال العلوم مُحَمد ... وهل ينكر الإنسان فضل السحائب

جوادٌ هُمامٌ [6] باهر العز والسَّنَا ... له[7] الشرف الأقصى لهام الكواكب

إمامُ حباه الله بالفضل حُلّةً ... تَهُب بها الأرياح قبل الركائب[8]

مُنيف على شَأوِ الثريا إذا رنا[9] ... أزال المُحَمَّى[10] من عويص السباسب

---

(1) في الأصل: الخصال.

(2) في ولأصل: الرعائب.

(3) في الأصل: وإني لمقدام عزيزي جازع.

(4) في الأصل: تؤملها.

(5) هكذا في الأصل وفي نسختين من عنوان الأريب.

(6) في الأصل: جمال.

(7) في الأصل: به.

(8) في الأصل: قبل الرغائب.

(9) في الأصل: رمى.

(10) في الأصل: المعنى.

يجـل حيـاءً ثم يعـظمُ هيبـةً ... جليـل مضاء غيـر وكل[1] وَهَائب
إذا افتَرَّ علماً فالرّقـابُ خواضـع ... وإن جال فالأذهان رهن الرغائب
مليك سَنـاً يعتـاده من معـاشرٍ ... تَخِـرُّ لها الأذقـان فوق التـرائب
عفـافٌ كـرام للرسـول نجـارهم ... وهم سادة الإحسان غرّ الأطائب[2]
كأنَّ سناء الشمس من نور وجهه ... صفـائح تِبْـر أشرعت بـالمغارب
كـأن الثـريـا نـظمت من بيـانـه ... سـلاسل دُرّ أشـرقت بـالمـواكب
كأن مهبّ الشرق من فرط لطفه ... أوان شروق السعد بين الثـواقب
تجلّى ويـالله كـالـدوح[3] رافـلاً ... مـطارفه الحسنى بخضـرة شارب
تحاريرُ أقوال وللروض جدولٌ[4] ... سراعاً بمزج الكاس رشف المشارب
لها الدر جسماً واللجيـن نطاقُـه ... وزهر الروابي من صبيب السواكب
فـلا كَلِمٌ إلا الـدقـائق دونهـا ... ولا لمحـة إلا بجزل المـآرب
ولا كـرمٌ إلا إلـيـك مـآبـه ... ولا مفخـر إلَّا لتلك المنـاكب
فما زال يُبدي كلّ وقت ولحظة ... غـرائبَ فكـرٍ تُـوِّجَتْ بغـرائب
بـراعـة فهم حنكتهـا فصـاحـة ... تفوقُ لَدَى الألْباب سِحْر الذوائب
لقـد ملأ الأقـطارَ باهـرُ ذكـركم ... وهل يَصْدِمُ الولهانَ وقعُ القواضب
وأنت إمـام مـا بقـيت وإنـمـا ... سنام لدى العلياء سمح السَّلاهب
وما العلم إلا بعض ما أنت حامل ... ولاَ الفَضل إلا بعض تِلك المَنَاقِب
لك الشرف السامي وإنك أوحد ... تضيء به الأذهان وقت الغياهب
إليك بني الزهـراء تعنو وجـوهنا ... فأنتم بني الزهراء فخر المغارب[5]
وحسب المعالي أن تكونوا مِلاكَها ... فمن منزل العلياء شم الجـوانب
ومن كـانت العلياء طـوع بنـانـه ... فقد أترع الإفضال قَبل التخاطب

وأرسلها منشئها إلى الشيخ علي الرياحي وكتب عليها بقوله:

---

(1) في الأصل: وعل.
(2) في الأصل: عزّ الأطالب.
(3) في الأصل: كالروح.
(4) في الأصل: جدوه.
(5) في الأصل: المضارب.

[الطويل]

كفاني فخاري أن أهُمَّ براحةٍ جوانبُها الدنيا ومالكُها[1] علي

وقد كتب عليها الشيخ علي الرياحي قوله:

[الطويل]

عـزيزةُ مِثْـلٍ يَشْهَدُ الـذوق أنها ألذّ وأحلى من رُضاب الكواعب

وقرظها قرينه الشيخ أحمد بيرم بقوله:

[الطويل]

أبدر الدجـا قد لاح جنحَ الغَيَاهب أم البرق يَبدُو مِنْ خِلَال السحائب
أم الزهر أضحى في الغصون منظماً كـعِقْـدٍ لآلٍ في نحور الكواعب
أم السحر أبدى من بدائع نفثـه فنـونـا زرت آيـاتهـا بـالهـوادب
أم الروضةُ الغَرَّاءُ بل بِكْرُ فِكْرِ مَنْ حوى من مراقي الفضل أسْنى المراتب
عزيزةُ حُسنٍ للعزيـز قد انتمت فكانت لعَمْر الله إحدى العَجَائِبِ
كشمسٍ كبدرٍ كالسَّحاب[2] وكالضحى كصبـح كبرق كـالسنا كـالثواقب
لقـد ملأ الأقـطارَ بـاهـرُ فضلِهـا وسارت بها الركّبان من كل جَانِبِ
ولا غَرو أن كانت كريمة أصلها فـإن لمنشيهـا كـريمَ المَنَـاقِب
لعمري هُوَ الفَردُ الذي أصبحت به تُفَاخِرُ أرضَ الشرق أرضُ المغارب
فحسبيَ أن أدعو بكلِّ العُـلَا له ونيل الذي يرجـو وحسن العواقب

وقّرظها قرينه الشيخ حمودة الزلفاني بقوله:

[الطويل]

ومخجلة تـرقى لكـل المـراتب حوت حسن تبيين بكل غـرائب
غـدت ولهـا سرٌّ عجيب وسُؤْدَدٌ تـزيـد سَنـاء للنجـوم الثـواقب

(1) في الأصل: ومالك.
(2) في الأصل: السحياء.

جـواهر فكـرٍ أشـرقت بمحـاسنٍ تفوق جمالاً عن بهاء الكواعب[1]
فما الفضل إلاَّ ما حوته من السَّنا ومـا قدرُهـا إلا مَكانُ الكـواكب
بـديعـةُ نـظمٍ للمعـالي لـطيفـة حكـت رقة ما يستسـاغ لشارب[2]
خـرائدُ يُعْـزى للبـلاغـة لفـظهـا فيجلو سناها جُنحَ لَيْل الغياهب[3]
أتت من عـزيزٍ حُسْنُـه وجمـالُـه يُنير وميضٌ منه دُجْنَ السحائب[4]
فقد صار طوداً يهطل العلم ثغره وقد صار بحراً من بحور الغرائب
كـأن علومـاً[5] أتحفت بـذكـائـه فصار لها حداً كبيض القواضب
يـبـيـد ظـلامَ الجهل إذْ صار دونه فأَرْدَاه مهزوماً بَحدّ المُضَارِب[6]
وحتى شموس الأفق نالت به سنا وسادت به الأتراب سمر الذوائب
كـأن لـواءَ الحَمْـدِ نـال مقـامـه وأن ثنـاء المجـد فيـه بسـاحب
ألا بـأبي فـرداً جميـلاً ممجـداً يسود على الأتراب مجلي الغياهب

وقرظها الشيخ محمد بن الخوجة الجزيري مطرزاً بعزيز تونس فقال:

[الطويل]

(ع) عُقُودُ لآلٍ في نحور الكَواعبِ أم السَّعْدُ يبدو[7] بين زُهْر الكواكبِ
(ز) زلال ثُغـور يزدري بمـدامـة وسحـر لفكر يـزدري بـالثّـواقب
(ي) يُعير عيونَ الظبي سِحْرُ بيانه ويهزأ[8] حَقّاً بالعوالي القـواضب
(لإ) زعيم بنظم[9] القوافي لِذا غَدَتْ قوافيه ركنـاً أمَّـهُ كـلُّ طـالب
(ت) تراها وفحواها وحسن نظامها كؤوسَ رحيق أسْكَرَتْ كُلَّ شارب[10]

(1) في الأصل: تزيد شناء للبدور الثواقب.
(2) في الأصل: حكت حمرة الشربى وخضرة شارب.
(3) في الأصل: السحائب.
(4) في الأصل: يكاد وميض البرق فيه بذاهب.
(5) في الأصل: العلوم.
(6) في الأصل:
كأن ظلام الجهل إذ صار دونه فأراده مهروم بحر المضارب
(7) في الأصل: لاحَ.
(8) في الأصل: ويسحر.
(9) في الأصل: بتشديد.
(10) في الأصل: أمزجت كل شارب.

(و) ولا عيب فيها غير أن نظامها ... ليعجز عن مثل كلَّ كاتب[1]
(ن) نظمتُ طِرازاً في رياضٍ بديعة ... وما قمتُ بالمندوب أحرى بواجب
(س) سأنفق طول العمر ما في خزائني ... من المدح لِلأرضى العزيز المراتب

= عزيز تونس

وقرظها قرينه الشيخ قدّور بن رويلة الجزيري بقوله:

[الطويل]

بصارم سيف أم فتور غواصبِ ... فتنتَ أم الدعج الوقاح القواضب
وسمر القنا الرجراج في كف ناجبٍ ... أم السمر راشت من يدي قوس حاجب
وتلك لآل أم ثغور بواسم ... أم البَرْق لاحت في ظلام الغياهب
وشمس الضحى بالأفق أم هو نظمكم ... طريق لنيل العز حرز المطالب
هي السمحة العذراء حلت بموكب ... تباهي الدراري السبع شُهْبَ الثَّواقب
وعُدْتَ لفرسان البلاغة مُظهراً[2] ... تَقَاعد سَبْقاً عَنْه شُهْم النَّجَائب
وقامت بميدان[3] التهاني زعامةٌ ... وقد فل فيه كلُّ عضب وقاضِبِ
ولما صفا المضمار قال لها العلا ... هنيئاً لك التسليم من كل جانب
لك السعد كِفْلٌ والبلاغة منطق ... وسحر البيان العذب تحت الذوائب
وبكرُ عزيزِ القومِ مَهْرٌ وحلية ... قلادة حسن الصنع فوق الترائب
فألقت عن الوجه الجميل نقابها ... وشنَّفت الأسماع من كلّ عازب
وقالت حديثاً محكماً ومسلسلاً ... عَنِ انْفَاسِك العليا وتلك المناقب
ومن كانت العلياءُ طوع بنانه ... فقد أنزع الإفضال قبل التخاطب

وقرظها الشيخ عبد الكريم عمر الجزيري بقوله:

---

(1) جاء هذا العجز في الأصل هكذا: لتعجز عن إكمالها كل كاتب.
(2) في الأصل: مظمرا.
(3) في الأصل: بمهدان.

[الطويل]

وعَذْرَاءُ من أفق البلاغة أرْشِقت ... عليها من الحلي البديع ملابسُ
تلوح كبدر مُسْتَوٍ في صعوده ... تباهي قريض الشعر ثُمَّ تنافِسُ
كَأنَّ سُطُور الطِّرس من فرط حسنها ... كَرَاسِيٌّ تُجْلى من عليها عَرائِس
كأن مداد الوشي فيها غدائر ... على صفحة الخد الشريق محارس
كان نظيم الدرّ من ثغرها بدا ... ألا فالتقط تلك اللآل النفايسَ[1]
تجرد[2] من جفن المعاني صوارما ... كلحظ[3] عزيز الحسن فتان ناعسِ
ليهنيك يا فخرَ المعالي بتونس ... غدوت بها شهم البلاغة فارسَ

القصيدة الثانية

من إنشاء العالم الماجد المدرس الشيخ أحمد بيرم وهي قوله:

[الطويل]

بسعد الفتى تأتي إليه غنائمُهْ ... وتَبْدو لدى كل الأنام مكارمُهْ
ومن لم يكن بالسعد في الجد قاتلاً ... نبا عنه عَكْسا رُمحه وَصَوارمُهْ
ومن طلب المجد المؤثل والعلا ... تهون عليه نفسه وكرائمه
تلذ له الأهوال في نيل راحة ... كما يستلذ أطول الليل نائمه
كما يستلذ العذل صب مواصل ... لتكثر من ذكر الحبيب لوائمه
وأمَّا إذا ما بان عنه حبيبه ... فأكره ما يلقى من الناس لائمه
وكيف يطيق العذل صب ببارق ... تُنصِّبُه الأسقام والبعد جازمه
إذا ما جرى ذكر الأحبة عنده ... جرى فوق خديه من الدمع سَاجمه
أبى الدهر للإنسان إبقاء حالة ... يحاربه طوراً وطوراً يسالمه
ومن لاذ بالحَبْر الهمام مُحمّد ... غَدا سَيِّداً للدهر والدهر خَادمه

(1) في هذا البيت إقواء وكذلك في البيتين بعده.
(2) في الأصل: تحرر.
(3) في الأصل: كملحظ.

هـو العلَم المشهـور فينـا بِنَيْفَـرٍ ومفخر هذا القطر بل هو عالمه
إذا غاص في بحر العلوم مقرراً ترى منه بحراً ليس يَعبر عـائمه
ترى طَالبين العِلْمَ كالطَّالب الحيا إذا أجدبوا جادت عليه غمـائمه
لقد حاز في العلياء أشرف رتبة فمن ذا يجاريه ومن ذا يـزاحمُهْ
ترى كلَّ من ناواه في نيله العلا هوى ساقطاً كالطير قُدَّتْ قوادمه
ومن يدَّعي في المجد ما ليس عنده فذلك عندي ساقِطُ الرأي عادمه
وقـد يتـزيّـا بـالهـوى غيـر أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه
إليك سليلَ المجد والشرف الذي بجدك[1] خير الخلق شدت قوائمه
أتيت بشعر قاصـر عن مديحكم ومن شعره يحوي علاك تراجمه
فأنت عماد الدين بل أنت قطبه نعم أنت سعد الدين بل أنت خاتمه

وقرَّظها قرينه الشيخ العزيز بوعتور بقوله:

[الطويل]

إلى منزل العلياء هَطْلٌ سواجمه فمنـه منـار لِلهـدى ومَعَـالِمُـهْ
مَـراتـب عـزٍّ لا تـزال منيعـة بحرس جمال قد أطلت عزائمُـه
تبـاكره العليـاء من نحـو وجهـه فتضحى بفخر قد تَوَالْت غمائمه
جَنَاب أبي العباس من آل بَيْـرَم يَسُـودُ بِـه حظ[2] وبـدر يُنـادمـه
أزال عَنِ الأيّـام سـود كسـادهـا وشنفت الأسماع حسناً سَـواجِمُه
تَـرَنَّحُ من بين المـديـح كـأنهـا سُلافة ثَغْـرٍ قَدْ تَهَـادت مَبَاسِمُـه
تشيّـد ركنـاً من معـالي كمـالـه كما ضعضعَ الأبطال قَسْراً مكارمه
إذا جـدد الأكفاء يـوماً جمـالهـا فلا السيف بتار ولا العضب خادمه
وَهــذا يسيـر في عــلاك فـإنــه بسعد الفتى تأتي، إليـه غَنائِمُـه

وقرنها قرينه الشيخ محمد الزلفاني بقوله:

[الطويل]

وغـانيـةٍ أمست لقلب تصـادمـه وتغـري بذكراهـا لِتُشْفَى عزائمـه

(1) في الأصل: لجدك.
(2) في الأصل: حظر.

فـأيقنتهـا حقـا بـأنّ لهـا العـلا ... وأنّ لهـا قـدراً تخلت وصـائمـه
تجلت فـأجلت للنـديم عفـافهـا ... فيـرنو لهـا لحظٌ وتلك تصـادمـه
فأحْسُنُه ما قد أبْـدَعَتْ بمحاسن ... ويـا حبذا والقلب فيـه تمـائمـه
أتت بِكْرَ فكر من سلافه قـرقف ... تحاكي شذا طيب الكرام يبارِمُه

وقرظها الشيخ محمد بن الخوجة الجزيري بقوله:

[الطويل]

وروض زهت أنـواره وكمـائمـه ... ولاحت لنـا أنـواره وَمَعَـالمـه
وهبّ أريجٌ منه كالمسك لا خبَا[1] ... أريجه إنّ المسك عطر غمائمه[2]
وما هو إلّا روض فكر الذي ترى ... بـأعتـابـه كـلّ القـوافي تُسـالمـه
فـذاك أبو العبـاس أحمـد بيـرمٌ ... مُشيِّـدُ أرْكـان البـديـع ونـاظمـه
كأن انسجام القول منه إذا بـدا ... لُجَيْنُ مِياه هام في النهر سَاجِمه
كـأنّ لطيف النـظم عنـد وفُـوده ... هُبوبُ الصَّبا سارت لديه تكالمه
كأن لدى الأسماع عذب نـظامه ... رنين من الأوتار أبدت[3] معاجمه
ولا عيب إن عدت إليك نقـائصٌ ... كفى المرء نبلاً أن تُعـد مثالمـه
فقـد قـالهـا قـوم لقـوم كـرائمٍ ... فأنت كهم يكفيك فضلا تلائمـه
(وذلك فضل الله يوتيه مَنْ يَشا) ... وَفضلك لا يحوي لراعٍ[4] تراجمه

وقرظها الشيخ قدور بن رويلة بقوله:

[الطويل]

بنشرٍ لريح النظم تهدي مواسمه ... وتروي ذكي المسك عنه مباسمه[5]

---

(1) في الأصل: لا جلى.
(2) جاء هذا العجز في الأصل هكذا:
أريحه فإن المسك عطرا غمـائمه
(3) في الأصل: أبدا.
(4) في الأصل: ليرعى.
(5) جاء هذا البيت في الأصل هكذا:
بنشـر أريـح النـظم تهـدي بـاسمـه ... وتـروى ذاك المسيكى عنـه مبـاسمـه

وصافحنا الوَسْمِيُّ من قَطْرِ فكره ... بنظم عُقودِ الدُرِّ تهمي[1] غمائمه
وأفعم في وادي البلاغة وانطوى[2] ... حساماً صقيلاً يبهر العقل صارمه
فلن يستطيع الخوض من فيه مسكة ... ولا يستطيع الغوص[3] من هو عائمه
على أنه نظم مِنَ افكار بيرم ... فلن يبلغ السباق منه طواسمه
فلله ما أعلى طوالع نظمه ... وناغمه إن شئت يسمعك ناعمه
بسعد الفتى تأتي إليه عزائمه ... وتبدو لدى كلِّ الأنام مكارمه
ففي كل ضرب منه آية سحرةٍ ... وكل عروض منه يعرض فاحمه
إذا كان صوغ الفكر منه تنوائماً ... فمن ذا الذي منه تقيه[4] تمائمه
فإن الذي إن كنت كف معصم[5] ... فبيرم في الصنع البديع خواتمه

وقرظها الشيخ أحمد بن عمر الجزيري بقوله:

[الطويل]

لَتنبيك عَنْ فخر العَلاء مباسمه ... عرائس فكر في السماك دعائمه
يضيء الدجى عند انصداع صباحها ... ومن فرعها يبدو من الليل قاتمه
إذا افترّ عن نظم اللآلي ثغورها ... يلوح من المنثور في النحر ساجمه
إذا نظمت شمس المحيا تبرقعت ... مَهَا[6] الحسن وانسدت حياء معالمه
فما هِي إلّا السحر تعبث بالنُّهَى ... وما هي إلا الروض تشدو حمائمه
ولا غرو أن تسقي النفوس حياتها ... فإنّ أبا العباس للعِقْد ناظمه
همام بأوج العز مسرى جواده ... وأرض مثار الحمد فيه قوائمه
فلا الفخر إلا في معاشر أهله ... سلالة فَضْل[7] صاغها من يلائمه

---

(1) في الأصل: هي.
(2) في الأصل: وأفعم وادعي البلاغة وانطوى.
(3) في الأصل: القوص.
(4) في الأصل: فمن ذا الذي تقيه منه.
(5) في الأصل: على الذي ان كنتم كف معصم.
(6) في الأصل: مُهَى.
(7) في الأصل: سلاسل ذهب.

تراه على متن الثُريّا قد استوى ... وفي مقعد[1] الأحباب تُهمِي غمائمه
إذا ما يصوغ المدحَ أحيا زهيرَه ... وإن جال في سحر البيان فحاتمه
كأنّ نظام الشعر من لطف صنعه ... عقودٌ من الياقوتِ منها كرائمُه
ومن ثم رمت الصفو عما منحته ... لما أنه سعد الزمان وحاتمه

القصيدة الثالثة

من إنشاء الأكتب البارع الماجد أبي محمد حمودة الزلفاني وهي قوله:

[الطويل]

غزالٌ سبى الألباب في ثغره شَهْدُ ... ومن هجره يبدو[2] لعاشقه سَهْد
لقدْ سهم الأكباد هَدْبُ لحاظه ... ومن خَدِّه حُسْناً لقد يجتَني الوَرْد
وحسنُ ابتسام للبروق أعاره ... ومن نوره شَمْسٌ لقد زَانَها وَقْد
هلالٌ يعم الكون بعض ضيائه ... ويخجل منه البدر إذْ دونه سعد
شربت كؤوساً من مدامة ثغره ... فأمسيت نشواناً ولا عادني[3] نكد
فزادتنيَ الألحاظ حدًّا بنجلها ... ومن يشرب الصهباء يلزمه الحد
تثنّى كغصن البان رنحه الصبا ... فيا حبذا قد فلا[4] مثله قد
تَفَرَّدَ حسناً بالمحاسن والبها ... ففي عطفه نَد وليس له نِد
تزايد شوقي في هواه ولَم يكُن ... يواعدني قرب لديه ولا بعد
أتاني عَذُولي هاتفاً بملامة ... فقلت له مهلاً ففي لفظك الحِقد
فلما تبدّى لي وجدت جماله ... يحاكي سَنَا علمٍ لأستاذنا الفردِ[5]
فلا غيرُهُ يرقى المَعَالِي بعلمه ... ولا يدرك الإفضالَ مَنْ لا لهُ بُدُّ

---

(1) في الأصل: وفي مقعر.
(2) في الأصل: أبدى.
(3) في الأصل: عارني.
(4) في الأصل: بلا.
(5) في البيت إقواء لأن الفرد مكسور والقافية مرفوعة.

لـه الـطَّلعـة الغـرَّاء بين قـرانـه ... يسود الوَرَى علماً ومنه اقتني المَجْدُ
محـرر إتقـان العلوم وكـاشف ... لكـل معاليهـا ونِيـل بـه الـرِّفْـد
وراجـح عقـل يَجْتلي لغيـاهب ... كَمَا أبدى لنا من مغمضٍ حدسه رد
رسـائل شـوقي من تـلالؤِ نـوره ... ففي بَـرِّه بحر يتيـه به الأسـد[1]
إمـام لأهل العصـر ساد عـلاهم ... فلا من يضاهيه ولو بالغ[2] الجهدَ
لعمري وما في مدحه السعد إنما[3] ... ببعض معاليه لقد يمدح السَّعْـد
عليـك مريـدي بارتشـاف علومه ... فمن غدا نهلاً منه لم يقصه البعد[4]
هو النيفر الأسنى الـزكي محمّدٌ ... سليلُ رسول الله والمصطفى الجد
فلا زلت مولاي على رتبة السُّهـا ... تسـود علواً لا يكـون لـه حـدّ

وقرظها قرينه الشيخ محمد العزيز بوعتور بقوله:

[الطويل]

هو السّعد ما ينحلُّ ما عقد السعدُ ... وضربُ العوالي عند أصحابه فردُ
وما الناس في التحقيق إلا سوائِمٌ ... وذو العقل منهم في الحساب له العد
وَلجت ديار الحي والذئب هاجع ... بفرط سهاد ما له بـالكرى عهـد
لعلي أرى من نحـو رامة لامعـاً ... ينمنمه (حمـودة) الأوحـدُ الفـرد
فَـلاَقَيْت وجهاً كـالنهـار جـلالـة ... وَصَدْراً هو الدنيا وعضباً هو الجـد
كشمس الضحى كالحقف[5] كالقد كالقنا[6] كصرف سلاف من لُبابٍ هو الرند
وهبْني حسبت الصبح وقت ظلامه ... أيخفى ضياء عن عليم له الرشد

وقرظها الشيخ أحمد بيرم بقوله:

---

(1) في الأصل: ففي بره بحر لقد تاوه الأسد.
(2) في الأصل: بلغ.
(3) في الأصل: لعمري وما أمدحه بالسعد إنما.
(4) في الأصل: فمن غدا لم يظموه البعد.
(5) في الأصل: كالحقب وما أثبت من العنوان.
(6) في الأصل: كالنقا.

[الطويل]

عجبت لخود أسفرت ما لها نِـدُّ ... لدى ريقها عِطْر وفي قربها لَذّ[1]
وفي فَرْقها صبح وفي فرعها دجى ... وفي ثغرها در وفي خَـدّها وَرْدُ
هي الشمس كَلَّ افكر عن درك حسنها ... ولكنهـا تشفى بها الأعين الـرُّمد
هي الجوهر الأسنى[2] الذي عز مثله ... كما أن مُنْشِـيهَا هو العَلَمُ الفرد
هو الفائق الأترابِ حَمُّودةُ الذي ... حوى غاية العَلْيا[3] وما فوقها حَدُّ[4]
فـلا يبلغُ المعشـارَ نـاشـرُ فضلِه ... ولو أنه يَشْدُو بما دونه شهد[5]
فلا زال يبدي للغرائب ما شدا[6] ... هزار على الأغصان في روضة يشدو
وما هيّج البلبـال للصب والنوى ... (غزال سبا الألباب في ثغره شهد)

وقرظها الشيخ محمد بن الخوجة الجزيري بقوله:

[الطويل]

وفت تجتلي مثل الدراري لها وقْد ... خرائد فكـر في القلوب لها رفد
أضاء الدجى إذْ لاح نور بديعها ... كضـوء صباح لاح والليـل مسود
وجـاء بمعنى بـاللطافـة تنتشي[7] ... كأن كؤوس الراح من لفظها يبدو
لذاك ترى الألباب من ضمن سحرها ... نَشَاوَى لذكراها وليس لهم ضـدّ
فَـرِيَـدةُ حُسْنٍ لا شبيـه لحسنهـا ... بـديعة نـظم لا يجـانسهـا عِقْـد
إذا ذكرت لا أذْنَ تَصْغَى لغيرها ... وإمَّا بدت كانت هي العَلَمَ الفردَ[8]
فروحي فداهـا إن تمنَّ بأخـذها ... ومن يبذلك الأرواح في حسنها رشد؟

---

(1) في الأصل: محو مع تحريف.
(2) الأسنى: سقطت من الأصل.
(3) في الأصل: حوى غاية المجد.
(4) لعلها مجد.
(5) في الأصل: ولو أنها دنت بما دونه شهد.
(6) في الأصل: بدا.
(7) في الأصل: تنشنى.
(8) في البيت إقواء.

لعمري لقد حازت من الفخر ما لها ... مواطن في العلياءِ ليس لها حدُّ
فـأنت جديـر بالمـديـح وبـالثنـا ... ومن يُعِنِ الأترابَ حُقَّ له الحمد

وقرظها الشيخ قدور بن رويلة الجزيري بقوله:

[الطويل]

غَـزال سَبَى الألباب في ثغرة شهـد ... فــلا مثله قَبْــلُ ولا مثله بَعْــدُ
لعمري لقد حاز الجمالَ أصـالةً ... ولَمْ يُغْنني[1] قربٌ لديه ولا بعدُ
إذا مـا بـدا يهتـزُّ قـال قِــوامـه ... فأين غصونُ البان والقُضُب المُلد[2]
وأين الرِّماحُ السُّمْر والبيض فيكمُ ... وأين القلوب الصّابرات لذا تبـدو
فإمّا رنا[3] اللّحظ الفتور بسهمـه ... خُذُوا حِذْركم من قوسه إنه سهد
فإنا شربنا الحب في حالِ صبوة ... وخضنا حروباً ما لها في الوَغى حَدُّ
وَلجنا الفيافي فرفد بَعْدَ فرفـد[4] ... وَجُلْنَـا اللَّيالي المُقمـرات فتسودُّ
وما رَاعنا فتك الصوارم مثلما[5] ... لقِيناه من حَمُّودَة الأورعِ الفَهْدِ[6]
حنانيك يا فردَ المعـالي بتونسٍ ... تَـرَفَّقْ بِحُـرٍّ لا يـزال لَكُمْ عَبْـدُ

وقرظها الشيخ عبد الكريم بن الأمين الجزيري بقوله:

[الطويل]

قـلائـد دُرٍّ[7] قد تبـدت لنـاظري ... تَحَار به الأفكـار والعلم والسعـد
فَمـا له[8] في فن البـلاغـة مُشْبِـهٌ ... يحاكي وفي حسن الرشاقةِ لا نِدُّ
تكاد قوافي الشعر تخفى بحسنها ... وحُقَّ لها أن تختفي بل ولا تبدو

---

(1) في الأصل: ولن يغنيني.
(2) في الأصل: والقضب والملد.
(3) ولعله رمى.
(4) في الأصل: فرفرا بعد فرفد.
(5) في الأصل: مثلها.
(6) في البيت إقواء.
(7) في الأصل: دقد.
(8) في الأصل: لها.

لذاك صبونا من جلاها وكيف لا وحَمُّـودة الأسنى يشيب فيشتد[1]
غزال سبى الألباب في ثغره شَهْد ومن ثغـره يبدو لعـاشق سهـد[2]

وقرظها الشيخ قدور بن رويلة الجزيري بقوله:

[الطويل]

ورب غـوان قد بـرزن ولا وعدُ معـطلة الأجياد مـا إن لهـا نِـدُّ
خرجن كأنَّ الـريمَ يمرح عشـوة يَميسُ دَلالاً لا نِفـارٌ ولا صـد
وجـوهٌ كـأنَّ البـدرَ شكـلٌ وَدَارةٌ وقد ولا الأغصان تشبهها المُلْد
فضحن ظباء الحي جفناً وحاجباً وخِصْراً وردفاً في الرشاقة لا حدّ
كما فضحت تلك القصيدةُ بَغْتَةً عزيزَ قـوافي الشّعر ردّاً وَمَـا رَدَّ
وكيف وقد جاءت مِنَ آفكار ماهر وقد رشفت من ثغرة مرشفاً شهد
وعلَّلهـا سِحْـرَ البَيـان تخلُّصـاً وَجَوَّدها حَمُّـودة المُرْتَضَى الفَـرْدُ
عليـه سـلام مـا تَـرَنَّم مُنـشِـدٌ بسحر[3] غوان قد برزن ولا وعد

وللشيخ العزيز بوعتور مقرظاً للتقريظ أعلاه بقوله:

[الطويل]

أما ودراري من علاك لها المجد لقـد زين الدنيـا بتاج هـو الحدُّ
أتيتَ بنجم من سماء[4] جمـانـه بماء اللحاظ النُّجْل جلَّلَهُ الوَقْـدُ
وقـائِـلةٍ مـالـي أراك مـولـهـاً وقد كنت ثبتاً لا ينهنهه الرعـد[5]
أشرقك طيف أم سماعك لاَحناً بسحر[6] (غوان قد برزن ولا وعد)
فَقُلْتُ لَهـا إيـهٍ ومِثْلي مُنْـصِتٌ لِهَطْلِ سحاب يستقل به الـرشد
وَقَـوْل كِـرَامٍ لا يـزال وَلِيـدُهُم يُؤَمِّمُ مَجْـداً ثم يَتْبَعُـهُ السعـد
وإني لمشتـاق لقـوم فـواضـلٍ وجـوههم الدنيـا وَقْـولهم الحَـدُّ

(1) في الأصل: بل يشد.
(2) في الأصل: ومن ثغره أبدا لعاشقه سهد.
(3) في الأصل: برب.
(4) في الأصل: بسام.
(5) في الأصل: الوعد.
(6) في الأصل: برب.

وللشيخ حمودة الزلفاني مقرظاً للتقريظ بقوله:

[مجزوء الرَّمَل]

أعْـذَبَتْ حسن المـراشفْ ... مِـنْ حِـمَـاكُـمْ تَـتَـرَقْـرَقْ
أشـرْقَـتْ شَمْسُ الـمَعَـارِفْ ... مِـن سَـنَـاكُـمْ تَـتَـأَلَّـقْ
أصْبَحَتْ وَالحُسْنُ فيـهـا ... مِـنَ بـديـعٍ مُـتـأنّق
وَمَـعَـانٍ فـيـه[1] تَـبْـدو ... كـبـحَـارٍ تَـتَـدَفَّـقْ
حَـازَتِ الـعَـلْيَـاءَ فـضـلاً ... قَـدْ رقـتْ والبَـرْق يَـخفـق
هَـكَـذا شَـأْنُ رفـيـعٌ[2] ... صـولـةٌ والـبَـدْر يُـبْـرِقْ
أعَـجَـزتْ من كـلّ سَـامٍ ... والـعـلومُ فـيـهـا تُـشـرق
أبـدع يـا لَيْت شعـري ... هَـل إليـهـا من تَـشَـفَّـق
ازدرت بـالـورد أمـسـى ... فـي ريـاض يَـتَـفَـتَّـقْ
يَـا لـهـا بكـر تـضـاهي ... خَـدَّ خَـوْد تـتـعَـشَّـقْ
أخَـذَتْ فِـكْـرِيَ وعَـقْـلي ... بـانثناء[3] وتَـرَفُّـقْ
أضـرمـتْ نـاراً بـقـلبـي ... وفـؤادي[4] يـتَـمَـزَّق
قـد سقتني من لـمـاهـا ... خَـمْـرةً والـمِـسـكُ يـعبق
لـم يـزل منّي[5] شـوق ... مـن هـواهـا يـتـعـلّق

وكان صاحب الترجمة علاّمة محققاً، له صيانة وديانة يضرب بهما المثل، تقياً نقي العرض صافي السريرة حيياً مهاباً محبباً إلى الناس كريم النفس لطيف الخطاب، يقصده أهل الحرمين الشريفين كثيراً ولا يردّ وَاحِداً منهم خالياً وربما تكرم عليهم بأمتعته إن لم يجد ما يواسيهم به.

حج بيت الله الحرام ثلاثاً وتوفي في ثالثتها بعد الزيارة بالمدينة المنورة،

(1) في الأصل: فيها.
(2) في الأصل: هكذا شأن الرفيع.
(3) في الأصل: بانشاء.
(4) في الأصل: والفؤاد.
(5) في الأصل: بي.

وقد ظهرت عليه مكاشفات قبل موته حقّق بها لولده أنه غير راجع إلى تونس، ثم أتى عليه إسهال إلى أن توفي ودفن بالبقيع فكانت وفاته في المحرم سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف عليه رحمة الله آمين.

- 39 -

الشيخ محمد القبايلي[1]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى البِجائي المزي الشريف، وقفت على وثيقة أقيمت ببجاية تشهد بشرف جده محمد مؤرّخة بأوائل صفر الخير سنة 1160 ستين ومائة وألف وجده المذكور هو القادم من القبائل لتونس.

وكان والد صاحب الترجمة تاجراً خيراً حافظاً للقرآن العظيم عليه سيماء الصالحين.

ونشأ ولده في خدمة العلم الشريف وقرأ على علماء كثيرين، قرأ على الشيخ أبي محمد حسن الشريف، والشيخ أحمد بوخريص، والشيخ الطاهر بن مسعود، والشيخ إبراهيم الرياحي، والشيخ محمد بن ملوكة وغيرهم من علماء ذلك العصر.

وجلس للتدريس فأفاد، وتقدم مدرساً بجامع الزيتونة في الطبقة الأولى عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان المعظم سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف فزان الجامع بدروسه الرائقة غير أنه مع ذلك استغل بالمتجر واتسع فيه نطاقه وذلك هو الذي منعه من كثرة الإقراء مع كونه عالماً جليلا.

تقدم لخطة قضاء باردو المعمور في الحادي عشر من صفر الخير سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين وألف فأحسن القيام بها وحُمِدَ مسعاه فيها ثم قدمه المشير أحمد باشا باي لخطة الفتيا فولي مفتياً خامساً في الخامس والعشرين من

---

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 97).

رجب سنة 1267 سبع وستين ومائتين وألف، وأفاد الطالبين والمستفتين ولما توفي الشيخ الخضَّار صار مفتياً رابعاً.

أما شعره فهو عزيز ومن أحسنه القصيدة الغراء التي مدح بها المشيرَ الأول أحمد باشا باي وجمع فيها مفاخرَ دولته وشكر بها صنعه في نشر العلم بجامع الزيتونة وهي قوله:

[الطويل]

خليلي ما تلك القباب التي تجلو ... فقد لاح منها ما به يذهل العقل
تراءتْ على بعد فعاودني الصبا ... وهيّج لي التذكار ما كان لي يحلو
تهادي سروراً والهمومَ تذودها ... كما تفعل الصهباء لَوْ فَاتَهَا الخبل
وتمنع منَ وافَاه رونق حُسْنِها ... مِنَ انْ يلتوي عنها ولو شانها المحْل[1]
بعيد عن الآفات من حام حولها ... فلا ضيمَ يَخْشَاه ولا ظالم نذل
إذا ما علته الطير ظلت سواكناً[2] ... كأن جناح الطير أوثقه الكَبْل
تظَلُّ حيارى من غرائبِ صنعها ... وإن تركت أفراخها ما لها أكل
متى أمَّها الرامي وأوتر قوسه ... وحقق فيها الرمْيَ طاش له النبل
كذلك جار الأكرمين ممنّع ... مصون عَن الأعداء ما نيله[3] سهل
ومن بينها حسن ترآى لناظري ... مشيّدة أركانه شَادَهُ العَدْل
فيممته حين وقفت تجاهه ... وأيقنت أن الحصن ليس له مثل
فَنَاجَتْنِ نفسي أنني الآن واقف ... أمام الذي يمناه بالجود تنهل
مشير أَبي العباس من طَارَ صِيتُه[4] ... فعمّ البرايا والكرامُ له تتلو
إمامٌ همامٌ سيّد خضعت له[5] ... رقاب الأُلَى ماكن يخضعن من قبل؟

---

(1) في الأصل: المخل.
(2) في الأصل: سواكبا.
(3) في الأصل: نبله.
(4) في الأصل: طاش سيطه.
(5) في الأصل: به.

فتوَّجَهُمْ تاجَ الرضى وأنالَهم مقاماتِ عزٍّ شامخاتٍ بهم تعلو
ولو أعرضوا أو خالفوا لأذاقهم كؤوس المنايا صاغرين وإن جلوا
فجده مرٌّ علقميّ مذاقه مهاب إذا قَابَلْتَهُ العقل يختل؟
فحاذر إذا جئته حين جِده وبادر إليه ريثما يُشتهى الهزل
خبير بأعقاب الأمور وسرُّه مصونُ صدورٍ لا يُحَلُّ لها قُفْل
وكم له مِنْ فَخْرٍ وفضل وسؤدد وفعلٍ جميل لا يحيط به القول
فأحيا رسوم العلم بعد اندراسه وَدَحْض أهاليه وقد سامه الخذل
فعمّر سوقَ العلم واغتصَّ جمعُه وسارت له الركبان والتأم الشمل
وجاء لنيل العلم من كل جانب وأقصى مكانٍ لا عياء[1] ولا هزْل
وكانت نفوسٌ جامحاتٍ فأصبحت له جانحات والمرارة قد تَحْلُو
وبادر للتعليم ناء وحاضر غني وذو فقر صحيح ومعتل
وشوقهم للعلم رغباً وساقَهْم عطاءٌ جزيلٌ وافرٌ صوبُه وَبْل
ونوَّر بيتَ الله بالعلم إذ حوت مصابيحَ علم تُستَضاءُ بها السُّبْل
وأتحفه من نيله بعرائسٍ عرائس كتب لا سُعادٌ ولا عَبْل
مُصَدَّرة تسبي العقول بحسنها متوّجةً في ضمنها الصعب والسهل
وفيها فنون يفتر العقل دونها يُحَاوِلُها من وصفه الحذق والنبل
وأغراهُم شوقاً وأوقد عَزْمهم وأورثهم خيراً مرتبه الجزل
فَأكْرِمْ بها من نعمة ذُخِرَتْ له أشيدت لَهَا الرايات وانتشر الفضل
وأحْيَا لِدِين الله أفضل موسم بمولد خير الخلق حق له الفضل
بنشر[2] علامات السرور وبسطه موائد إكرام تناولُه سهل
وفُتّحت الأبواب وانتشر الضيا ونُوِّرت الأسواق واحتفل الأهل
وجِيء لبيت الله من كل جانب وظلت جموع الخلق كل له شغل
فقومٌ بذكر الله تاهت قلوبُهم وقومٌ كتابَ الله ألسنُهم تتلو
وكان إلى الإصباح ذلك دأبَهُمْ فمنك إلى الخيرات لاحت لهم سبل

(1) في الأصل: كسال.
(2) في الأصل: بنثر.

ورنت مهولات الحروب كأنها[1] تشير لدين الله حزب بهم يعلو
فيا له من يوم جليل بفضله تباشرت الأطيارُ والحوتُ والنَّمْل
وفي ضحوة اليوم العظيم تجمّعت أناس لنقل المعجزات لها نقل
فأكرم به من موكب جل صدْرهُ أميرٌ بحب[2] المصطفى قلبه مملو
هنيئاً كنوزَ الخير فُزْتَ بفتحها وذلك فضل الله ليس لنا حول
وجَنَّد جنداً عز عن نيل مثله صَناديد آساد وغَبَّاهُمُ[3] الأُسل
إذا حاربوا صفاً لصف كأنهم صُفُوفُ صَلاةٍ أمَّهُم فاضل عدل
تصرفهم فِعْلُ الجميل كواحد وفاق رئيس الجند لا بعد لا قبل[4]
ويمشون في الهجياء مَشْيَ تَأوُّدٍ فلا رُعْبَ يغشاهم ولا سامهم ذُلُّ
فيمشون مشياً كالشيوخ[5] وفعلُهم فِعالُ شبابٍ طافحٍ أو فتى طفل
فيرمون رَمْياً مسرعاً فكأنهم يعاونهم في السّير أضعافهم عُجْل
ولا يعرفون الصَّدَّ إمّا غنيمة يسوقونها قسراً وأن يبتلى الكل
إذا قابلتْ ألفٌ ألوفاً[6] كثيرة فما كثرة تغني وما ضَرَّهُمْ قُلُّ
فمن حاربوه فرّ قَبْلَ قتالهم وكيف أطقت[7] حَربهُمْ وهُمُ بُسْل
إذا ما غزوا الطير تعلو سيوفهم لِما عَوَّدُوها من فرائس ما قلوا[8]
لهم نغمات مطربات كأنها تبشرهم بالنصر أيّان ما حلوا
جوائزهم ربح ولا عيب فيهم سوى أنّ بذل الوفر في جمعهم بخل
فأكْرِمْ بهم من عسكر جمعت لهم خصال فِخَامٌ والمشاهدة العدل
وحين رماني الشوقُ في بحرِ مَدْحِه ولسْتُ أجيد السبح بي[9] صَدِيَ القول

(1) في الأصل: كأنهم.
(2) في الأصل: يحب.
(3) وغباهم: سترهم.
(4) في الأصل: لا قبل لا بعد.
(5) في الأصل: للشيوخ.
(6) في الأصل: إذا قابلت ألفا ألوفا.
(7) في الأصل: يطاق.
(8) في الأصل: فلوا.
(9) في : ساقطة من الأصل أضيفت للوزن.

ولَـوْلَاهُ مـا فـات اليـراعُ أنـاملي ... وجود أبي العباس صـوبه منهـل
ومن شاطىء الوادي عزفت مدائحي ... وما خضت[1] في بحر وما كدت أبتل
وإني لأرجـو أن تـزولَ نـوائبي ... أخوض بها بحراً به المدح ينحل[2]
مديحُك يـا فخرَ الملوكِ غنيمـةٌ ... تعـز به نفسي وإن رخصت تعلو
شمائلُك العظمى أراحت سجيتي ... أجرُّ يراعي والمحاسن لي تملو[3]
فـدعني وتعدادَ المـديـح فـإنني ... أروّق نفسي والهمـوم به تسلو[4]
فَـأيُّ ثـنـاء أبـتـغيـه أرومـه ... وأنت كريم من كرام له أهل[5]
فَـدُونكما عَـذْراءَ يُخْجلها الحَيَـا ... أبيـةَ نفسٍ أن يُكافـا بهـا فعـل
وأقصى مناها أن تحوز قنوعـة[6] ... بلثم تراب مِنْ وطا مسـه النعل
وأن تشترِيها بالرضى منـك إنما ... رِضاؤُك لا كسبي لمن وصفه القُلُّ
تصول فصدق المدح نَبْهاً بصدقها ... يضـاجعها سيف البـواتر والنعـل
تقول أنخت الرحل قرب مُمُلَّكٍ ... كريم أصيل مـاجد بذله البـذل
متى سـامني دهر بهـول أصابني ... وأدنى التفات منك ينكشف الهول
وكم من فتى قبلي تصاعب دهره ... فَعَـادَ له سهـل وفـارقـه المحـل
فدم في سماء المجد مادام فرقد ... يلوح به والبـدر والشمس والحمل
مهنـا معافى سـائـلاً مـا تـريـده ... عليك سحاب الخير لا زال ينهل

وكان فقيهاً مشاركاً متفلسفاً، له معرفة بالرياضيات، حييا يقطر وجهه حياء من كل أحد، صبوراً خيّراً، كريم الاخلاق حسن المحاضرة أديباً ينظم لطيف الشعر يَـوَدُّه المشير حتى أنه لما مرض أرسل إليه أطباء حضرته وكان مرضه في

---

(1) في الأصل: خضعت.
(2) في الأصل: فأخوض بعد المدح حليا لا يحل.
(3) تملو: تعدو وفي الأصل تمل.
(4) في الأصل: أسل.
(5) جاء هذا البيت في الأصل هكذا:
فـاي ثـنـاء جـدتـه فـاصـعـتـه ... فـأنت كـريم من كـرام لـه أهـل
(6) في الأصل: قنوعه.

يده فرأى الأطباء لزوم قطعها خشية سريان الداء فصبر على قطعها من دون مخدر ولم يشتك من ذلك ومع ذلك أدرك الحِمام فتوفي في ذي القعدة الحرام سنة 1271 إحدى وسبعين ومائتين وألف ودفن خارج باب الفلة عليه رحمة الله آمين.

- 40 -

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[1]

هو الشيخ أبو الصفاء الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن محمد بن الشاذلي ابن عبد القادر بن محمد بن عاشور بن إدريس الشريف الأندلسي السلاوي. خرج جده عاشور من جزيرة الأندلس في حدود الثلاثين والألف، ودخل مدينة سلا من المغرب، وبها زيد ولده محمد، ونشأ بها في سلوك طريق أهل الله ، وأخذ الأسرار هنالك عن الشيخ محمد القجيري[2] ثم خرج لحج بيت الله الحرام ولما أتم حجه آب إلى حاضرة تونس مع عمه الشيخ سيدي داود دفين المرسى. وكان الشيخ داود بن إدريس السلاوي من أهل الجذب المشتهري الصلاح، وكان الشيخ محمد بن عاشور من العارفين بالله يقرىء علوم أهل الحقيقة ملازماً للدرس والجماعة وقد لازمه فحول منهم الشيخ سعيد الشريف وأشار له بوفاة ولده في حياته فكان الأمر كذلك، ومنهم الشيخ محمد بن شعبان ومنه استمد الشيخ علي الغماد والشيخ مصطفى البايلي والشيخ محمد الملاح، وقد ظهرت الولاية على ثلاثتهم وقد احترف بصناعة الشاشية وساعده فيها القدر مع كون كراماته كفلق الصبح دخل بقصد الصلاة بجامع القصبة ولما شرع في صلاة النفل دخل إمام الجامع وخطيبه الشيخ محمد البيك وأخذ يصلي في ركن من الجامع فاستعجل الشيخ صلاته ونادى الإمام بتخفيف الصلاة فلما سلم استدناه من مجلسه وعند ذلك سقط الركن الذي كان يصلي فيه الإمام فحمد الله على ذلك

---

(1) ترجمته في الإتحاف (ج 8 ص 165) وفي شجرة النور الزكية (ج 1 ص 392).

(2) جاء في الأصل الفجيري بالفاء وما أثبتناه هو ما في ذيل بشائر أهل الإيمان (ص 281) وهو في الحلل السندسية (ج 2 ص 624).

وكان يعمل مع أهله فينخل الدقيق ويغسل الثياب وأتاه إلى بيته الداي علي رايس زائراً ومعه رجال دولته فأغلق في وجهه الباب وامتنع من ملاقاته وكانت مدة إقامته بتونس نحو الخمسين سنة وتوفي بين العشاءين من ليلة الأربعاء غرة جمادى الأولى سنة 1110 عشر ومائة وألف ودفن بزاوية شيخه سيدي علي الزواوي عند باب سيدي عبد الله خارج باب المنارة من تونس بعد أن كان ملازماً لإقامة الأوراد الشاذلية بالزاوية المذكورة.

وورثه في فضله ولداه إدريس وعبد القادر، فأما إدريس فإن والدته هي ابنة الشيخ داود بن إدريس وأما عبد القادر فإنه من زوجة أخرى وقد كان ازدياده بإشارة القطب الشيخ الجيلي وأشار على والده بتسميته على اسمه، فكان من الصالحين وقد لازم إقامة الميعاد الشاذلي بزاوية الشخ سيدي علي الزواوي رضي الله عنه مثل والده إلى أن توفي وقد استوفى المؤرخ حسين خوجة ترجمته وترجمة والده أكمل استيفاء كما ترجم لهم الشيخ محمد الوزير السراج رضي الله عنهم أجمعين[1].

وعلى كل حال فقد نشأ أبناؤه من بعده في خدمة العلم والتحلي بالمكارم إلى أن وصلوا إلى والد صاحب الترجمة فأنجب في رياض العلم وَلَدَيْن وهما صاحب الترجمة وأخوه. أما أخوه محمد ويُدْعى حمدة فكان عالماً عاملاً من فحول علماء جامع الزيتونة قرأ على الشيخ محمد المشاط التجويد ومبادىء النحو، وقرأ على الشيخ محمد معاوية المطول وغيره، وقرأ على الشيخ مَحمد السنوسي الخرشي، وقرأ على الشيخ محمد بن الخوجة مختصر السعد، وقرأ الحساب والفرائض على الشيخ محمد بن ملوكة، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي. حتى تضلع من المعقول والمنقول، والفروع والأصول، وصار يشار إليه في التحرير والتدقيق وتقدم للتدريس في الرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي بجامع الزيتونة أواخر شهر رمضان المعظم سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف وزان الجامع بدروسه ولما توفي الشيخ فرج التميمي

---

(1) ذيل بشائر أهل الإيمان (ص 281). والحلل (ج 2 ص 281).

بالمحلّة أرسل إليه المشير الأول أحمد باشا باي يراوده على خطة المحلة فتعلل بضعف بدنه، ولما أعيد عليه الطلب قال إنه إن ألزم الخطة المذكورة خرج فاراً فلم يكلفه المشير ذلك. ولازم التدريس وكتب حواشي على مقدمات شرح المحلي على جمع الجوامع حرر فيها مباحث أصولية مهمة وتوفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر الخير سنة 1265.

وأما صاحب الترجمة فقد نشأ في رياض الترتيب الأحمدي بجامع الزيتونة وأخذ عن أخيه كثيراً، وقرأ على غالب شيوخ أخيه، فقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي والشيخ محمد بن الخوجة، والشيخ محمد بيرم الثالث، والشيخ محمد ابن ملوكة، والشيخ محمد بن سلامة وكان آية الله في الذكاء وعلو الهمة في العلم لا يقنع بظواهر الكلام بل يتتبع الأصول ويحرر الوجوه والتعاليل غاية التحرير، تقدم للتدريس فزان الرتبتين وأبدع بفصاحته وذكائه ما شاء.

ثم قدمه المشير أحمد باشا باي لخطة القضاء بالحاضرة في الخامس والعشرين من رجب الأصب سنة 1267 سبع وستين ومائتين وألف فأعمل يعملات عزمه، وعلق همته بالمدارك العالية فنحى مَنْحى الشيخ إسماعيل التميمي في التنزيل وتتبع المدارك والإصابة في التطبيق حتى صار فقيهاً أصولياً مع ما له من اليد الطولى في المعقول، وفصاحة المقول.

ولما توفي الشيخ محمد النيفر قدمه المشير الثالث محمد الصادق باشا باي مفتياً ثالثاً يوم الأحد الخامس عشر من ربيع الثاني سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف وقربه حتى أدخله في مجلسه الخاص، وولي مدة المجالس في المجلس الأكبر وتقلد خطة نقابة الأشراف في جمادى الأولى سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين وألف وكان الأمير يرغب في مجالسته وهو لا يتخلف عن زيارته وقد نال من عطاياه الوافرة أمراً عظيماً وكان ذا رفاهية وحب لنضارة العيش يركب المراكب الفاخرة ويلبس أحسن اللباس.

أدركته يقرىء بجامع الزيتونة درس المحلي ودرس صحيح مسلم بفصاحة بديعة يحضر الدرس وهو ملتف بسفساري من حرير والعلماء بين يديه يأخذون

عنه، وهـو علامة المعقول والمنقول فصيح كريم النفس رفيع الهمة حسن المفاكهة والمحاضرة محب للخلاعة فصيح القلم واللسان شاعر مجيد، شعره يصلح ديواناً وقد أثبتُّ منه نحو الكراسين في كتابي مجموع مجمع الدواوين التونسية.

وقد شرح قصيدة البردة شرحاً بديعاً سمـاه شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، وله حواش[1] على شرح القطر لابن هشام أبدع فيها ما شاء وحرر فيها مسائل عويصة يحتاج إليها المنتهي أكثر من المبتدي. وقد طبع كل من الشرح والحاشية بالمطبعة المصرية[2] وكتب عليها مصحح المطبعة عند ختم كلٍّ تقريظاً لطيفاً وهو الأديب البارع الشيخ طة قطرية بن محمود الدمياطي فكان تقريظه على شرح البردة هو قوله:

[الرمل]

ملء عيني من لأوج الحسن يرقى ... مذ جفاني[3] بات دمعي ليس يرقا
بـان عن عيني ولكن لـم يبـن ... عن فؤادي وعصـا صبـري شَقَّـا
عـاذلـي فيـه مـلح والـهـوى ... آمـر نـاه لـقلب ضـل عِـشْقـا
راعني من بعد صفو العيش إن ... قيل قد آن حثيت العِيس سـوقا
يـا حـداةَ العِيس قـرّت عينكم ... بـالقـواريـرِ ارفقـوا بـالله رفقـا
يـا بِـرُوحِي يُـوسُـفِـيّـاً حسنُـه ... مصـره قلبي وإن أذكـاه شـوقـا
ليتـه لما كسـا جسمي الضنى[4] ... بـردة المدح لخيـر الناس خلقـا
سيـد لـو عـاش يُـطري مـدحـه ... ألف عـام أفصح الأقـوام نـطقـا
لـم يُنَـلْ مـن صفـه إلّا كـمـا ... شام في الأفق كليل الطرف برقا
قـامـت البـردة مـن أعـبـائـه ... بـالـذي عـز على الغيـر وشقّـا

---

(1) في الأصل حواشي.
(2) وقد طبع كل منها سنة 1296.
(3) في الأصل قد جفاني. وما أثبت هو ما في التقريظ المطبوع.
(4)، في الهامش الظنا.

يـا لهـا بـردة مـدح حـاكهـا ... شـرف الدين الـذي أحرز سبقـا
واقتضت شـرجـاً لهـا من فاضـل ... يكشف السـر الـذي رق ودقّـا
والـذي استخـرج منهـا كنـزهـا ... فـاتحاً من بـابها مـا كـان غلقـا
شـرحها الـوافي المسمى بالشفـا ... آخـر الـطب ومـا أحـلاه ذوقـا
هـاكـه شـرحـاً بـديـعـاً طبعـه ... من يسـوي بصناع الكف خـرقا
تم[1] طـبـعاً فـانجلى تـاريخـه ... (في شفا القلب الشفا للطبع حقّا)

وكتب على حواشي القطر بقوله:

[الكامل]

ظَعن الحبيب فبات يندب منزلا ... صب تنبـأ دمعـه مـذ أرسـلا
بلغت به الأوصاف مبلغها الذي ... تـركت بـه جِيـد العـزاء معـطلا
أتُرَى الذي هَوِيَ الجميل فتـامه ... يَهوى[2] من الصبر الجميل تجملا
يا عاذلي اقصر من ملامك أو أطِلْ ... إنّي على الحـالين لن[3] أتحولا
أتحط عن أهـل الهـوى أعبـاءه ... فاحطط إذاً عبء الملام المُثْقَلا
لو جئت بالتسهيل في أمر الهوى ... لـوجدت قلـباً سـاهـياً فيمن سلا
لكن رأيتـك في الملامـة واغـلاً ... فـرأيت قلبي في الصبابـة أوغلا
هب أنّ لومَك لي هديةُ نـاصح ... يـأبَى الغـرامُ لمثلهـا أن تقبـلا
فـاستبق بعض اللّوم تُهديـه إلى ... أهـل القلوب بأن قلبي قد خـلا
نحـو الحبيب بعثتـه بـهـديـة ... بـعث الأريـب بهـا إلـينـا أوّلا
كم خاض بحرَ المشكلات بفكره ... حتى لعمـرك لم يغـادر مشكـلا
أكْـرِمْ بهـا شهـدت بـأنعم ربهـا ... من مـد للتحقيق بـاعـاً أطـولا
فلتقعـد الهمم التي انبعثت إلى ... نسـج على منـوالهـا أن تفعـلا

---

(1) في الأصل: ثم.
(2) في الأصل: تهوى.
(3) في الأصل: لم.

ولتبذل الطلاب في تحصيلها درر النفائس والنفوس لتحصلا
فالطبع أولاها الكمال مؤرخاً (القطر خير هدية طبعاً حلا)

وقد كتب صاحب الترجمة أيضاً حواشي على شرح العِصام للسمرقندي لم يتمها، وله حواش على المقدمات من المحلي على جمع الجوامع وله حواش على حاشة المولى عبد الحكيم على المطول سماها الغيث الإفريقي نحا فيها منحى عزيزاً وولج فيها وعور مسالك السعد والسيد وناقش[1] فيها المولى عبد الحكيم وكفاه بذلك فخرا يخلد له في العلوم ذكرا.

وكانت بيده مشيخة مدرسة حوانيت عاشور ووليها بعد وفاة الشيخ حمدة الشريف، فختم فيها الأختام الغريبة يحضر بها الأمير والعلماء وتجري فيها المباحثات المعتبرة.

ولما توفي الشيخ محمد البنا صار مفتياً ثانياً وله في المجلس الشرعي صولة تنازع مع كبير أهل الشورى الشيخ أحمد بن حسين في المجلس بمحضر الأمير فأبطل الأمير اجتماع المجلس بين يديه من أجل ذلك.

ولم يزل في بذاخة شأنه إلى أن أصابه نقط في عيد الأضحى وكان مقيماً بأريانة فاستمر ساكتاً أياماً إلى أن عاجلته المنية وله من العمر نيف وخمسون سنة فتوفي في يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين وألف ودفن بتربة آبائه بزاوية سيدي علي الزواوي عند باب سيدي عبد الله الشريف عليه رحمة الله وحضر جنازته الأمير والمأمور ورثاه خاتمة الشعراء الشعراء الشيخ محمود قابادو بالمرثية الطنانة المثبتة في ديوانه التي قال في مطلعها.

[البسيط]

خطب له الدين أرنى لحظ مذعور فالناس ما بين مبهوت ومبهور

---

(1) في الأصل: وناكف.

ورثاه الشيخ محمد بن مصطفى بيرم[1] بقوله:

[الطويل]

خطوب المنايا بالرزايا تزعزعُ ... شوامخَ علمٍ بالمعارف تنبع[2]

فأهْدم من حصن الشريعة معقلٌ ... يدافع عنها كل خطب ويصنع

وزلزلت الأقدام عند مُصابه ... وخُشِّعَتْ الأبصار بالدمع تهمع

وأذهلت الألباب عن كل واضع ... وأرجفت الأكباد مما يُلَسِّعُ[3]

وأبكمت الأفواه من كل مصقع ... وصَمّت ذوي[4] الأسماع من هول ما وَعُوا[5]

ورجت له الأقطار لما غَدا بها ... نعيق غراب البين بالرزء يصدع

وعجت[6] إلى الله المهيمن أعبدٍ ... تقد لِمَا[7] أمضى بحتم وتخضع

ومن ذا الذي لا يرتضي بقضائه ... وكيف له إنكار ما هو يصنع

فسبحانه من خالق ومدبر ... لإبداع كون للكمالات يجمع

إذا أنت قد أمعنت فكراً بصنعه ... تجدْ[8] حكمة في كل ما هو يُبدع

ويقضي النُّهى والطبع أن لنوعنا ... معادا[9] إلى ما فيه كنا سنرجع

تدّبر إذاً حقاً لما هو مُحْكَمٌ ... بآياته يتلى عليك فيسطع

(فمنها خلقناكم وفيها نعيدكم) ... ترى القَدْر[10] عيناً قد تألق يلمع

تذكر بمن قد كان سبقاً ممتعاً[11] ... فأضحى صريعاً للبليات يُسرع

---

(1) الأعلام ج 7 ص 322.

(2) في الأصل: تتبع.

(3) في الأصل: مما لمع.

(4) في الأصل: ذوو.

(5) هكذا في الأصل مشكولة مع أن الصواب وعوا.

(6) في الأصل: وعجبت.

(7) في الأصل: مما.

(8) جزم تجد بدون جازم لأن إذا لا تجزم.

(9) في الأصل: معاذ.

(10) القدْر بسكون الدال هكذا.

(11) في الأصل مرمصا.

فيا تراكم من نـواصي تعفرت[1] به بعدما[2] قد كان فيها تضـوع
وأنجم هـدي قد هـوت بِرُغَـامه وكان لها فـوق السّماكين مَـربع
وأربـاب تيجان لـه قـد تسلمت وأصحاب عرفان به قد تصرعـوا
فهذي سبيل الغـابرين وأنت في غرور الدُّنا فانظر لما ذا تُرَجَّعُ[3]
ففز بالذي يرْجى ليـومٍ تَخَافُـة وأعرض عن الدنيا وما هي تخدع
فقد أفجعت لب الأنام بنهبهـا[4] إمامَ الورى وهو المهنا[5] المرفع
رَمَتْ ابْنَ عاشورٍ بسهمٍ مُقَرْطَسٍ وَثَبْتِ رَزَايـا لا تـكـاد تجـرّع
هو الطاهر الأسمـى محمد الرضى مكين[6] بـأسرار الشـريعـة يبـرع
لـه الشرف الأعلى بعلم ونسبـة إلى خير خلق الله تنمى[7] وترفع
وذو همـة قد رصعت[8] بعلوهـا مصابيح هدي بالبـديع[9] تـرصع
هلم بنـا نبكي لفقـد إمـامنـا وَقَدْ جاءنا منه الصقال الممنع[10]
فَيَـا لِهُمَامِ الـدين فخـر رجـالـه وصـدر الفتاوي باللّحـود يضيـع
ويـا أسفا قـد دج غيهب فقـده بسبل الهدى فهو المصاب المفضع
وواهاً دروس العلم أظلم جوهـا فـأغشى عُيونَ الـطالبين التدمـع
وواهاً لديوان الفصاحة مرتجا[11] فأمسى قَفاً[12] بين البلاغة يصفع
وواهاً لتحريـر الدروس وبسـطها وتقـريـرهـا حتى يـزال التبـرقـع

---

(1) هكذا في الأصل.
(2) في الأصل: بعدها.
(3) هكذا في الأصل.
(4) في الأصل بنهيبها.
(5) في الأصل: المهني.
(6) في الأصل: بكين.
(7) في الأصل: تسنى.
(8) في الأصل: رخمت.
(9) في الأصل: بالمحيص.
(10) في الأصل: فقد يأتنا منه الصقال الممنع.
(11) أرتج.
(12) قفر.

وواهـاً لفهم للمبـاحث كـاشفٍ ... وواهـاً لعضب في النوازل ينقـع
وواهـاً لفصل للتشـاغب حـاسمٍ ... وحزم لأيـدي الزور والبهت يقطع
وواهــاً لجَمَّـاع المكــارم كلهـا ... ونقادة الدنيا العليمُ السميدُع [1]
فمن ذا الذي للغامضات وكشفها ... وخوض بحور سبحها متزعـزع[2]
ومن ذا لبث المكرمات ونشـرها ... ومن ذا الذي يُبدي المزايا وينفع
هوى طودها العالي فقلت مؤرخاً ... (سيرقى حِمَى أعلى الجنان يُر فَّعُ)

- 41 -
الشيخ الشاذلي بن صالح[3]

هو شيخنا أبو عبدالله محمد الشاذلي بن عثمان بن صالح بن أحمد الجبالي، كان جده يحترف بصناعة الشاشية وقد تزوج امرأة أمها بنت الشريف الأبر الحاج علي دمدم المشهور الشرف بتونس وأوتي منها بولده عثمان فله شرف من قبل أم أمه.

وكان والده عثمان خيراً حافظاً للقرآن العظيم يقرأ الأحزاب بجامع الزيتونة وولده ملازم له لفقد بصره إلى أن توفي سنة 1274 أربع وسبعين ومائتين وألف.

ونشأ في طاعة والده والبِرِّ به نشأة محمودة، وتوجه باعتناء والده لخدم العلم الشريف بعد أن حفظ القرآن بختم السبع تجويداً على الشيخ محمد المشاط، وقرأ عليه كتب مبادىء النحو، وقرأ على الشيخ فرج التميمي كتب مبادىء النحو أيضاً إلى أن ختم عليه المكودي على الألفية، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي شرح الدرة والمكودي على الألفية ومختصر السعد ونبذة من تفسير القاضي البيضاوي، وقرأ على الشيخ محمد بيرم الثالث مختصر السعد البياني ومختصر السنوسي المنطقي وأجازه بثبته، وقرأ على الشيخ إسماعيل التميمي نبذة من

(1) على قطع النعت.
(2) في الأصل: متمتزج.
(3) ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 414).

شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي، وقرأ على الشيخ محمد بن ملوكة قطعة من شرحه على الدرة والمكودي على الألفية، وقرأ على الشيخ محمد ابن سلامة قطعة من التاودي على العاصمية بحواشيه، وقرأ على الشيخ محمد بن الخوجة المكودي على الألفية بجامع صاحب الطابع وقطعة من مختصر السعد، وقرأ على الشيخ محمد معاوية الخبيصي على التهذيب، وقرأ على الشيخ أحمد الأبي الأشموني على الألفية من باب الحال إلى نهايته بجامع صاحب الطابع، وقرأ على الشيخ الشاذلي بن المؤدب الصغرى في علم الكلام، وقرأ على الشيخ نصر بن عفية الكافي نبذة من الألفية بمسجد العزافين، وقرأ على الشيخ محمد السقاط شرح الخرشي على المختصر الخليلي بمدرسة بئر الحجار، وقرأ على الشيخ أحمد الكيلاني المكودي، ومختصر السعد ونبذة من الشفا، وتصدى للإقراء بجامع الزيتونة سنة 1252 اثنتين وخمسين ومائتين وألف، وأَخَذَ عنه كثير .

وتقدم مدرساً في الرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي في السابع والعشرين من رمضان سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف.

ولما توفي الشيخ فرج التميمي بالمحلة أواخر جمادى الأولى قدمه المشير أحمد باشا باي قاضياً بالمحلة المنصورة أواسط ذي القعدة الحرام سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين وألف، وسافر مع ابن عمه المولى مَحمد باي، ولاقى من إكرامه وجزيل إنعامه ما يدل على صدق نية الأمير مع العلماء ثم قدمه الأمير لخطة قضاء باردو المعمور أواخر رجب سنة 1267 سبع وستين ومائتين وألف فأحس القيام بأعبائها سيما وقد انضم إليه أنه ولي مشيخة المهندسين بمكتب الحرب يقريهم مبادىء النحو والفقه فلازم للقيام بالخطتين سكنى باردو مدة وولي مشيخة مدرسة باردو وهو يختم بها كل سنة، وكان لا يتخلف عن التعليم والقضاء بباردو، ثم قدمه المشير الثالث محمد الصادق باشا باي مفتياً رابعاً يوم الأحد الخامس عشر من شعبان الأكرم سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف، ولما توفي الشيخ محمد البنا صار مفتياً ثالثاً، ولما توفي الشيخ الطاهر بن عاشور صار مفتياً ثانياً.

ولما توفي الشيخ أحمد بن حسين تَقَدَّمَ عليه للرئاسة صالح النيفر، ولما توفي الشيخ المذكور قدمه المشير لرئاسة أهل الفتوى في الثامن والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة 1290 تسعين ومائتين وألف، وولي عند ذلك أيضاً مشيخة المدرسة المرادية فباشر الخطة بقبول النوازل، وفي أثناء تقلبه في الفتيا صدر له الإذن بالنيابة عن أيمة جامع الزيتونة في صائفة عام 83 ثلاثة وثمانين لما مرض الأئمة الثلاثة فناب في الخمس وقام إماماً بمحراب جامع الزيتونة مدة، وعند وفاة الشيخ محمد البنا الخليفة بالجامع تقدم للنيابة الرسمية الشيخ صالح النيفر وعند ذلك بطلت نيابة صاحب الترجمة.

(وقد عزل من خطة باش مفتي يوم الاثنين الثالث من المحرم سنة ثلاث وثلاثمائة وألف)[1].

وهو شَاذلي الطريقة كثير الزيارة للمغارة الشاذلية عالم فقيه، خير حسن الأخلاق مع الخصوم، سهل الجانب، يلازمه أحد شهود البلاد رجل يقال له محمد العرفاوي الجريدي ولربما اعتمد على مراجعته للمسائل الفقهية ووثق به في شهادة السر وغيرها.

وَلُوع بمطالعة كتب الأحكام وكتب عدّة رسائل في تحرير مسائل خلافية وقع له فيها النزاع مع الشيوخ (قرظ أكثرها الشيخ أحمد كريم بما أثبته في ديوان شعره)[2] وله نثر وشعر من عنوانه ما كتبه تقريظاً لكتاب تعليم القاري في التجويد تأليف الماجد إمام سراية باردو وابن إمامها الشيخ محمد بن أحمد بن شيخ الإسلام محمد البارودي وهذا نصه:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد فلما تأملت هذه الرسالة الموسومة بتعليم القاري وجدتها كتاباً جامعاً وغيثاً نافعاً ودرة فاخرة وروضة زاهرة تشهد لمنشئها بالعرفان وأنه من

---

(1) ما بين جاء في الهامش بخط المؤلف نفسه.

(2) ما بين القوسين جاء في الهامش مضافاً بخط المؤلف.

(3) وقد طبع كتاب تعليم القاري بتونس سنة 1294 وغفي صدره تقريظ الشيخ ابن صالح سنة 1293.

فرسان هذا الميدان ولحسن ألفاظها ومعانيها تستحق أن يقول ناظرها فيها.

[الطويل]

لقد جمعت وصف الحروف وبينت مخارجها كل البيان ووضحت
وزادت على هذا من العلم جملة لمن يقرأ القرآن حقاً تعينت

قاله وكتبه الفقير إلى ربه محمد الشاذلي بن صالح أصلح الله حال الجميع آمين في قعدة الحرام من عام 1293 ثلاثة وتسعين ومائتين وألف، وقد قرأته عليه نبذة من شرح المكودي على الألفية ابتدأه غرة رجب الأصب سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف، وقرأت عليه بعد ذلك نبذة من شرح التاودي على تحفة ابن عاصم وكان يومئذ بصدد تحرير حاشية على الشرح المذكور جزاه عنا أحسن الجزاء آمين.

(وقد أجرت له الدولة بعد تأخره عن الخطة مرتبا عمرياً لجلوسه للتدريس وولي وكالة زاوية الشيخ سيدي أبي سعيد الباجي عند وفاة الشيخ محمد الشريف.

وأقام في جبل المنار وكان به مرض الحصا فاشتد به إلى أن توفي بجبل المنار يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة 1308 ثمان وثلاثمائة وألف وقد ناهز التسعين في عمره وكان أجاز لي بإجازة اتصلت بثبت الشيخ عبد القادر الفاسي وهي.....)[1].

- 42 -

الشيخ علي العفيف[2]

هو الشيخ أبو الحسن علي بن بلقاسم بن أحمد بن علي بن مَحمد بن شعبان العفيفي التبرسقي، من ذرية الشيخ العفيف الغساني رضي الله عنه. قدم

(1) هذا ما جاء بهامش الأصل بخط المؤلف حيث إنه كتب الترجمة في حياة المترجم له.
(2) ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 395).

والده الشيخ القاسم من بلد تبرسق في طلب العلم، فأخذ عن أعلام عصره منهم الشيخ صالح الكواش والشيخ حسن الشريف وغَيْرِهِمَا، وامتلأ معقولاً ومنقولاً وتصدى للإقراء بجامع الزيتونة فأقرأ كثيراً وأكثر دروسه في الفقه وكان عالماً فاضلاً عابداً متواضعاً عَزيز النفس وقوراً إلى أن توفي أواخر ذي الحجة الحرام سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين وألف.

ونشأ ولده من بعده في طلب العلم فقرأ مبادىء النحو على الشيخ محمد المشاط والشيخ فرج التميمي، وقرأ أيضاً النحو والبيان على الشيخ أحمد الأبي والشيخ محمد معاوية، وقرأ على الشيخ أحمد بن الطاهر الكفاية على الرسالة، وقرأ على الشيخ محمد بن ملوكة الدرة، وقرأ على الشيخ محمد بن الخوجة المكودي والأشموني على الألفية والمحلي، وقرأ على الشيخ محمد المناعي قطعة من شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي، وقرأ على الشيخ محمد بيرم الثالث مختصر السعد، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي الدرة ومختصر السعد وصحيح البخاري وتفسير القاضي البيضاوي.

وتصدى للتدريس واجتمعت عليه جموع المستفيدين وتقدم مدرساً في الرتبة الأولى عند وضع الترتيب الأحمدي بجامع الزيتونة في شهر رمضان المعظم سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف، فواظب وأفاد وأبدع في تحرير المسائل وأجاد وختم به كثيراً من مهمات الكتب المتداولة للإقراء بجامع الزيتونة في معقول العلوم ومنقولها.

ولما ختم مختصر السعد مدحه تلميذه الشيخ أحمد بن محمد بن الخوجة شيخ الإسلام بقوله:

[الطويل]

إليك فإن العذل ليس بناجعٍ ... وقد صم عن قول العذول مسامعي
ملامك أهل الحب حول قلوبهم ... وحبّهمُ في القلب أرتع راتع
تروم ارعواءً[1] عن هوى من جفونها ... فعنّ بقلبي مثل فعل الضرائع

(1) في الأصل: ارعوايا.

فتاة متى تنطقْ تخال[1] حديثَها ... عقودَ لآلي في نحور المسامعِ
فتاة إذا تمشي تخال قِوامها[2] ... ترنح قضبان الغصون اليوانع
لها بشر مثل الحرير تخاله ... من اللين والإشراق أنورَ مائِع
وهب أنها بالسحر أبلتْ محبَّها ... ومزقت الأحشاء تمزيق باضع[3]
أليس لكل العاشقين توجع ... وتقطيع أكباد وهطل مدامع
على تلك[4] التي إن مت من طول هجرها ... حييت بكتب[5] من تحارير بارع
هو العالم الكشاف عن كل غمة ... هو الجحفل النحرير باني[6] المصانع
تلذذ إذا أنصت صفو علومه ... تلذذ صب بالحمام السواجع
كأنّ تقاريرَ العفيفِ جواهر ... وأصدافها السُّمَاع أهل المناصع
إذا مشكل أدجى وأظلم[7] ليله ... بدا[8] رأيه مثل البروق اللوامع
بدا مثل بدر أذْهب الحندس الذي ... تجاريه شهبٌ لِلْعقول السواطع
سمي تحلّى بالمكارم والعُلاَ ... إلى طرق الخيرات خير مسارع
علي عفيف بالفخار مسربلٌ ... تقي نقي العرض عذب المشارع
وأنتَ الذي للعز سَهّد جفنه ... وأرقه من نائم الطرف هاجع
وأين الذي يرضيه وطء بسيطه ... ومن ذا الذي يرضيه وَهْمُ[9] المطالع
أرى كل طود للمكارم جامع ... وأنت من الأطواد (جمع الجوامع)

وتقدم لخطة قضاء المحلة المنصورة في أواخر رجب الأصب سنة

---

(1) تخال حقه الجزم لكن لا يستقيم بذلك الوزن.
(2) في الأصل: حيالها.
(3) في الأصل: ياضع.
(4) تلك ساقطة من الأصل.
(5) في الأصل: بصفق.
(6) في الأصل: مني.
(7) في الأصل أغرق.
(8) في الأصل: جبا.
(9) في الأصل: من الذي لا يرضيه وهو المطالع.

1267 سبع وستين ومائتين وألف فسافر مع الأخوين المشيرين الثاني والثالث وكانا يشكران منه حسن المعاشرة، ثم تقدم لخطة الإفتاء فصار مفتياً خامساً يوم الأحد الخامس عشر من شعبان الأكرم سنة 1277 سبع وسبعين، واقتصر على خطته بحيث أنه لم يقض بين اثنتين وكان عالماً ثبتاً فاضلاً تقياً حسن الإلقاء بعيداً عن التكلف، محافظاً على مروءته، لم يطرق الأبواب ولم يقم في بيته على السائلين حجاب، كثير الأناة والترنم حتى في تلاوته وإقرائه، كامل العفة ونظافة الثياب لم يتزوج قط، تقدم لمشيخة المدرسة المنتصرية بعد أن هاجر شيخنا الشيخ الحاج عبد الله الدراجي إلى المدينة المنورة وحضر الأمير في أختامه ولم يتصنع فيها البتة، ومع ذلك كانت أختامه محررة تقع فيها المباحثات من الحاضرين متخلقاً بأخلاق الصالحين من القناعة مع سعة ذات يده، خرج من بيته في اشتداد القيظ فنادى على تابع له وأيقظه من نومه وأمره برفع ما توسده فإذا تحته حية عظيمة فقتلها ورجع إلى بيته.

وصدر له الإذن أولاً بالنيابة عن أيمة جامع الزيتونة عند تعذرهم ثم تقدم عليه وعلى من قبله إماماً ثالثاً الشيخ صالح النيفر ثم قدمه المشير محمد الصادق باشا باي إماماً ثالثاً في الثامن عشر من ربيع الأول سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف، ثم قدمه خليفة للشيخ محمد الشريف أواخر ذي القعدة سنة 1290 تسعين ومائتين وألف فزان المحراب والمنبر بحسن تلاوته وتأثير مواعظه التي تخشع بسماعها القلوب وكان مع ذلك إماماً بجامع الزيتونة الأصغر خارج باب البحر يقيم به الجمعة والعيدين.

ولما توفي الشيخ محمد البنا صار مفتياً رابعاً، ولما توفي الشيخ الطاهر ابن عاشور صار مفتياً ثالثاً، ولما توفي الشيخ صالح النيفر بعد تقدمه للرئاسة صار مفتياً ثانياً.

وكان مع خططه المذكورة مواظباً على التدريس لا يتخلف عن دروسه إلا بالمانع الأكيد وقد أقرأ كتباً كثيرة وانتفع به خلق عظيم، ومع كثرة دروسه لم يسمح لي الوقت بأخذ كثير عنه وإنما قرأت عليه نبذة من آخر الشفا للقاضي عياض

وحضرت ختمه ونبذه من أول صحيح مسلم في مدة راحة المصيف وحضرت أختامه بالمدرسة.

ولم يزل على كمالاته ثنيان الفتوى والإمامة إلى أن توفي في الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة 1292 اثنتين وتسعين ومائتين وألف، ودفن بالزلاج عليه رحمة الله وقد رثاه العالم الشاعر الشيخ سالم بوحاجب بقوله:

[الكامل]

بتسابقي ذي الدار هل من دارِ ... إن المَنِيَّةَ غايةُ المضمارِ
وفي الترتيب السبق[1] لقاء مَحْـ ... ـتوم الردى بالبدء بالأخبار
مثل الذي قد صار هذا الرمس من ... بركاته متيم الزوار
الفاضل الحبر الهمام المرتضى ... بتقى وعلم منبر الأبرار
ذو همة أضحى اسمه وصفاته ... وكست معارفه برود وقار
ونزاهة قد صدّقت تلقيبه ... باسم العفيف جماع كل فخار
لله دوحة علمه كم أثمرت ... نفع الورى كل على مقدار
وفروعها دوحاً غدت وتفرعت ... منها فروعٌ جمة الأثمار
أبمثل هذا مات لا بل إنما ... غابت مشاهده عن الأبصار
ومضى إلى دار الكرامة معقباً ... مجرى الأجور (فنعم[2] عقبى الدار)
قد كان ما يرجوه في تاريخه[3] ... (ساق العفيف إلى أعز قرار)

- 43 -
الشيخ صالح النيفر

تقدم استيفاء ترجمته في الأيمة وقد تقدم لخطة الفتيا في غرة صفر الخير سنة 1280 ثمانين ومائتين وألف فولي مفتياً سادساً، ولما توفي الشيخ محمد البنا

(1) في الأصل: وفي الترتب في السباق.
(2) في الأصل: نعم بدون فاء.
(3) في الأصل: إن ماء سابقه ففي تاريخه.

صار مفتياً خامساً، ولما توفي الشيخ الطاهر بن عاشور صار مفتياً رابعاً، ولما توفي الشيخ أحمد بن حسين تقدم للرئاسة على من قبله لازمها إلى أن توفي عليه رحمة الله آمين.

- 44 -

الشيخ محمد الشاهد[1]

هو شيخنا أبو عبدالله محمد ويدعى حمدة بن مَحمّد بن عثمان بن عمر ابن سلامة شهر الشاهد من ذرية الولي الصالح الشيخ سيدي عمر الكناني دفين ضواحي القيروان رضي الله عنه، وكان انتقال آبائه من القيروان في إحدى الفتن إلى تبرسق فنزلوها وتناسلوا بها، وكان لعمر بن سلامة المذكور ولدان وهما علي وعثمان، أما علي فكان عالماً جليلاً ولي خطة القضاء بتبرسق وأما عثمان فكان عدلاً ثقة وفيه صلاح تقلد خطة العدالة ولم يشهد نحو الأربعين سنة ويقال إنه طولب لخطة القضاء بعد وفاة أخيه فلم يجب وارتحل إلى تونس وتوفي بها وترك ولده مَحمد بفتح أوله في إبان بلوغه فقرأ على الشيخ محمد الشحمي وغيره وتقدم للإشهاد وعاش نحو التسعين سنة وتوفي عام 1255 خمس وخمسين ومائتين وألف.

وقد ولد ولده صاحبُ الترجمة نحو سنة 1220 عشرين ومائتين وألف وقرأ القرآن العظيم باعتناء والده، ونشأ نشأة صالحة فأخذ في قراءة العلم سنة 1236 ست وثلاثين وجود القرآن العظيم بروايات ست إلى أن ختم البقرة على الشيخ محمد المشاط، وقرأ عليه شرح الشيخ خالد على الآجرومية، وقرأ على الشيخ محمد الخضار قطعاً من سيدي خالد والقطر والفاكهي والقاضي على الخزرجية، وقرأ على الشيخ فرج التميمي قطعة من المكودي، وقرأ على الشيخ أحمد بن الطاهر نبذة من المختصر الخليلي، وقرأ على الشيخ أحمد زروق شرح القاضي علي إيساغوجي، وقرأ على الشيخ أحمد بن حسين قطعة من الخبيصي، وقرأ على الشيخ محمد بن معاوية نبذة من القطر ونبذة من الشذور، وقرأ على الشيخ

(1) ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 415).

محمد بن ملوكة شرح الدرة للمص وشرْحَه عليها والسلم والألفية، وقرأ على الشيخ محمد بن الخوجة مختصر السعد، وقرأ على الشيخ أحمد الأبي الفاكهي والأشموني والأربعين النووية، وقرأ على الشيخ محمد بيرم الثالث شرح العصام على السمرقندية ومختصر السعد، وقرأ على جدي الشيخ مَحمد السنوسي الخرشي على المختصر الخليلي من البيوع، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي قطعة من آخر المكودي وشرح الشيخ قدّورة على السلم ومختصر السعد، وقرأ على الشيخ محمد المناعي نبذة من شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي، وقرأ نبذة منه على الشيخ إسماعيل التميمي.

وتصدى للتدريس بغاية المواظبة والاعتناء بتحرير المسائل وتقدم مدرساً في الرتبة الأولى ابتداء عند وضع الترتيب الأحمدي في رمضان المعظم سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين وألف، ثم تقدم للإمامة بجامع الهواء ومشيخة المدرسة التوفيقية بعد تنقل الشيخ أحمد بن حسين لخطبة جامع أبي محمد عند وفاة الشيخ علي الرياحي فزان الجامع بخطبه وأختامه الرائقة مع مواظبته على التدريس بجامع الزيتونة ختم بها كتباً كثيرة. وتقدم مفتياً سادساً في ثالث ربيع الأول سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف.

وهو عالم محصل دراكة في المعقول والمنقول، كان يقرىء المطول بالمدرسة الشماعية ويحضر دروسه كثير من أعيان العلماء وهو يقرىء كل يوم من المطول وحواشي السيد والسيلكوتي عدة ورقات يستمر في إلقائها من الضحى إلى قرب الزوال مع غاية الإفصاح والإلمام بما احتوت عليه من دقائق الأنظار وحل المشكلات وقد كان بعض النقادة من تلامذته يورد عليه البحث المتعلق بكلام السيلكوتي فيُطرق مفكراً ثم يأتي بالعجب العجاب وناهيك به من قدوة فاضل حسنِ الأخلاق بعيدٍ عن التصنع معدود من بركة السلف الصالح حسن النية يسكن بربض سيدي منصور ويحضر جامع الزيتونة كل يوم راجلاً لا يتكلف شيئاً في سيرته ومعاملته مواظب على الإقراء أخذ عنه كثيرون، دَرْسُه سهل المأخذ حسن العبارة لا يخرج في درسه عن محل الحاجة إلا بما لا بد منه وقد قرأت عليه قطعة من أول شرح الشبرخيتي على الأربعين النوويّة.

ولما توفي الشيخ البنا صار مفتياً خامساً، ولما توفي الشيخ الطاهر بن عاشور صار مفتياً رابعاً، ولما توفي الشيخ صالح النيفر صار مفتياً ثالثاً، ولما توفي الشيخ علي العفيف قدمه الأمير مفتياً ثانياً.

ولم يزل سالكاً حالته[1] في الاجتهاد في التدريس اليومي حتى تخرج عليه كثير من فحول جامع الزيتونة وتيسر له بمواظبته وحسن تضلعه في الصناعة أن ختم كثيراً من مهمات الكتب المتداولة الإقراء بالجامع حيث إنه لا يشغل درسه بشيء من فراغ المباحث اللفظية، وجميعُ درسه تحقيقات علمية مع الأخذ بمجامع الكلام فيجمعه في قالب سهل التناول، لكل سامع مع كثرة ما يقريه من المسائل وفي سنة 1279 تسع وسبعين ختم شرح الأشموني على الألفية وما هو بأول أختام هذا الكتاب ومدحه عند ذلك تلميذه المدرس الشيخ محمد بن مصطفى بيرم بقوله:

[الطويل]

فمثلك أفق العلم أضحى منجما ... وباهى بك بدراً منيراً إذا سما
وتوج هامَ المجد منك مفاخرٌ ... تَرَّقى بها في العاليات معظَّما
وقلد جيدَ الفخر منك لآلِئٌ ... على سمطها تبدي بهاءً منظما
وملء صدور الفضل منك جلالة ... فلله يوماً كنت فيه المقدما
به أقبلت بشرى الهنا بمحمد ... لعرش المعالي إذْ له قد تسلما
فأصبح يشدو أنه نال ما بدا ... بليغاً فصيحاً كاملاً ومفخما
بيانِ المعالي سلسل من رحيقه ... يسوغ لذيذاً رشفه ومُنعِّمَا
تفرس فيه الدهر أنه عالم ... فميزه بالشاهد الفذ إذْ طما
رياض التقى كانت عليه مهابة ... تجلى بها في موكب قد تسنما
يحاكي ضياء الشمس إشراقُ نوره ... ويربو على الأعياد بشرى وموسما
ويبدي ويعلي في سماء مهابه ... من المكر والإنجاب شهبا[2] وأنجما

(1) في الأصل: جل ته هكذا.
(2) في الأصل شهب.

فـوافيت ختم المزج فيـه إبانـةً[1] وأوليت من إبـداع كشفـه الغمّـا
بقيت تظل[2] الروض من علم مانـح يفيض المزايـا من بحـار تكـرمـا
ودم وابق واعزز واتقي ورق وقل وحل واسعد وامنح وزدوانح واسلما؟

وقد[3] توفي على خطة الإفتاء بعد زوال يوم الأربعاء الرابع من ذي القعدة سنة 1311 إحدى عشرة وثلاثمائة وألف ودفن يوم الخميس بالزلاج عليه رحمة الله.

- 45 -

الشيخ محمود قابادو[4]

هو شيخنا أبو الثناء محمود بن علي بن مَحمد قابادُو الشريف، أصلهم من صفاقس وأهل بيته من أرباب صنائع عمل الأيدي وقد تنقلوا إلى تونس وبها ولد صاحب الترجمة سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف وأرخ ولادته بقولـه (ولد الشيخ الأكبر) يعني الشيخ محيي الدين لما له من الولع بحبه والتعلق به. وقد نشأ نشأة صالحة فلاحت عليه مخائل البراءة في صغره فقرأ مبادىء النحو ثم تعاطى الأسماء والأذكار، وتشوف إلى مراقي الأسرار، وساح بـالتعرف إلى العـزيز الجبار.

وارتحل إلى طرابلس في أخذ المدد من الطريقة المدنية وكان يعتريه الحال فيجد على لسانه أشعاراً رائقة فيأخذ في كتابتها في ظلمة الليل الداجي فيجد النور يضيء على قلمه فيكتب ما شاء. وكان شيخه ينهاه كثيراً عن ارتكاب مثل ذلك فلم يكن منه إلا التمادي حتى انقشع عنه سحاب تلك الحال، وعاد إلى تونس ثابتاً محنكاً بالفصاحة. فتعاطى التدريس والمطالعة ويقال إنه في أثناء

---

(1) في الأصل: أبانه.
(2) في الأصل: نضال.
(3) قوله وقد توفي إلخ: جاء هذا في الأصل بالهامش بخط المؤلّف.
(4) ترجمته في مقدمة ديوانه بقلم المؤلف محمد بن عثمان السنوسي الذي طبعه سنة 1295 بمطبعة الدولة التونسية وفي عنوان الأريب (ج 2ص 127)، وفي شجرة النور (ج 1 ص 393).

ذلك قرأ على الشيخ محمد معاوية والشيخ أحمد بن الطاهر وعلى ثبوت ذلك فإن العلم الذي ظهر عليه أعظم من ذلك بكثير ولا طريق له إلا الفتح الإلٰهي فقد ظهرت عليه علوم شتى أعظمها علم القوم، فكان فيه المفرد العلم، العارف بأذواقهم وأفهامهم. وأما الفصاحة والبلاغة ونظم الشعر الذي لم ينسج على منواله سابق فتلك رتبة يدركها كل مطالع لديوان شعره الذي جمعته له بعد وفاته وتيسر بعون الله طبعه في جزأين وقرظه جميع أدباء الحاضرة وكثير من أدباء الجهات الشاسعة حتى بلغت تقاريظه ما يصلح أن يكون كتاباً من الشعر والنثر.

وقد كتبت على ظهره قولي:

[الكامل]

هذا الذي نَظَمْت به الآباد ... عقداً به تتفاخر الأجياد
تنسي محاسنه القلائد والمخا ... ني إن زها[1] بنظامه الإنشاد
فيريك (نفح الطيب) مع زهر الريا ... ض بزُهْرِ أفق بلاغة تنقاد
جمع المحاسن زُهْرَها والزهر في ... ديوان شعر أبي الثناء قابادو

وأعجب العجاب في آدابه قصيدته القريبة التي سماها «سوق أساطيل البوارج لعوق أباطيل الخوارج» تهنئة للسلطان عبد المجيد خان لما أراد الخوارج أن يوقعوا به وأنجاه الله من مكرهم وهي تحتوي على تواريخ لا يُحصي عددَها إلا الله ولغرابة أمرها رأيت أن أثبتها هنا مع بعض شروح الناظم عليها وهي قوله:

[الخفيف]

(خَيْرُ حامٍ) مُجْدٍ (مُجِيرِ) العَبِيدِ
حَاطَ خَيْراً (1) مُجْرىً لِـ (عَبْدِ المَجِيدِ)
حَاطَهُ (2) (عَنْ عِثَارِ) جَعْدٍ (3) (بِرَجْفٍ)
مُنْتِجٍ (حَجْدَ) عُرْفِ (4) رَبْقِ (5) الـ (عُهُودِ)

(1) في الأصل: زهى وكذلك في مطلع الديوان الذي وقف على طبعه المؤلف بنفسه.

(آلُ عُثْمَانَ) (كَـ) ـفْـ (ـلُ) (6) رَ (هْـ) ـجٍ ((7) بِرَجْـ (ـم) (8)
(جَـبَـرُ) وا الأطْـمَ (9) ثَـلْمَ (10) (رَجْـفٍ) عَـنُـودِ
(فَـرْعُ إرْثٍ) سَـمَـا وَجَـ (ـلَّ) بِـنَـجْـلٍ
فَـرَعَ (11) الـ (ـنَّسْـ) ـرَ(12) (جُـ) ـثَّ (13) (بَـأْسٍ وَجُـودِ)
سَـابَ رَجْـواً فَـ (ـقَـصَّـرَتْ عَـنْ جُدَاهُ)[1]
(رُجْـفُ (14) سُـحْـبٍ) قَـدْ رُوِّعَتْ مِـنْ جُـمُـودِ (15)
فُـجِـعَـتْ (بـانْـسِـجَـامِ) رَكْـمِ قِـرَاهُ
(و) انْـسِـجَـامِ (رَجْـفٍ) بـ (ـشُـكْـلِ رَعُـودِ)
(يَـا ثِـمَـالَ) رَجْـعٍ بِـ (ـنَجْوَى) نَـصِـيرٍ
لِـ (ـصَـرِيـعٍ بِـرِ) ثْـدِ (16) مـ (ـجْـنىً) نَـجِـيـدِ (17)
(نَـصْـرُ جَـفٍّ) (18) جَـمٍّ وإعْـتَـاقُ (رَبْـلٍ) (19)
بَـلْ (ثِـمَـالٌ) نَـسْـرٌ (20) لِـرَجْـفِ (الـوُجُـودِ)
(عَـضْـمُ (21) جَـارٍ) يَـثْـنِـي (22) الـجَـرِيَّ بِـهِ (نَـا
جَـى (23) الثُّـرَيَّـا) نَـصْـراً (بَـدِيـ) ـعَ الـجُـ (ـنُـ) ـودِ
(حَـيْـثُ نَـارَ البِرْجيس) لـلأوْجِ عَـيْـنـاً
حَـيْـثُ (سَـعْـدٌ) ا جَـرَى بِـنَـصْـرٍ (نَـجِـيـدِ) (24)
(فُـقْـتَ نَـجْـرا أَمْ أَ) صَّـلَ (الـمَـجْـ) ـدَ بِـرٍّ
رُمْـتَ (لِـ) ـلْـ (ـبَـ) ـجْـلِ نَجْـرِ (صِـدْ) قِ فَـ (ـرُ) ودِ (25)
(فَـنُـجُـومٌ رَاقَـتْ) (26) صُـعُـودَ (كَ) رَجْـبـاً (27)
فَـرَقَـتْ مِـنْـكَ أوْجَ (بُـرْجِ الـسُّـعُـودِ)
(آثَـلُوا الـمَـجْـدَ) مِـنْ فُـرُوعٍ بِـحَـجْـرٍ
(مُنْجِحاً بُـرْهَ) (28) جُـدْلٍ (29) عُـرْفٍ (30) ثُعُـودِ (31)
(مَـاثَـلُوا نَـجْـرَهُـمْ بِـأ (ـرْفَـعِ) مَـجْـدٍ
أثْـمَـلُوا (نَـجْـرَ) (32) عُـرْفِ (ـهِـمْ (33) بِـالـجُـدُودِ)

---

(1) في الأصل: جداه بالضم.

(مِـثْـلُـهُـمْ مَـنْ أَبَـار) مُـلْـجَـوْرِ رجْـفـاً[1]
لَاث (34) (عَجْـراً (35) فَجُـو) سِ (36) نَـكْبٍ مَـ(ـر) ودِ
(فَـأَجَـارَ) (37) آلـ(ـعِـثَـ)ـا(رَ) (38) مُسْبِـلَ نُجْـدٍ (39)
فَـارِعـاً (40) (بِـصِـلَـنـا (دِ) ثُـجْـرِ[2] (41) الـنُّـجُـودِ)
(جَـلَّلُوا الـنَّـفْـرَ) لُـبْسَ رَجْـوٍ (42) وَثَـالُـوا
(سَبْرَ (43) جُودٍ مِـ) ـنْ حَفْـ(ـلِ[3] ثَـ(ـجْمٍ (44) مَرُودِ (45)
(فَـثَـرانَـا) مَـسْـجُـولُ) بِـرٍّ بِـجُـمْـلٍ (46)
ثَـرَّ سَـجْـمٍ لِـنَـفْـحِ (سَـجْـلٍ بَـرُودِ)
(نَـاصِـرُو الـحَـقِّ) كَـبْـتُ عَـجْـوٍ[4] ورَجْـفِ
(بَـاكِـتُـوا الـفَـجْـرِ) صِـدْقُ رَهْـنِ آلـ(ـمُـجَـ)ـو(ـدِ)
(أَمَّـنُـوا الـجَـمْـعَ) حَـرْبَ (رَجْـفٍ) قَـتَـامِ
أَرْجَفُـوا أَمْنَ جَـمْـعِ لُـ(ـبْـثِ (47) الـحُـرُوْدِ)[5] (48)
(آثَـرُوا الـبِـرَّ عَـنْ) جُـفَـالٍ وَصَـدٍّ
مِـنْ جَـفَـاءٍ (جَـسُـوسٍ[6] ثَـرْبٍ) سَـرُودِ (49)
(بَـعَـثَ الـفَـجْـرَ) لـلأَراجِسِ نَـوْحـاً
(جَـاسِـرَاً) لـثَّـلْـبِ مُـرْجِـفـاً (لـلنَّـهُـودِ)
(كَـمْ فَـجُـورٍ[7] مِـن) الـرِّ(ـجَـ)ـاسِ بِـمَـقْـتِ
(رَامَ ثَـلْـبـاً) (50) نَـجْـهـاً (51) لِـرَجْـفٍ صَـلُودِ (52)
(نَـالَ بِـالـسَّـفْـهِ) إِثْـمَ أَرْجَـاسِ[8] حِـجْـرِ
بَـلْ (أُجُـ)ـو(ـرِ)ا كـنـفـعِ (53) (رِجْسِ ثَـمُـودِ)

(1) في الأصل: رحيا.
(2) في الأصل: تجر بالتاء.
(3) في الأصل: من جفل.
(4) في الأصل: غجف.
(5) في الأصل: لبث الحَرُود بفتح لام لبث وفتح حاء الحرود.
(6) جسوس جاءت منونة في الأصل.
(7) في الأصل: فجور بضم الفاء.
(8) في الأصل: أرحاس.

جُـرِّعَ الـرُّغْـبَ مِـنْـه جَـ(ـحْـفٌ (وَ) حَـثُّ
رَا (دِ) عٌ عُـنْـ(ـفَ) حَـ(ـجْـدِ) رَبْـ(ـثِ) الـمُـجُـودِ
(حِـدْثُ رَجْـفٍ بِـ) ـحلْـ(ـم) إعْـنَـاجِ (54) رَوْ(ـعٍ)
عَـبْـرُ (مَسْـرَا) هَ فَـحْـثُ (56) حَـجْـنِ (57) الـ(ـهُـجُـودِ)
(فُسْـقُ جَـوْرٍ) لِـعَـدْسِ (58) جِـبْـتٍ (59) أَزَنُّـوا) (60)
فَـارَقُـوا نَـسْـ(ـلَ (61) كَـعْـبَـةٍ مَـ)ـرْ(ـجِ) جُـو(ـدِ)
(عَـيْـنُ (62) نَـبْـثٍ) جَـرَى (لِـ) ـحُـجْـ(ـرٍ عَـ)ـسِـ(ـيٍّ)(63)
(رَ) يْثَ سَـ(ـجْـ)ـرِ (65) قُذٍّ مُو(ـسِ) (66) سَبْيٍ (جَـدِيدِ)
قَـدْ جَـرَوْا وَعَـراً فَـ(ـمُـ)ـنْـبَـ (ـتُّ) (67) جَـمْـعِ)
(هُـمْ بِنَـ)ـجْـ(ـفٍ(68)لِـحِـ)ـرْ(ـجٍ) (69) رِعْـثِ (70) (آلـمُـ(ـرُ)ودِ
مَنْ ثَنَى الجِيـدَ عَمْـدَ (71) (طَيْـرٍ[1] (72) بِـرَجْمٍ) (73)
يُـرْمَ حَـجْـراً (74) (مِـنْ ثِـنْـيِ عَـبْـدِ الـمَـجِـيـدِ)
(قَـدْ جَـنَـوْا بِـالـرُّجُـوسِ) مُـرْسَـلَ شَـفْـقٍ (75)
(مُـ) وْجِـساً جُـبْـنَ (صَـفْـقِ شَـرٍّ) الـرُّقُـودِ (76)
(ثَـمَـرُ الـجَـفْـوِ) بَـعْـدَ مَـجْـنَـاهُ مُـرَّاً
(مِـنْ) فُـجُـورٍ عَـاثٍ (مَـرَابِـعَ جُـودِ)
(عَـثِـرٌ مَـنْ عَنَى بِمَـ) ـجْـ(ـرَّ) ى (77) مُـ(ـمِـيـ)ـحِ (78)[2]
هَـ(ـاجَ حَـيْـ)ـنٌ (مِـ)ـنْ عَـثْـرِ مَـجْـرًى بَـعِـيـدِ
(أَيْنَ يَجْـرِي بِـالـ) ـنَّكْثِ (عُـ)ـمْـهُ (79) جَـعَـا (رِ) (80)
يُـعْـ(ـجِـ)ـبُ الـرَّيْـنَ (81) (نَـكْـثُ) جَـارِي (الـعُـهُـودِ)
(رَبِّ وَعَّـثْ (82) مَـنْ رَا) عَ (مَـجْـ)ـداً جَـ(ـفـ)ـاهُ (83)
(وا) نْـصُـرِ آ(ـلَـمَـجْـدَ) واطْفِ (84) رَبْـثَ (85) جَـمُـودِ
(رَبِّ) وَ(آ) رْ(ـفـعْ) مَـنْـجَـا (مُـ)ؤَثَّـلِ (مَـ)ـجْـدِ
(رَ) فْـعَ رَبْـ(ـوِ) مَـا (جَـ)ـمَّ (مُـنْـشَـالُ جُـودِ)

(1) في الأصل: عمدا طيرا.
(2) في الأصل: مضيح.

أنهى [1] هذه الأعجوبة المفتتحةَ بالخير المختتمةَ بالجود راقماً بردها ببنانه، ملحمة ومسديه بجنانه، الحقير الضعيف ، محمود التونسي الشريف خادم العلوم بخضراء تونس في 29 أول جمادَيْ عام 1279 أحسن الله ختامه داعياً حامداً مصلياً مسلماً.

(1) المراد بالخير الخلافة.

(2) الضمير للخير الذي هو الخلافة.

(3) كريم والمراد به الخليفة نفسه.

(4) ضد المنكر.

(5) إحكام الربط.

(6) ضمان.

(7) شغب وفتنة.

(8) طرد.

(9) الحصن والمراد به كلمة الإسلام.

(10) بدل.

(11) صعد.

(12) اسم كوكبين شماليين من الثوابت.

(13) المكان المرتفع قليلاً وهو تمييز والمعنى أنّه علا النسر أقل أمكنته ارتفاعاً في البأس والجود فكيف بغايته فيهما.

(14) جمع رجفاء[2].

(15) بخل أي من أن توصف به.

(16) الجماعة المقيمة وبإضافته إلى المجنى وهو محل الجناية يكون كناية عن المصرّين.

(17) مغموم محْزُون صفة لصريع.

(18) جماعة الناس.

---

(1) في الأصل: انتهى.

(2) في الأصل: جمع رجفا.

(19) مصدر يعني الكثرة.

(20) إزالةٌ.

(21) حفظ.

(22) الجملة صفة المضاف إليه.

(23) الجملة صفة المضاف في صدر البيت.

(24) نافذٌ في الأمور العظام.

(25) منفرد.

(26) تبعت في الرقى.

(27) تعظيماً.

(28) بيض.

(29) صقور.

(30) مكان عال.

(31) ناعمين.

(32) قاصد ولفظه مصدر[1].

(33) جودهم والمعنى أنهم جعلوا قاصد جودهم سكران بالبخوت أي مساعدة أغراضه له وقد قيل[2]: مساعدة الأيام تسلب الإنسان عقله.

(34) لاك بفيه صفة الرجف وقرينة مكنية .

(35) مصبة[3].

(36) مبالغ في ابتداع الشر.

(37) حمى مضمن معنى أمّن فيتعدى إلى اثنين.

(38) مفعول ثان.

(39) كثير[4] سابلة طرق المجد أي المعالي والسابلة القوم المختلفون في الطريق ذهاباً وإياباً.

---

(1) في الأصل: مصد، والتصحيح من قمطرة طوامير.

(2) في الأصل: وقد قبل.

(3) في الأصل: مصبه.

(4) في الأصل: كبير.

(40) فارغاً مفعول أول.

(41) جمع أثجر للغليظ مستعار للحزونة ثم للصعوبة.

(42) رجاء.

(43) ماء بارد.

(44) سريع صب.

(45) اسم مفعول.

(46) جماعة الناس وأصله ضم الميم.

(47) إقامة.

(48) الإغضاب والتركيب كناية عن الحقد.

(49) سائق الكلام أحسن مساق وهو بمعونة المقام كناية عن التمام.

(50) تعييراً.

(51) مواجهة بالمكروه.

(52) فارٌّ فزعا وهو كناية عن اضمحلاله.

(53) فيه تهكم لطيف.

(54) جذب خطام البعير إلى خلف.

(55) تأويل.

(56) بحث.

(57) منع.

(58) خدمة.

(59) صنم.

(60) أصغوا.

(61) النَّسل المخلوق والإضافة لأدنى ملابسة.

(62) جاسوس.

(63) مظلم.

(64) الريث: البطء وهو مصدر حرفي.

(65) السجر وضع الساجور وهو القلادة في العنق.

(66) القدموس الجمل العظيم الهيكل وفي الإضافات إشعار[1] باستعارة القدموس للجاسوس وجِدَّةُ سَبْبِه[2] لانقطاع سبي[3] الخوارج بتفرد الدولة العلية.

(67) منقطع.

(68) جرف منخرق وهو كناية عن الذل.

(69) إثم.

(70) حقد.

(71) قصد.

(72) خفة.

(73) متعلق بالفعل بعده.

(74) منعا.

(75) حذر.

(76) مصدر.

(77) محل الجريان.

(78) جاعل صاحبه يميح أي يتبختر.

(79) جمع أعمه المتردد في ضلال وحيرة.

(80) أنثى الضباع وهو كقطام والتنوين للشعر.

(81) أي ذوي الرين وهو الطبع على القلب.

(82) عوّق.

(83) غلظته[4].

(84) أمر طلب ودعاء من طفا أي مات وزال.

(85) عوق.

---

(1) في الأصل الشعار.

(2) في الأصل سيبيّة.

(3) في الأصل سيبي.

(4) في الأصل: غلطته.

ثم قال الناظم المقدم ذكره

هذه القصيدة مُولّدة من الأم السالفة من كل بيت منها مصراع كما أشير إليه بالحبر [1] الأحمر وهي مثل الأم في كون كل مصراع منها تاريخاً والمهمل والمعجم إلى آخر ما نشير إليه.

[الخفيف]

خَيْرُ حَامٍ مُجِيرٍ عَبْدِ المَجِيدِ ... عَنْ عِثَارٍ بِرَجْفِ جَحْدِ عُهُودِ

آلُ عُثْمَانَ كُلُّهُمْ جَبْرُ رَجْفٍ ... فَرْعُ إِرْثٍ لِنَسْجِ بَأْسٍ وَجُودِ

قَصَّرَتْ عَنْ جَدَاهُ رُجَّفُ سُحْبٍ ... بِانْسِجَامٍ وَرَجْفِ ثُكْلِ رَعُودِ

يَا ثِمَالَ[2] نَجْوَى صَرِيعٍ بِرَجْسٍ ... نَصْرُ جَفٍّ رَبْلٍ ثِمَالُ الوُجُودِ

عَصْمُ جَارٍ نَاجَى الثُّرِيا بِدِينٍ ... حَيْثُ نَارَ البِرْجِيسُ سَعْدُ نَجِيدِ

فُقْتَ نَجْراً أَمَا المُجِلُّ بِصَدْرٍ ... فَنُجُومٌ رَاقَتْكَ[3] بُرْجَ السُّعُودِ

آثَلُوا المَجْدَ مُنْجِحاً بُرْهِ عُرْفٍ ... مَاثَلُوا رَفْعَ نَجْرِهِمْ بِالجُدُودِ

مِثْلُهُمْ مَنْ أَبَادَ عَجْرَا فُجُورٍ ... فَأَجَارَ عَثْراً بِصَلْدِ النَّجُودِ

جَلَّلُوا النَّفْرَ سَبْرَ جُودٍ مُلِثٍّ ... فَثَرَانَا مَسْجُولُ[4] سَجْلِ بَرُودِ

نَاصِرُو الحَقِّ باكِتُو الفَجْرِ مَجْدٌ ... أَمّنوا الجَمْعَ رَجْفَ بَثِّ الحُرُودِ[5]

آثروا البِرَّ عَنْ جَفَاءٍ جَسُوسٍ ... بَعَثَ الفَجْرَ جَاسِراً لِلنُّهُودِ

كَمْ فُجُورٍ مُنَجَّسٍ رَامَ ثَلْباً ... نَالَ بِالسَّفْهِ أَجْرَ رِجْسِ ثَمُودِ

جُرِّعَ الرُّعْبَ مِنْ هُجُودٍ فَحَدَّثْ ... حِدْثَ رَجْفٍ بِمَنْعِ مَسرا[6] هُجُودِ

فُسْقُ جَوْرٍ أَرْنَوْا لِكَعْبَةِ مَجْدٍ ... عَيْنَ نَبْتٍ[7] لِرَعْيِ رِجْسٍ جَدِيدِ

قَدْ رَمَتْ جَمْعَهُمْ بِنَفْلِ حِجَارٍ ... طَيْرُ رَجْمٍ مِن ثِنْيِ عَبْدِ المَجِيدِ

---

(1) في الأصل بالجد.

(2) في الأصل بثمال.

(3) من قمطرة طوامير: مفاعلة من الرقي.

(4) في الأصل: مسجور.

(5) في الأصل: الحرود بفتح الحاء.

(6) جاء في قمطرة طوامير: كتب بالألف اتباعاً للأم وعلى مذهب البعض.

(7) في الأصل بنت.

قَـدْ جَنَوا بِـالرُّجُـوس مُصْفِقَ شَرٍّ ثَمَـرَ الجَفْـوِ مِنْ مَـرَابِـعِ جُـودِ
عَثِـرٌ مَنْ جَنَى بِمَـرْمَى جَحِيمٍ أَيْنَ يَجْرِي بالعُرْجِ نَكْثُ العُهُودِ
رَبِّ وَعِّثْ مَنْ رَامَ جَفْـواً لِمَجْدٍ رَبِّ أَفْعِمْ مُـرُوجَ مُنْثَـالِ جُـودِ

أتمها مؤلفها اغتناماً لفرصة الاستبداد بهذه الخدمة معتذراً عن رداءة خطه بأنه لم يتقدم له كتابة بهذا القلم قبل هاته وكانت كتابته مجرد محاكاة إذ خطه الذي اعتاده مغربي لا يجانس الخطوط المشرقية على اختلافها ومع غاية من الاستعجال والله ولي التوفيق بمنه.

ثم قال الناظم المذكور

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيء بعده.

اعلم أن هاته القصيدة عدد أبياتها ستة وثلاثون بيتاً تحتوي على اثنين وسبعين مصراعاً، وكل بيت ينقسم بالحروف الحمر والسود إلى نصفين فتكون اثنين وسبعين أيضاً، ويكون الجميع مائة وأربعة وأربعين، ثم إن كل نصف أحمر هو مصراع من وزن القصيدة وهو مع ما يليه بيت على رويها ثم إن كل نصف وكلّ مصراع إذا جمع عدد حروفه بحساب الجمل كان موافقاً للتاريخ الهجري لعامنا 1276، ومعجم كل مصراع وكل نصف من معجم مَا عَدَاهُ مِن الأنصاف والمصاريع ومع مهمل كل منها أيضاً تاريخ. وكذا مهمل كل مصراع وكل نصف مع كل من مهمل ومعجم ما عداه، ثم إن الأنصاف الحمر تلتئم منها قصيدة من الوزن والروي كما أشير إليه وقد عبرنا عنها بالمولدة وكتبناها بالأحمر إثر الأمّ ثم لا يخفى أن لمصاريعهما اعتباراً من حيث إنها بعض من أبيات القصيدة الأولى المعبر عنه بالأم واعتباراً من حيث استقلالها وهي بالاعتبار الثاني مغايرة لنفسها بالاعتبار الأوّل وبه ينبغي أن تضاف عدة مصاريعها إلى مصاريع الأم وأنصافها فيكون جميع مصاريع كليهما مع أنصاف الأم التي هي الأحمر والأسود مائة وثمانين، كل واحد منها تاريخ ومعجمهُ مع معجم ما عداه ومع مهمل ما عداه أيضاً تاريخ، وكذلك مهمله مع المهمل ومع المعجم أيضاً من جميع ما عداه فيكون عدة التواريخ المستخرجة بهذا الوجه من القصيدة هو ما يجتمع من جميع

الأعداد المتوالية من الواحد إلى مائة وتسعة وسبعين[1] وهذا بمعجم كل مصراع وكل نصف مع مهمل ما عداه ومثلها بمعجم كل مع معجم ما عداه ومثلها بمهمل كل مع معجم ما عداه، ومثلها بمهمل كل مع مهمل ما عداه، فيكون عدة ما يخرج من التواريخ بهذا الوجه هو ما يحصل من جمع[2] الأعداد المتوالية من واحد إلى مائة وتسعة وسبعين[3] مضروباً في أربعة وذلك 74440 وأما كل بيت من الأم في خويصة نفسه فيخرج منه بهذا الوجه أربعة وعشرون تاريخاً هي:

مهمل المصراع الأول مع مهمل الثاني	ومهمل الثاني مع مهمل الأحمر
ومهمل الأول مع معجم الثاني	ومهمل الثاني مع معجم الأحمر
ومهمل الأول مع مهمل الأحمر	ومهمل الثاني مع مهمل الأسود
ومهمل الأول مع معجم الأحمر	ومهمل الثاني مع معجم الأسود
ومهمل الأول مع مهمل الأسود	ومهمل الثاني مع مهمل الأحمر
ومهمل الأول مع معجم الأسود	ومعجم الثاني مع معجم الأحمر
ومهمل الأوّل مع مهمل الثاني	ومعجم الثاني مع مهمل الأسود
ومعجم الأول مع مهمل الثاني	ومعجم الثاني مع مهمل الأسود
ومعجم الأول مع معجم الثاني	ومعجم الثاني مع معجم الأسود
ومعجم الأول مع مهمل الأسود	ومهمل الأحمر مع مهمل الأسود
ومعجم الأول مع معجم الأسود	ومهمل الأحمر مع معجم الأسود
ومعجم الأول مع مهمل الأحمر	ومعجم الأحمر مع مهمل الأسود
ومعجم الأول مع معجم الأحمر	ومعجم الأحمر مع معجم الأسود

فإذا ضم إليها تاريخ من المصراع الأول بمعجمه ومهمله وتاريخ من المصراع الثاني كذلك وتاريخ من الأسود كذلك وتاريخ من الأحمر كذلك كان[4]

---

(1) في الأصل: وتسعين.
(2) في الأصل: لجمع.
(3) في الأصل: وتسعين.
(4) كان ساقطة من الأصل.

في كل بيت ثمانية وعشرون تاريخاً (هذا محل الحاشية الأولى الآتي ذكرها).

ثم أقول ومن إبداعات هاته القصيدة التزام حروف بأعيانها في المصاريع والأحمر والأسود، والتزام أصول سبعة يتركب منها كل نصف ومصراع بحيث يخرج بها من التواريخ من كل بيت ألوف، غير أنه لم يسعنا الحال لبيانها والقصيدة بعد مفتقرة لشرح يبين معانيها وما احتوت عليه من المزايا التاريخية وسنشرع[1] فيه مستعينين بالله ثم نوجهه للحضرة العلية بعد الإتمام إن شاء الله.

قاله وكتبه عبد ربه راجي عفوه عن ذنبه محمود الشريف لطف الله به آمين.

الحاشية الأولى

حصل ثمانية وعشرون تاريخاً من كل بيت من الأم[2]، ولا يخفى أنها داخلة في وجه الاستخراج من جميع المواقع السالف تحريره، عدا التواريخ الأربعة الأخيرة من كل بيت، فإنها لم تدخل في ذلك الوجه كما لا يخفى.

هذا وأقول إن هذا الوجه أسهل وجوه الاستخراج من هذه القصيدة، وهناك وجوه أخر يخرّج بها من التواريخ ما يستغرق العد، غير أنها مفتقرة إلى باع في علم العدد مديد، وفكر حديد، ولنشير إلى واحد. يخرج به من البيت الواحد من الأم في خويصة نفسه، ثلاثة عشر ألفاً وثمانمائة وسبعة وعشرون تاريخاً 13827، لا تداخل بينها وبين ما يخرج بالوجه السالف، ويخرج به من كامل القصيدة ألوف ألوف، ألوف، ألوف، الألوف، مكررة الإضافة خمس مرات، ويزيد عدد التواريخ على ما يحصل من تضعيف رقعة الشطرنج وتمهد الإشارة إليه مقدمة، وهي أن جميع أوجه التاريخ التي اعتبرناها في هذه القصيدة، تستخرج بطريق التركيب، وجمع الأعداد التي لا نسبة بينها وهي مبنية بأسرها على قاعدة اختلاف المركب باختلاف أحد أجزائه كانعدامه بانعدامه، إذا علمت هذا:

---

(1) في الأصل ولنشرع.

(2) في الأصل من أيام.

فاعلم أن كل موقع من المواقع المشار إليها آنفاً، مركب من سبعة أصول، عدا طالع الأم بمواقعه الأربعة والمصراع الأول من المولدة، فإنها مركبة من ستة فقط.

الأصل الأول:

آحاد المعجم وهي ثمانية في جميع المواقع المائة والخمسة السبعين.

الأصل الثاني:

منحط عشرات المعجم ونعني بالمنحط[1] ما لا يتجاوز من الأعداد المجموعة مرتبة، وبالمرفوع ما يرتفع من مرتبته إلى ما[2] بعدها: وذلك المنحط ثلاثون في الجميع.

الأصل الثالث:

عشرات المُعْجم مرفوعاً وهي مائة في الجميع.

الأصل الرابع:

وهو المعجم وهي خمسمائة في الجميع.

الأصل الخامس:

آحاد المهمل منحطاً وهي ثمانية في الجميع.

الأصل السادس:

آحاد المهمل مرفوعاً مع[3] عشراته، منحطاً ومرفوعاً، وهي مائتان وثلاثون في الجميع.

الأصل السابع:

آحاد مِئُو المهمل وهي أربعمائة في الجميع، وأنت إذا جمعت هاته الأصول السبعة وجدتها ثنتي عشر مائة وستة وسبعين، وتبين لك تركب التاريخ

---

(1) في الأصل: من.

(2) ما ساقطة من الأصل.

(3) مع ساقطة من الأصل.

منها، فإذا أردت أن تستخرج بها عدة ما يمكن من التواريخ في البيت الواحد بمفرده، فإنك تركب تلك الأصول السبعة بحسب المواقع الأربعة، ولنلمع إلى كيفيته اهـ.

الحاشية الثانية

يحصل 1044 ثم تأخذ واحداً من الخمسة، وله صور من مائة وثلاثة وسبعين موقعاً يحصل 865 ثم تأخذ واحداً من الأربعة من 172 موقعاً يحصل 688 ثم واحداً من الثلاثة وله ثلاث صور من 171 موقعاً يحصل (513، ثم واحداً من الاثنين بصورتين من 170 موقعاً يحصل)[1] 340 ثم الواحد المتمم من 169 فإذا ضربت الحواصل في بعضها حصل لك جميع التراكيب السباعية التاريخية.

566788420673280000 وذلك.

048461546048288000 ويحصل من التركيب السداسي.

وتتم على هذا الأسلوب في[2] التركيب، الخماسي، والرباعي، غير أنها تفتقر إلى مزيد علم بالحساب، وفطنة لشعب الصور، وقد بلغني عن بعض الحيسوبيين من الفرنج أنه لما بلغه أني نظمت هذه القصيدة، وذكر له نزراً مما يستخرج منها من التواريخ أنكر على الناقل له ذلك أفظع إنكار، ورأى أنّ ذلك في حيز المستحيلات، ولتكونن هاته القصيدة بحول الله شجى[3] في حلوقهم وفخراً لكافة المؤمنين.

واعلم أنها مفتقرة إلى شرح يحل معانيها، ويبين ما روعي في أبياتها من الشروط وما ينشأ عنها من التواريخ فإن الذي أشرنا إليه نزر من بحر، وسنشرع فيه بحول الله بعد وقوعها موقع الارتضاء من حضرة وليها خلد الله سلطانه.

واعلم أن نصف المعجم ما يخرج بالوجه الأول يدخل ما يخرج بهذا

---

(1) بابين القوسين سقط من الأصل.

(2) في الأصل: من.

(3) في الأصل: في قلوبهم.

الوجه فيستقل ذلك الوجه بنصف ما يخرج به فهو لا يخرج بهذا الوجه الأخير، وهناك وجوه أخر كل منها يستقل بألوف ألوف متكاثرة، مبنية على شروط أخر، روعيت في الأبيات جمعاً وفرادى، لم يمكن[1] لنا الآن الإشارة إليها، وإن تيسر الشرح، رأى ناظرُه العجب العجاب، بإعانة الله سبحانه.

كتبه منشئه حامداً مصلياً مسلماً

الحاشية الثالثة[2]

يحصل صور من مائة وأربعة وسبعين موقعاً1225 ثم تأخذ واحداً من الستة الباقية وله ستة ولك فيه سبع صور من المواقع المائة والخمسة والسبعين، التركيب السباعي، فنقول هو أن تأخذ واحداً من الأصول السبعة لك التركيب الرباعي فما دونه لأن المواقع أربعة، ولنبين، والخماسي فما دونه وأما في البيت الواحد بمفرده فلا يتأتى مائة وخمسة وسبعين ويمكن لك التركيب السباعي والسداسي والاستخراج بهذا الوجه من كامل القصيدة فإن المواقع تصير حينئذ فيها ببرهان، ولولا ضيق الوقت لسقتها بحذافيرها وأما يحصل لك بهذا الوجه ألوف كثيرة من البيت الواحد لا تداخل . . . . . وثمانون. . . . ثم تركب بأخذ ثلاثة أصول من موقع واحد وهكذا إلى أن الواحد والعشرين والثلاثين في ستة، وذلك ثلاثة آلاف وسبعمائة، ثم تكمل الأصل السابع من الموقع الباقي فيحصل لك من التواريخ مسطح من ثلاثة الأصول الباقية، ولك فيها ثلاثة أوجه وموقعان لها بستة من الثلاثة وفيه عشرة أوجه في المواقع الثلاثة بثلاثين، ثم تأخذ اثنين ولك فيها أحد وعشرون وجهاً، ثم تأخذ اثنين من الخمسة من موقع ولك فنقول، التركيب الأول أن تأخذ اثنين من الأصول السبعة من موقع. . . . . .

ومع كمال غرابة هذه القصيدة قد شذت عن ديوان شعره لأنني لم أظفر بها

---

(1) في الأصل: لم يسكت.

(2) في الأصل: الثانية.

حين جمعي له وإنما وصلتني بسبب [1] وذلك أنني لما أتممت طبعه وأرسلته إلى كافة الآفاق ورد إلي مكتوب من باريس كتبه الأديب النصراني رُشَيد الدحداح الماروني اللبناني[2] يخاطبني فيه برسالة في متعلّقات القصيدة المذكورة حيث إنها كانت من ذخائره ثم ألّف رسالة سماها قمطرة طوامير وأودعها نص الرسالة التي كاتبني بها بتاريخ 25 أيلول سنة 1879 لما احتوت عليه من مآثر صاحب الترجمة، ولأهمية هاته الرسالة التي خاطبني بها نوردها هنا بما احتوت عليه وهذا نصها بعد المفاتحة والتحلية والخطاب: إنني لما اطلعت على ديوان علامة مصره، ونابغة عصره، صاحب الذكاء العبقري، ومن له في كل فن زِنْد وَرِي، الهمام الذي بمثل بعض صنائعه، وبدون البلوغ إلى طبقة بدائعه، اشتهر رجال وشرفوا وسادوا، الشيخ الشريف محمود قابادو، ووجدته[3] عباب فضل لأدواء الأفئدة آسيا، فأذكرني من ربه عهداً ما كنت به ناسياً، أما أنت أيها المفضال الذي اعتنى بجمع درره، وأطلع من الحجاب متواليات غرره[4]، وأبّد لمآثره ذكراً، وأفشى من مفاخره سراً، بعد أن كان هو الحريص على كتمانه، عن أهل زمانه، فإني أشهد لك بإسباغ المنة، وهذا أصدق[5] من قوله إنه وإنه، وأما الضالة التي نشدتها، أي القصيدة التي فقدتها، فاسمها سوق أساطيل البوارج، لعوق أباطل الخوارج، مكتوب بعض حروفها بالأحمر فيخرج من تلك الحروف من كل بيت شطر فتصير قصيدة ثانية من الوزن والروي قائمة بذاتها مشتملة على ألوف التواريخ كالأصل والذي وجدتموه منها وذكرتموه في الديوان غير صحيح وهاك أولها:

[الخفيف]

(خير حام) مجد (مجيـر) العبيـد حاط خيراً مجرى لـ (ـعبد) المجيد)
حاطه (عن عثار) جعدٍ (برجف) منتج (جحد) عرف ربق الـ(ـعهود)

---

(1) في الأصل بسببه.

(2) رشيد بن غالب بن سلوم المتوفّى سنة 1306 هـ / 1889، لبناني عاش في فرنسا وتوفي بها وله كتب منها قمطرة طوامير المطبوع بباريس 1880 الأعلام ج 3. ص 50.

(3) في الأصل: وجدت.

(4) إشارة إلى سورة ص، الآية 31. (5) في الأصل أصول.

فيخرج من أحمر هاذين البيتين بيت وهو:

خير حام مجير عبد المجيد عن عثار برجف جحد العهود

وهلم جر إلى آخرها.

فهذه الأعجوبة السنية، التي لا تكاد أن تكون إنسية، هي ملكي وفي حَوْزَتِي أهدانيها مؤلفها بعد رجوعها إليه من الآستانة وقال لي إنه لم يُمَكّن أحداً من نسخها وعليها له شرح وجيز لبيان وجه واحد من وجوه استخراج التواريخ منها فبمقتضاه يخرج 74440 تاريخاً وقد نقلت بعض حواشي من تسويد أعارني إياه غير كامل قال فيه إنه[1] يخرج من البيت الواحد في خويصة نفسه 13827 تاريخاً غير ما يخرج بالوجه السالف وإنه يخرج من كامل القصيدة ألوف ألوف ألوف ألوف ألوف مكررة الإضافة خمس مرات وإنه يزيد عدد التواريخ التي فيها على ما يحصل من تضعيف رقعة الشطرنج فسبحان الذي قسم رحمته بين أهل الأرض، ورفع بعضهم درجات فوق بعض[2].

وقد اطلعت في الديوان على تصديره وتشطيره قصيدة بشرٍ وساءني عدم ذكركم أنه مرتجل، ولعلكم ما علمتم ذلك على أن واقعة حال نظمها أعظم شأنا وأكبر قيمة لبيان طبقة ذكائه من مجرد رؤية بلاغته فيها فأنا الذي اقترح ذلك عليه وأخذه[3] عنه، إذْ وردتُ عليه يوماً فقلت له قد جئتك يا سيدي في حاجة، قال[4]: على الرأس إن كانت في وسعي قلت تشطير قصيدة بشرٍ قال: ابن عوانة قلت: نعم قال: طلبت هينا لكنه قد طال عهدي برؤيتها فسأبحث عنها وأشطرها لك قلت: ها هي معي قال: إذاً ستأخذها غداً مشطرة إن شاء الله قلت بل الساعة إن تكرمت قال: الله أكبر ومن يفعل مثل هذا قلت: أنت قال: هذا أمر صعيب قلت: على غيرك قال: قريحتي والله صديّة قلت: أَجْلها بالنظم قال:

---

(1) في الأصل: إنْ.

(2) إشارة إلى سورة الزخرف، الآية 31.

(3) في الأصل: وأخذ.

(4) في الأصل: ضال.

سأفعل الليلة قلت: بل اليوم إن كنت عليّ من المتفضّلين قال: أنّى والأمر يحتاج إلى التروي قلت: افعل وأنا معك من المنتظرين قال: لا بد من توطئة قبل التشطير قلت: هذا أحسن إحسان والله لا يضيع أجر المحسنين، قال قد أعييتني حجة يا فلان هاتها فتناول القصيدة ولم يقرأ غير مطلعها ثم قال اكتب على خيرة الله ورفع رأسه وأغمض عينيه وأخذ يملي علي التصدير وأنا اكتب حتى خيل لوهمي أنه تجرد عن العالم الجسماني وغدا روحانياً يرى البعيد الغائب[1]، لا تحجب بصيرته الحاجب، فما تلعثم والله في بيت ولا تمهل ريثما يجد شطراً أو كلمة ولا بدأ[2] بفقرة ثم أتى بأحسن منها ولكنه كان كمن يقرأ في صحيفة وكنت أنا أجهد نفسي بسرعة الكتابة ولا أفوه ببنت شفة حتى لا أثبّط ذلك السيل عن انهماره، ولا أقف في طريق ذلك البحر عند تدفق تياره، اللّهم نعم قد وقفت مرة في المجال، والحق أحق أن يقال لأنه أملى علي بيتاً غير تام الفحولة فلم أرضه له فتكلفت واستأذنت واستسمحت وما داهنت فقلت له يا سيدي إذا كانت خزائن البلاغة في تصرفك فأعطني منها لهذا المكان بيتاً أعظم هيبة وأكبر فخامة فتبسم وقال: اكتب.

[الوافر]

ومن هــولٍ لــوجبتــه أُراني هــدمت بـه بنــاء مُشْمَخِـرّا

ثم استمر يملي علي حتى أتى على آخرها فبقيت مبهوتاً بين يديه ولا أجد كلاماً يفي حق الثناء عليه ثم خرجت من حضرته وأنا أمجد الله وأسبحه وأحمده وما برحت إلى الآن[3] مذهولاً من تلك الموهبة الربانية، والمنحة الصمدانية، التي[4] امتاز بها هذا القطب على الأبدال والنجباء والمجددين والنقباء والأعمدة والأخيار، وجميع ذوي الأسرار، فإن رأيت أني وقعت هنا في الغلط أو ارتكبت

---

(1) في الأصل: الغالب.
(2) في الأصل: ولا بدّ.
(3) الآن ساقطة في الأصل.
(4) في الأصل: الذي.

الشطط فاعذر ثم أذكر أنها قالة أديب لا عقيدة نقيب وعندي أنه إذا كان مجموع ديوانه شاهداً لدخوله في عداد الفحول من الشعراء المتقدمين ففي سوق الأساطيل[1] وهذا الارتجال الجليل شاهدان لتفضيله[2] على كل بليغ سابق، وأنه أقام للإعجاز حداً أمام كل لاحق، وقد رأيت من الواجب أن أورد عليكم الخبر لكي تذكروه إذا طبعتم من كلامه شيئاً آخر لعلكم تحسنون تلخيصه في الرائد وتتحفون به أصحاب نُسَخ[3] الديوان وهكذا لا نكون أَلَتْنَاهُ[4] من عمله[5] من شيء فإن لم يتيسر لكم ذلك فأنا سوف أؤدي شهادتي له لإيفاء حق مننه علي، وتوددِه إلي، عندما أطبع سوق أساطيل البوراج مع ما عندي من شرحها ولذلك ألتمس الآن من فضلكم أن تستنسخوا لي كراسة الشرح المشار إليها في الديوان وتعلموني بالمصروف لكي أبادر إلى إيصاله إليكم مع الشكر الجزيل، والثناء الجميل.

استدراك

يظهر لي أن من تَرَوَّى في المحاورة[6] المذكورة في أمر التشطير لا بد له من أحد أمرين، فإما أنه يتهم صدقها، أو أنه ينتقد عليّ عملي ويراني أبرمت الشيخ وثقلت عليه، بوقوفي لديه موقف الغريم المستقضى ديناً واجباً، فلهذا وجب أن أبيِّن سبب ما فعلت، ليتحقق صدق ما نقلت، وبتقديمي هذا البرهان أكون زدت المطالع معرفة بهذا الرجل الذي كان آية من[7] بدائع خلق الله.

---

(1) في الأصل: الأباطيل.
(2) في الأصل: لعظيله.
(3) في الأصل: نسج.
(4) إشارة إلى سورة الطور، الآية 21.
(5) في الأصل: علمه.
(6) في الأصل: من تروي المحاورة.
(7) في الأصل: في.

والحكاية هي أني وُجِدْتُ يوماً في مجلس جماعة من كبراء الدولة التونسية فذكر أحدهم شدة إعجابه بقصيدة بشر ثم تلاها عليهم فَتَهَزْهَزَتْ إليها القلوب وودوا أن تكون أكثر طولاً فقال رجل منهم إن أحببتم تطويلها بما يفوق على ما سمعتم حسناً فاقترحوا على الشيخ محمود قابادو أن يشطرها لكم ففرحوا برأيه وكلفوه إلى الاقتراح فاعتذر، وأشار إلى آخَرَ، والآخر إلى غيره، وكلهم يقول لا فائدة في الطلب لأن الشيخ بخيل بجواهره، فيعد ثم يلوي ويضيع السعي سدى، ثم إنه وقع الإجماع على أن أكون أنا السفير إليه، وقالوا كلنا يعلم ما لك عنده من العزازة، فلا شك في أن يستحي منك ويلبي دعوتك، ولكن حذار من قبول الوعد إلى غد، قلت لا بد من إمهاله ولو ليلة لمثل هذا الاقتراح، فضحكوا كلهم وقالوا: كأنك لا تعلم اقتدارَ صاحبنا، وأخذوا يوردون علي من إخباره ما يذهل العقل، فمن ذلك أنه كان في دعوة معهم مرة فذكروا بيتاً حماسياً لأبي الطيب والتمسوا منه أن ينظم لهم قصيدة على ذلك النمط من الغلو والإغراق بالفتوة، فأخذ ينشد حتى غادر ذلك المتنبىء وراءه بمراحل، ثم ابتدره أحدهم ببيت من تائية الفارضي، واقترح عليه النظم على نسق تلك الجناسات، فانتقل[1] فوراً من فخامة ذلك التحمس إلى رقة ذلك النسيب، حتى أدهشهم، وقالوا لو شاء الإنشاد يوماً كاملاً لقدر عليه لما عنده من غزارة المادة فهو بحر لا ينزح. وذكروا لي عجائب أخبار عن ذاكرته الوقادة حاصلها أنه ما قرأ شيئاً فنسيه وأن ما يقرع سماعه ينطبع في مخيلته وأنهم امتحنوه مراراً بأن تلوا عليه قصيدة أو رسالة ثم سألوه إعادتها عليهم ففعل، فمن ذلك ما أَتْركُ العهدة فيه على الناقل، أنه تُلي عليه يوماً رسالة بالفرنساوية، فلما فرغ منها، أعاد الشيخ كلماتها مع أنه لا يعرف شيئاً من لغات الإفرنج، فلما سمعت كل ذلك توجهت إليه حازماً على الإلحاح، فكان في ما بيننا ما مر بيانه وجاء فعله بقصيدة بشر مصداقاً لما قيل لي عنه.

أما حليته، فقد كان طويل القامة، مستوفي الجسامة، رقيق البشرة، أبيض مشرباً بحمرة، أدعج العينين، حسن الابتسام، عذب الألفاظ لطيف نغمة

---

(1) في الأصل: فلمّا تنقل.

الكلام، يميل برقة لفظه إلى[1] الإشمام، وكان سهل الجناب رقيق الحاشية أنيساً متواضعاً على أنه ما كان يحجم أحياناً عن القول أنه أعلم الناس طراً وما كان مهذاراً، ولا سريع الكلام، وكان يخيل لسامعه أن فيه سراً موجباً لتصديق ما ينطق به ، ذلك لأنه ينطق متأنيا، كأن كلماته تتصعد من سويداء قلبه يرافقها أحياناً تصاعد أنفاسه، وكان يحب الوحدة كأنه غير راض عن الناس، ومع علو طبقة عقله كان يظهر أحياناً ساذجاً، وما كان يسعى للدنيا ولا يحتال لطلب الوجاهة، ولذلك كان قليل النشب، تلازمه حرفة الأدب، أما علومه ففضلاً عن أنه كان الفقيه المحقق، والحافظ المدقق، واللغوي النحرير والأديب الماهر، الناظم الناثر، والمالك لزمام المعاني[2]، والبيان والبديع، والنحو، والصرف، والعروض، لم يكن أجنبياً عن سائر العلوم كالفلك، والمساحة، والحساب، والطب، والتاريخ، واستخراج الغوامض من علوم النجوم والجفر وأشباهها، وما كان يرى من الألغاز والمعمى شيئاً، إلا وكشف عنه الغطاء فوراً، وقد توفي وما أخاله بلغ الخمسين، وإني عليه لمن الآسفين. اهـ. مكتوب رُشيد الدحداح.

وحيث تضمن هذا المكتوب ذكر واقعة تشطير القصيدة الغراء وتصديرها فإني أثبت ذلك هنا تزييناً لترجمته وهذا نصه:

[الوافر]

رنت[3] بفواتر الأجفان سكرى ... يُخَيِّل[4] سحرهن النُجْل خُزْرا
فيا لك من فتون في فتور ... ومن سكر به السحر استمرا
عقيلة رَبْرَبٍ جِيداً وطرْفا ... وخوطةُ بانةٍ قَدّاً وخصرا
يجول بخدها ماء وراح ... ليمتزجا فما أن يستقرّا

---

(1) إلى ساقطة من الأصل.
(2) في الأصل: المعالي.
(3) في الأصل: زنت.
(4) هناك اختلاف بين ما جاء هنا وفي قمطرة طوامير وبين ما جاء في الديوان.

يبيح[1] لـنـاظـر ورداً نـضـيـراً ... ويـورد حـائـمـاً وِرْداً[2] مُقِـرّا
أما وعيونِهـا الـدعـج اللواتي ... أقامت للهوى العـذري عـذرا
وخَـالٍ بين قـوسي حـاجبيهـا ... بحيث يكـون قطب الحسن قـرًّا
وفـرع لـيـله فَـرِقٌ لِـفَـرْق ... بـه صبح الجبين أبـان فجرا
لقد غطت على بصري وسمعي ... بـملثـوم جـلا حـبـباً ودرا
فبـالثغر النـظيم تـديـر كـأسـاً ... وبـالنطق الـرخيم تـدير أخـرى
فـيـا لـك سَـوْرة أضحى فـؤادي ... لصـورتهـا هَيـولَى ليس يعـرى
وكيف يُفيق من يُسقى بكـأس ... يكـررهـا التـفكـر مستـمـرّا
فيـا سُـرعـان مـا وطّنت نفسي ... على مـا غيره بـالحرّ أَحْـرى
عصيت تجملي وأطعت وجـدا ... يسخـرني لهـا سـرًّا وجهـرا
ولـم أُعْطِ الهـوادة عـن هـوان ... ولا جـزعٍ لأن حُـمِّلْتُ إصـرا
ولـكنـي خـطبـت ظبـاء أُنْس ... جعلت رضـاءهـن علي مـهـرا
(أفـاطم هل علمت مضاء عزمي) ... ومـطمـح همتي نخـواً وكبـرا
وجـود يـدي وإقـدامي وبـأسي ... وصـدقي كلمـا استسهلتُ وعرا)
(وأني لا أُسَـامُ الـدهـرَ ضيماً) ... ولا أعصي لبـاغي العُـرف أمـرا
تـلين لـمن يـسـالمـني قـنـاتي ... (وتصلبُ إن يرم ذو الغمز هصرا[3])
(وإنّي لا أعـدّ الـوفـر ذخـراً) ... ولـكنـي أعـد الـذكـر ذخـرا
ومـا كـل الخـلال تـذاع بـأواً ... (ولا كل المذاع يصح سبرا[4])
وفي التجـريب ما ينفي ارتيـاباً ... ويصـدق سِنُّ بكـر منـه فَـرًّا
(أفاطم لو شهـدت ببطن خبت) ... لهـانت عندك الأخبـار خُبْـرا
ولـو أشـرفتِ في جنـح عليـه ... (وقد لاقى الهزبرُ أخـاكِ بشرا)
(إذا لرأيـتِ لـيثاً رام ليـثاً) ... وكـلٌّ منهمـا بـأخيـه مُغْـرى

---

(1) في الأصل تبيح.
(2) في الأصل: ورد.
(3) في الأصل: صهرا.
(4) في الأصل يسرا.

يـرى كـل عـلى ثـقـة أخـاه (هـزبـراً أغلبـا لاقى هـزبرا)
(تبهنس إن تقاعس عنه مهرى) وأقـبـل نـحـوه أذنـيـه ذعـرا
فـكـاد يـريبـه فيخـال مـني (محـاذرة فقلت عُقِـرْتَ مهـرا)
(أَنِـلْ قـدميَّ ظهـر الأرض إني) أرى قـدمي لـلإقـدام أجـرا
ولستَ مـزحـزحي شيئـاً ولكن (رأيت الأرض أثبتَ منك ظهرا)
(وقلت له وقد أبـدى نـصالاً) بـأَهْـرَتَ فَـاغِـرٍ يصـررن صَـرّا
وشـوصـاً تلتـظي أرنت لـحـاظـاً (محـددة ووجـهـا مـكـفهـرا)
(يكفكف غـيلة إحـدى يـديه) كبـالي القـوس ينـزع مُسْبَـطِرًّا
ولا يـثـنـى بـراثـن مـنـه إلا (ويبسط لـلوثـوب علي أخرى)
(نصحتك فالتمس يا ليث غيري) فلي بُقيـا[1] عليـك وأنت أدرى
ومهـرى[2] قائـل لـك لا تخلني (طعـامـا إن لحمي كـان مرا)
(ألم يبلغـك مـا فَعَـلْتـه كفّي) ولست تـرى الأظافـر منه حمـرا
ألم تـك طـاعمـاً أشـلاء سيفي (بكـاظمـة غـداة قتلتُ عمرا)
(فلما خـال أن النـصحَ غش) وغـرتـه الـجـراءة فـاستـغَـرّا
ولـج على التهـور في نـزالي (وخالفني كـأني قلت هُجرا[3])
(مشى ومشيت من أسـدين راما) مساورة فـلاقى البـحـرُ بحـرا
ورجّـا الأرض إذْ بغيـا عليهـا (مرامـا كـان إذْ طلبـاه وعرا)
(سللت لـه الحسـام فخلت أني) أسلت من المجـرة فيـه نهـرا
ولم أمش[4] الضـراء لـه لأني (شققت به لدى الـظلماء فجرا)
(وأطلقت الـمهنـد من يميني) وقـائـمـه بهـا المحبوس إسـرا
هـفـا إبـريقـه هَـفَيـان بـرقٍ (فقـد لـه من الأضـلاع عشرا)
(فخـر مـضـرجـاً بـدمٍ كأنـي) نضحت عليه عَبَّ السكـر سُؤْرَا

---

(1) في الأصل: بغيا.
(2) في الأصل: وسرى.
(3) في الأصل: جهرا.
(4) في الأصل: أمس.

ومن هول لوجبته أُرَانِي (هدمت به بناء مشمخرّا)
(بضربة فيصل تركته شفعا[1]) تضاجع بطنه في الأرض ظهرا
وشيكاً فانثَنَى منها مثنًّى (لديَّ وقبلها قد كان وِترا)
(وقلت له يعز علي أني) أراك معفّراً شطراً فشطرا
وأستحيي المروءة أن تراني (قتلت مناسبي جَلَداً وقهرا)
(ولكن رمت أمراً لم يرمه) مريد سلامة قد هاب خطرا
ولم يك سامني[2] بالنصح خسفاً (سواك فلم أطق يا ليث صبرا)
(تحاول أن تعلمني فراراً) فهل علمت نفسك أن تفرّا
وتنفض مذرويك[3] لحل عزمي (لعمر أبيك قد حاولت نكرا)
(أتيت تروم للأشبال قوتاً) فلو ما طلتها ما كان ضّرا
ولكني أدافع منك بغياً (وأطلب لابنة البَكريّ مهرا)
(فلا تبعد فقد لاقيت حراً) ولا تذمم فقد أبلغت عذرا
وعن كرم برزتَ إلى كريم (يحاذر أن يعاب فمتَّ حرا)
ولا أسفٌ على عمر تقضى أفادك منه حسن الذكر عمرا

وله في العلوم المعقولة من الأصول والبيان والمعاني والنحو مدركة تشتعل اشتعالا يستحضر بها سائر الأبحاث وما عساه أن يقال في المسألة في آن واحد من غير مطالعة، ولطالما نقلت له كلام السعد وقبل أن أذكر ما أورده عليه السيد وما تحمله الشيخ عبد الحكيم وما يمكن أن يكون قد خطر ببالي فيعاجلني بإيراد جميع ذلك كأنما كان يسامرني في تلك المسألة مع طول عهده بها، أما درسه فلم يكن على رتبة علمه لأنه لا يمكن له أن يقصر كلامه في المسألة التي بين يديه حتى ينفصل منها بل كان ينتقل من حال إلى حال في آن واحد فيذهب مع كل خاطر ويخرج عن المقصود وذلك من سعة علمه وعدم تقيده بالتدريس.

---

(1) في الأصل: شرعا.
(2) في الأصل: ساقي.
(3) في الأصل: قد رويك.

وله معرفة تامة بالعلوم الرياضية وما ألحق بها غير أني لا علم لي بها ولم ندر ما هو عليه فيها.

وقد اشتغل في مبادىء أمره بإقراء البشير بن سليمان كاهية ولازمه للتعليم وسلك به مسلكه في الولوع بأهل الله وخدمتهم حتى كان من أعيان السالكين في الطريقة الشاذلية.

وقد ألّف فيها كتاباً سماه سفينة المريد والعلم المفيد، وقد وقفت فيه على إجازة له من صاحب الترجمة أستاذه في الطريقة المدنية كتبها له في حدود عام 1250 فأحْببت أن أثبتها هنا وهذا نصها:

الحمد لله مستحق الحمد ووليه، والصلاة والسلام على نبيه، أما بعد فيقول عبد ربه محمود بن علي الشريف الشهير بقابادو والدرقاوي الراجي رحمة مولاه، الراقب له في سره ونجواه، إني أجزت أخي في الله وسويداء فؤادي وأعز الناس عندي سيدي محمد البشير بن سيدي سليمان كاهية في قراءة المخروجة المدنية على الصلاة المشيشية التي هي من لوازم طريقتنا بالإذن من المؤلف شيخي وقدوتي ونور بصري وبصيرتي المربي سيدي محمد بن حمزة المدني القاطن بطرابلس الغرب بجبل غريان هناك، أبقى الله لنا وجوده، وأدام شهوده، لانخراطها في سلكها الشريف إجازة تامة كما أجازني بها شيخي عن مشايخه والله يتولانا وإياك بلطفه ويجمع قلوبنا عليه ويشرح قلوبنا بأنوار معرفته كما أجزته وأذنته بذكر الورد في أوقاته وذكر اسم الاستغراق على الحالة المعهودة وتلقاها مني بالإذن من الشيخ والله يبلغه ويمده بمحبة الشيخ إنه المنعم الكريم ا. هـ.

وبينما كان الشيخ في تعليم تلميذه المذكور واطلاعه على بعض علومه الحرفية حتى أحس من المشير الأول ما حمله على الخروج فارتحل إلى إسلامبول وأقام بها مدة، ثم رجع إلى تونس وتقدم شيخاً في مكتب الحرب يقرىء المهندسين ما يحتاجون إليه من النحو واللغة والفقه وغيرهما. ثم قدمه المشير محمد باشا باي مدرساً بجامع الزيتونة في الرتبة الأولى ابتداء سنة ثلاث وسبعين فأقرأ بالجامع وتقدم لمشيخة المدرسة الجديدة بعد وفاة الشيخ محمد بن صالح بن ملوكة الشارني سنة ست وسبعين وأقرأ فيها وختم فأبدع في أختامها.

ثم قدمه المشير محمد الصادق باشا باي لخطة قضاء باردو يوم الأحد الخامس عشر من شعبان الأكرم سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف فلازم القيام بالخطة، وتقدم لإنشاء الرائد وتصحيح المطبوعات بمطبعة الدولة التونسية، ثم تأخر عنها لأشغال خطة قضاء باردو ثم تقدم مفتياً خامساً تاسع شعبان الأكرم سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف.

وقد أدركته قبل الفتيا فلازمته ليلاً ونهاراً في غير أوقات دروسي وقرأت عليه دروساً من الجربي على إيساغوجي ودروساً من القاضي على الخزرجية وفي آخر أمره قرأت عليه دروساً من القطب على الشمسية ودروساً على المطول واستفدت مع ذلك بمراجعته ومحاضرته وكان عالماً متبحراً فهامة شاعراً مُفْلِقاً غراً كريماً عزيز النفس سريع البكاء شفوقاً ينخدع لكل مخادع رخي العيش لسعة ذات يده، أغلب كسبه أنفقه في شراء الكتب فاكتسب كتباً لا حد لها تلاشتها الأيدي من بعده، وقد اجتمعت معه مدة لترتيبها فلم يتم ذلك.

ولم يستكمل الستين 60 سنة من عمره وأتاه محْتوم[1] الأجل فتوفي في صبيحة الأربعاء ثالث رجب الأصب سنة 1288 ثمان وثمانين ومائتين وألف ودفن بالجلاز بتربة الشيخ سيدي الونيس ابن السعدي الشريف المشيشي ـ رضي الله عنه ـ، رحمة الله عليه، ورثاه الشيخ سالم بوحاجب بقوله:

[السريع]

نبل قسي الموت هَدَّافها ... يصمي وأهل الفضل أهدافها

والدهر مهما ينتبذ درة ... من جِيده لم يُرْجَ إخلافها

فكم لآلي حكمة بالثرى ... تقذف والأجداث أصدافُها

فانظر لهذا الرمس كم ضم من ... معارف لم تُحْصَ أصنافها

إذْ حَلَّهُ النحرير روض النهى ... مخفي رموز القول كشافها

علامة المعقول دراكة الـ ... ـمنقول والأسرار نقافها

محمود ست بعد دال تلي ... خَسًا زَكًا[2] من قبلها قافها

---

(1) في الأصل: مختوم.

(2) في الأصل: خُسّى زُكّى والمعروف خَساً وزكاً فرد وزَوْجٌ.

قضى وأفتى كم بأفهامه صينت حقوق خيف إتلافها
أما رحى الآداب فهو الذي بفقده قد حان إيقافها
أسدى له الرحمن أضعاف ما ترجو مِنَ اهل الجود أضيافها
ولا عدت سحب الرضى تربة آواه في التاريخ (أشرافها)

1288

- 46 -

الشيخ محمد الشريف

تقدمت ترجمته في الأيمة مستوفاة وقد تقدم لخطة الفتيا فصار مفتياً سادساً في تاريخ شعبان الأكرم 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف، ولما توفي الشيخ محمود قابادو صار مفتياً خامساً، ولما توفي الشيخ صالح النيفر صار مفتياً رابعاً، ولما توفي الشيخ علي العفيف صار مفتياً ثالثاً أدام الله بقاءَه، وأعاد علينا دعاءه[1].

- 47 -

الشيخ محمد النيفر[2]

هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن قاسم بن أحمد بن محمد النيفر الشريف أصغر أخويه السابقيْن، قرأ بجامع الزيتونة عليهما وعلى الشيخ علي العفيف والشيخ الشاذلي بن صالح وغيرهم من علماء جامع الزيتونة وتقدم لخطتي التدريس فأفاد بفصاحة معتبرة.

وتقدم لخطة القضاء بالحاضرة بعد أخيه الثاني في غرة صفر الخير سنة 1280 ثمانين ومائتين وألف وكان مع علمه يميل إلى المشاركة في الرأي واعتضد لذلك بأخيه ولازم المراجعة والمطالعة والتحري في المسائل مع أعلام المجلس

(1) توفي سنة 1307.

(2) ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 415) وترجم له حفيده الشيخ محمد البشير النيفر المتوفّى سنة 1394 ترجمة واسعة في كتابه تراجم المفتين من المالكية من ص 190 إلى ص 201.

الشرعي يومئذٍ الذين منهم الشيخ أحمد بن حسين والشيخ محمد البنا والشيخ الطاهر بن عاشور، ومارس المسائل بذلك حتى صار فقيهاً عمدة في التطبيق وتقدم لمشيخة مدرسة النخلة عند وفاة الشيخ محمد البنا وتقدم إماماً بجامع أبي محمد عند وفاة الشيخ أحمد بن حسين وختم في كليهما أختاماً رائقة حضرت بعضها، فصيح الخطبة.

وقد تقدم إلى الفتيا فصار مفتياً خامساً رابع جمادى الأولى سنة 1290 تسعين ولما توفي الشيخ علي العفيف صار مفتياً رابعاً.

وهو عالم حسن المعاملة فصيح الدرس ولما ولي الفتيا أقبل على التدريس بجامع الزيتونة فأقرأ تفسير القاضي البيضاوي قراءة تحرير، وله دروس أخر مواظب على إقامتها عند باب الشفا بجامع الزيتونة.

وأقام بين تدريس وإفتاء وخطبة إلى أن تأخر عن خطة الإفتاء بسبب نازلة كان الوكيل فيها رجلاً اسمه سليمان الطرابلسي يخاصم عن رجل طلياني ولما لزمه الدخول تحت الحكم أحضر صاحب الخصومة فحضر مع كاتب سفارة إيطاليا في المجلس الشرعي ولما ألزم الوكيل بالدخول تحت الحكم امتنع من ذلك أولاً ثم فوّض الأمر إلى صاحب الخصومة نفسه قيل إن الشيخ قال له عند ذلك يا كلب تأتي لنا بهؤلاء النصارى أو بهؤلاء الكلاب النصارى، وكل من صاحب الخصومة وكاتب السفارة عارف بالعربية فخرج كاتب السفارة وكتب لدولته بما وقع من الشيخ فكاتبت دولة فرانسة وجرت المفاوضات في النازلة إلى أن ورد إذن من فرانسا بعزله أو توجهه لاسترضاء قنصلاتو إيطاليا فاختارت الدولة عزله[1] وأرسلت إليه ابن أخيه الشيخ عَلاّلة النيفر أحد كتاب الوزارة الخارجية إلى ديوان الشريعة فأعلمه هنالك وساء كثيراً من الناس خبره لأنه أول مفت بالحاضرة تأخر بيدٍ أجنبية وكان ذلك قبل زوال يوم الثلاثاء تاسع شعبان سنة 1301 إحدى وثلاثمائة وألف وصبر لذلك وبعد نحو شهر كان عيد الجمهورية الفرانساوية في رمضان وأرسلت السفارة لاستدعاء عامة الشيوخ ليلاً فلم

(1) الذي سمعته من الكثير أنه امتنع عن استرضاء القنصل الإيطالي.

يتخلف منهم غير شيخ الإسلام والقاضي الحنفي [1]وخليفة جامع الزيتونة في التاريخ وكان أول داخل لدار السفارة في تلك الليلة إمام جامع الزيتونة الأكبر المفتي الثالث أحسن الله عاقبة الجميع، ووفقنا إلى أحسن الصنيع[2].

- 48 -

الشيخ صالح بن فرحات[3]

هو شيخنا أبو الفلاح صالح بن فرحات بن محمد بن فرحات بن أحمد بن حامد التبرسقي الأنصاري، وأمه عسكرية من ذرية الشيخ سيدي عسكر دفين الحمادة، فله شرف من قبل أمه ولد بتبرسق أواخر سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين وألف ونشأ بين يدي والده، وقرأ عليه القرآن هنالك وقرأ على عمّه الشيخ البخاري التبرسقي في شرح الصغرى والكفاية، وقرأ على الشيخ الحاج علي بن الشاهد شرح البسملة والسوسي في الفلك وبعض علوم حكمية.

ثم قدم إلى تونس وبمعيته أخوه الشيخ سليمان التبرسقي في طلب العلم فأما أخوه الشيخ سليمان فنشأ في ذكاء شهير وملازمته في خدمة العلم وولي خطة القضاء بالمحمدية على عهد المقدس أحمد باشا وتقدم للتدريس بجامع الزيتونة ولازمه، وقد أدركته يقرىء بجامع الزيتونة بعد الثمانين والمائتين والألف وتوفي في ذلك العهد عليه رحمة الله.

وأما أخوه صاحب الترجمة فقرأ على الشيخ يونس الدباغ شرح الدمنهوري على السمرقندية، وقرأ على الشيخ الأمين الكيلاني مختصر السعد، وقرأ على الشيخ عاشور القاضي على إيساغوجي والقلصادي والدرة والشنشوري على الرحبية والكفاية، وقرأ على الشيخ علي العفيف الملوي على السمرقندية والأشموني وقرأ على الشيخ الشاذلي بن صالح الشيخ خالد على الآجرومية

(1) وكذلك تخلف عن الحضور القاضي المالكي.

(2) وتوفي في المحرم سنة 1312.

(3) ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 414).

والأزهرية والفاكهي، وقرأ على الشيخ محمد القبايلي القاضي على الخزرجية والدردير على المختصر الخليلي وبعض علوم انفرد بها، وقرأ على الشيخ محمد البنا الصغرى والمكودي على الألفية والخرشي على المختصر الخليلي، وقرأ على الشيخ محمد النيفر القطب على الشمسية والكبرى والخرشي على المختصر الخليلي وقطعة من تفسير القاضي البيضاوي، وقرأ على الشيخ محمد الخضار الهداية والدماميني على الخزرجية، وقرأ على الشيخ محمد بن سلامة نبذة من تفسير القاضي البيضاوي، وقرأ على الشيخ محمد بن عاشور الفاكهي والخبيصي ومختصر السعد والمغني والدردير والتاودي والمحلي على جمع الجوامع، وقرأ على الشيخ محمد معاوية العصام على السمرقندية والسعد على العقائد النسفية والمطول والشبرخيتي على الأربعين النووية والشفا للقاضي عياض، وقرأ على الشيخ محمد بن ملوكة شرحيه على الدرة ورسالته المنطقية ورسالته في أوائل السور وآجروميته النحوية والمكودي على الألفية، وقرأ على جدي الشيخ محمد السنوسي الخرشي على المختصر الخليلي، وأخذ صحيح البخاري عن الشيخ محمد بيرم الرابع والشيخ محمد بن الخوجة، وقرأ على الشيخ إبراهيم الرياحي دروساً من تفسير القاضي البيضاوي وجلس للإقراء بجامع الزيتونة فبث العلم في صدور كثير من الرجال، وتقدم لخطتي التدريس.

وتقدم لخطة قضاء المحلة المنصورة يوم الأحد الخامس عشر من شعبان الأكرم سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين وألف، وسافر مع الأمير علي باي ولاقى من بره ما هو أهل له ثم تقدم لخطة قضاء باردو المعمور أواخر شوال سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين وألف وجلس بمحكمة باردو وتقدم لمشيخة المدرسة الجديدة أوائل رجب الأصب سنة 1288 ثمان وثمانين وختم بها الأختام المحررة الدالة على سعة علمه، ثم تقدم مفتياً سادساً في الثامن والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة 1290 تسعين ومائتين وألف ولما توفي الشيخ علي العفيف صار مفتياً خامساً.

وهو عالم فاضل محقق حسن الأخلاق أديب ينظم شعراً جيداً وينثر نثراً

بديعاً له عناية زائدة بالعلوم العقلية وله فيها تحرير غريب وهو غزير[1] البحث في دروسه يميل إلى مباحثة تلامذته منصف من نفسه في العلم مواظب على دروسه يميل إلى الخمول ضعيف البدن مصاب باحتباس البول يمنعه من الإقراء في الشتاء كثيراً قرأت عليه شرح القطر لابن هشام بحاشيتي الشيخ حسن الشريف والسجاعي وقطعة من مختصر السعد على التلخيص ودروساً من مقدمة التلخيص بالمطول وحواشيه قراءة تحقيق وبحث ونبذة من الشمائل بشرح الباجوري غير أنه لما ولي خطة قضاء باردو اشتغل بها عن التدريس ولما تقدم إلى الفتيا رجع إلى مألوف عادته في التدريس فابتدأنا عليه شرح السعد على العقائد النسفية بحواشي الخيالي وعبد الحكيم قراءة بلغت الغاية في التحقيق والتحرير وقد حضر في ذلك الدرس كثير من أعيان العلماء ولذلك كان له به عناية زائدة جزاه الله أحسن الجزاء آمين (وتوفي بعد زوال يوم الأربعاء آخر جمادى الثانية 1309 ودفن جوار سيدي عبد العزيز القسنطيني بالزلاج عليه رحمة الله[2]).

- 49 -

الشيخ أحمد الشريف[3]

هو شيخنا أبو العباس أحمد بن حمدة بن محمد بن عبد الكبير بن أحمد بن محمد بن أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا وهلم جرا إلى سلسلة شرفه المتصلة برسول الله صلّى الله عليه وسلم فهو حفيد إمام جامع الزيتونة المتقدم الذكر.

وكان والده خيراً فاضلاً متخلقاً بأخلاق النبوة تقدم لشهادة الديوان حين ولي والده إمامة جامع الزيتونة ثم بعد وفاة والده تقدم عوضه لدرس جامع محمد باي المرادي وإمامة مسجد دار الباشا والدرسين بجامع الزيتونة رضي الله عنه

---

(1) في الأصل: غريب.

(2) جاء هذا في الهامش بخط المؤلف.

(3) ترجمته في شجرة النور (ج 1 ص 424) وترجم له الشيخ البشير النيفر في تراجم المفتين ص 219.

وتوفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من أشرف الربيعين سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف.

وكانت ولادة صاحب الترجمة سنة 1251 خمسين أو إحدى وخمسين ومائتين وألف ونشأ نشأة أسلافه الكرام وقرأ القرآن العظيم وابتدأ قراءة العلم الشريف بجامع الزيتونة عام 1268 ثمانية وستين فقرأ على الشيخ محمد بن الخوجة والشيخ حسن بن الخوجة شرح الشيخ خالد على الآجرومية وقرأ على أحمد عاشور نبذة من الدرة، وقرأ على الشيخ محمد الشاهد الفاكهي، وقرأ على الشيخ الشاذلي بن صالح شرح سيدي خالد على الآجرومية والأزهرية والقطر والدمنهوري على السمرقندية، وقرأ على الشيخ علي العفيف سيدي خالد على الآجرومية والأزهرية والقطر والمكودي على الألفية والأشموني عليها وميارة على ابن عاشر والكفاية والخرشي على المختر الخليلي وشرح الشيخ عبد الباقي عليه وأكثر الموطأ والشفا وصحيحي البخاري ومسلم الجميع دراية. وجلس للتدريس بجامع الزيتونة فقرأت عليه شرح الشيخ خالد على الآجرومية من باب الأفعال إلى أخره قراءة نصح يتوصل بها المبتدي إلى غاية المسئلة، ومع ذلك يكد على ما يقرئه أولاً بالمراجعة وهو عالم نقي العرض، كريم الأصل والأخلاق، يقطر وجهه حياء عالي الهمة، جميل السمت حسن الملتقى، تقدم لمشيخة مدرسة حوانيت عاشور أواخر حجة الحرام سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين وألف، وختم فيها الأختام اللطيفة الغراء.

وتقدم للنيابة في رواية الحديث في الأشهر الثلاثة بجامع الزيتونة عند مرض الشيخ صالح النيفر في عام وفاته.

ثم تقدم مفتياً ثامناً يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان الأكرم سنة 1290 تسعين، ولما توفي الشيخ صالح النيفر صار مفتياً سابعاً، وقدمه المشير محمد الصادق باشا باي إماماً ثالثاً بجامع الزيتونة في الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة 1290، ولما توفي الشيخ علي العفيف صار مفتياً سادساً، وتقدم خليفة لابن عمه بجامع الزيتونة في الخامس والعشرين من جمادى الثانية

سنة 1292 اثنتين وتسعين ومائتين وألف فزان المحراب والمنبر بحسن تلاوته وعذوبة[1] خطبه البليغة مع ملازمة إقامة الخمس والمحافظة على أداء الصلاة في الوقت وملازمة رواية الحديث بحيث يحضر لها يومياً في الثلاثة الأشهر في شدة الحرّ من جبل المنار ويرجع وقد اعتنى بنسخ صحيح مسلم بخطه للرواية مع الضبط والتحري فيه والكتابة على مشكله وعلى عهده[2] اتفق في صلاة المغرب من يوم الأحد السادس عشر من رجب الأصب سنة 98 ثمان وتسعين ومائتين وألف أن المقيم أقام الصلاة وعند انتهائه تقدم للمحراب رجل مغربي عليه سمة الصلاح فكبر وأخذ يقرأ[3] الفاتحة والناس من حوله ينادونه ويتجاذبونه وآل الأمر أنه تقدم إليه بعض المصلين وأخذوه من المحراب بعد فراغه من الفاتحة وشروعه في قراءة سورة الكافرون وتقدم الإمام المذكور إلى محرابه فصلى المغربي خلفه ولازم الاعتكاف في الجامع أياماً لم يسمع أحد منه كلاماً غير أنه أجاب الإمام المذكور بأنه قاصد حج بيت الله الحرام وقرأ له فاتحة الإلحاح عليه[4].

(ولما[5] عزل الشيخ الشاذلي بن صالح من خطة باش مفتي انتخب لها لما هو متصف به من العفة والصيانة والمروءة بحيث تقدم بذلك على العالم الشيخ محمد الشاهد والزكي الشيخ صالح بن فرحات والإمام البحر الشيخ محمد الشريف ابن عمه في موكب حضره جميع الشيوخ بالمرسى صبيحة يوم الاثنين الثالث من المحرم سنة ثلاث وثلاثمائة وألف وقَبِلَ الولاية بعد تمنع ولم يظهر عليه ابتهاج لهاته الولاية بل أظهر التغير لمن تقدمهم من الشيوخ مع رغبة في حسن الدعاء جزاه الله خيراً) فهذا الإمام اليوم هو باش مفتي المالكية وخليفة جامع الزيتونة الذي ابتهج بولايته، ولما وليها هنأه العالم الشاعر الشيخ سالم بوحاجب بقوله:

---

(1) في الأصل: وعذوب.

(2) في الأصل: وكل عهدة.

(3) في الأصل: يقري.

(4) كذا في الأصل.

(5) ما بين القوسين إضافة بخط المؤلف في الهامش لأن ترجمته للشيخ أحمد الشريف كتبت قبل ولايته رئاسة الفتوى.

[الخفيف]

هكـذا بيـت خيـر آلٍ يُـنيـف ... شـرف تـالـد ومجـد طـريـفُ
وسجـايـا زكيـة الأصـل بالعلـ ... ـم أتيحت [1] لحسنها التضعيف
ذهـب خلصتـه بـوتقـة التهـ ... ـذيب عن أن يشـوبـه التزييف
ذا جـدير [2] بـأن يحـلّ مقـامـاً ... دونـه لـلأنـام طـراً وقـوف
وبـأن يـرتـقي منـابـر للهـا ... دي إليـه حنينـهـا مـعـروف
فهنيئـاً لمنبـر الـجـامـع الأعـ ... ـظم إذ عـاد يمينـهُ المـألـوف
بـإمـام شـريـف ذاتٍ ووصفٍ ... ليس يـطفي نُـوريْهمَـا تـأفيف
قـدوةٌ وصـفـوةٌ تـقـيٌّ نـقـيٌّ ... ذو اتضـاع وهمـةٍ، غـطريـف
من يُشَرّفْ[3] بنيـل رتبـة عـز ... فبـذا للمـراتـب الـتشـريـف
وجميـع الـورى يُهنَّـوْنَ أن صـا ... دف مـن يستحقـه التـوظـيف
فلسـان السـداد يملي على الآ ... ذان بيـتـاً لـهـا بِـه تـشنـيف
حبـذا منصب شـريـف حـواه ... أحمد واسمه فأرخ (شريف) [4]

---

(1) في الأصل: أتيح.
(2) في الأصل: الجدير.
(3) في الأصل بشرف.
(4) وجاء في آخر ما كتبه الشيخ البشير النيفر:
وبقي يقوم برواية صحيح البخاري بجامع الزيتونة في الأشهر المباركة الثلاثة: رجب وشعبان ورمضان إلى أن ختم أنفاسه الطاهرة بجبل المنار ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة 1337 ودفن ضحى يوم الخميس في تربة آله الطاهرين في الزلاج. وحضر مشهد جنازته سمو الأمير الجليل أيّده الله، وكان موكب الجنازة موكباً مؤثراً بكثرة المشيعين...
وانطلقت ألسنة رجال القريض برثائه، قال الشيخ العالم الشاعر المفلق أبو محمد حمودة تاج رحمه الله، وذكر قصيده ومطلعه:
سـابق الفـردوس نجـل المـصـطفى ... حـلّ فـيـه بـاحـتـفـال واصـطـفـا
كما رثاه الشيخ البشير النيفر بقصيد ذكره في تاريخه.

فهرس موضوعات الجزء الثاني

القسم الثاني في التعريف بالمفاتي الحنفية

1) الشيخ رمضان أفندي 7
2) الشيخ أحمد الشريف الحنفي 9
3) الشيخ أحمد الشريف الأندلسي 9
4) الشيخ محمد بن مصطفى الأزهري 10
5) الشيخ مصطفى بن عبد الكريم 10
6) الشيخ يوسف درغوث 11
7) الشيخ عبدالكبير درغوث 12
8) الشيخ علي الصوفي 16
9) الشيخ يوسف درغوث 17
10) الشيخ يوسف برتقيز 19
11) الشيخ عبدالكبير الصوفي 22
12) الشيخ محمد الأرناؤوط 23
13) الشيخ محمد درغوث 24
14) الشيخ حسين البارودي 25
15) الشيخ محمد بيرم الأول 30
16) الشيخ محمد المحجوب 39
17) الشيخ محمد البارودي 40
18) الشيخ محمد بيرم الثاني 43
19) الشيخ مصطفى البارودي 62
20) الشيخ أحمد البارودي 63

21) الشيخ حسين برناز 78
22) الشيخ أحمد بن الخوجة 80
ترجمة حمودة بن الخوجة والد الشيخ أحمد بن الخوجة 80
23) الشيخ محمد بيرم الثالث 87
24) الشيخ حسين البارودي 96
25) الشيخ محمد بيرم الرابع 98
26) الشيخ علي الدرويش 104
27) الشيخ محمد بن الخوجة 106
28) الشيخ أحمد الأبي 112
29) الشيخ محمد باكير 115
30) الشيخ محمد عباس 117
31) الشيخ محمد معاوية 119
32) الشيخ مصطفى بيرم 123
33) الشيخ أحمد بن الخوجة 128
34) الشيخ أحمد كريم 136
35) الشيخ حسن بن الخوجة 141
36) الشيخ محمد البارودي 142
37) الشيخ حسونة عباس 148

القسم الثالث في التعريف بالمفاتي المالكية 151

1) الشيخ محمد السكوني 154
2) الشيخ يوسف الأندلسي 154
3) الشيخ سالم النفاتي 155
4) الشيخ محمد قشور 155
5) الشيخ عبد الكافي 155
6) الشيخ قاسم عظوم القيرواني 155
7) الشيخ أبو يحيى الرصاع الأنصاري 155
8) الشيخ قاسم بن أبي الفضل البرشكي 156
9) الشيخ الشريف إبراهيم الفلاّري 156

10) الشيخ أبو الحسن بن سالم النفاتي 156
11) الشيخ علي النفاتي 156
12) الشيخ أبو الفضل المسراتي 157
13) الشيخ محمد فتاتة 159
14) الشيخ محمد العواني 162
15) الشيخ محمد بن موسى 163
16) الشيخ محمد بن الشيخ 164
17) الشيخ علي الرصاع 165
18) الشيخ علي الستاري 167
19) الشيخ محمد جعيط 168
20) الشيخ حمودة الرصاع 169
21) الشيخ محمد سعادة 171
22) الشيخ أحمد المكودي 176
23) الشيخ قاسم المحجوب 179
24) الشيخ أحمد البرانسي 182
25) الشيخ محمد المحجوب 183
26) الشيخ محمد الدرناوي 187
ترجمة أخيه 187
27) الشيخ أحمد السويسي 189
28) الشيخ حسن الشريف 192
29) الشيخ محمد المحجوب 192
30) الشيخ إسماعيل التميمي 194
نص إجازة الشيخ المحجوب للمترجم 195
ولايته القضاء 197
تقريظات رسالة الوقف 200
ذكر بقية مؤلفاته 201
ولايته خطة الفتوى 203
31) الشيخ الشاذلي بن المؤدب 205
ترجمة والد المترجم 206

32) الشيخ إبراهيم الرياحي 208
33) الشيخ محمد الخضار 208
34) الشيخ محمد بن سلامة 213
ترجمة لأسلافه 213
ولايته القضاء 216
مكتوب للمشير الذي طلب فيه الاستقالة من القضاء 218
ولايته الفتوى 219
35) الشيخ محمد البنا 229
36) الشيخ سليمان المحجوب 233
37) الشيخ أحمد بن حسين القمار 234
38) الشيخ محمد النيفر 239
الكلام على نسب العائلة 239
39) الشيخ محمد القبائلي 259
40) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور 264
ترجمة أخيه حمدة بن عاشور 256
41) الشيخ الشاذلي بن صالح 272
42) الشيخ علي العفيف 275
43) الشيخ صالح النيفر 280
44) الشيخ محمد الشاهد 280
45) الشيخ محمود قبادو 283
قصيدة سوق أساطيل البوارج لعوق أباطيل الخوارج 284
القصيدة المتولدة منها 292
تشطيرة قصيدة بشر بن عوانة 304
46) الشيخ محمد الشريف 310
47) الشيخ محمد النيفر 310
48) الشيخ صالح بن فرحات 312
49) الشيخ أحمد الشريف 314
فهرس موضوعات الجزء الثاني 319

مُسامرات الظّريف بحسن التعريف